



د. سامية مصطفى مسعد

صور من المجتمع الأندلسي

(رؤية من خلال أشعار الأندلسيين وأمثالهم الشعبية)

ملائمة الحكام



موضع الكلمة من نفس مغزاة موزنا وحلقة على الانظمة

الهمزة
رَوْصَةٌ رَائِفَةٌ وَرِيَّاضَةٌ رَائِفَةٌ

فيل كان كعبه من تر البعلية العبيبة مرعنة بليلة الترميم
لهذا لغوي فأنفس من علومهم وفرا الكعبه وكان في سنة
الغروب وكاتبه وخلفاءه كان في سنة الباعل الميم وطبقة للشيرة

د. سلطان ميثاق مصطفیٰ مسعودی

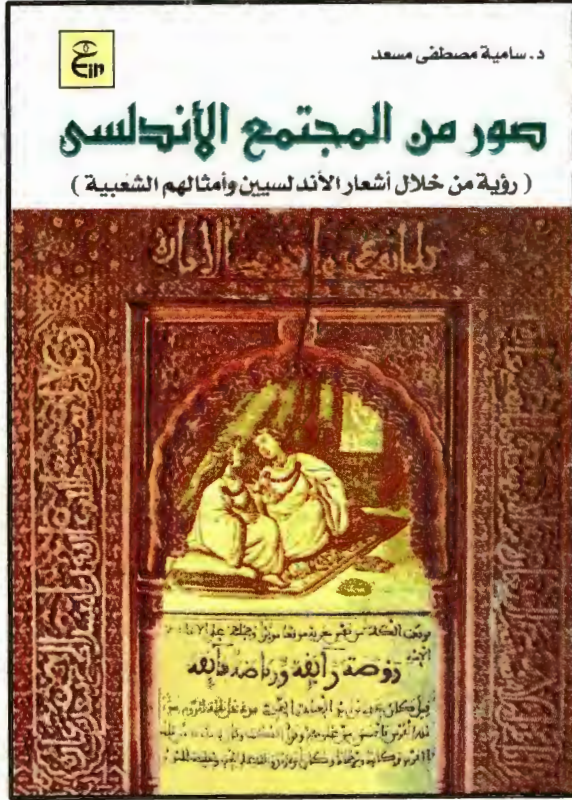
صاحب الامتياز

الامانة العامة

الاسلام

الاسلام

RE

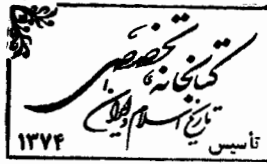


للدراستات والبحوث الإنسانية والاجتماعية
FOR HUMAN AND SOCIAL STUDIES



صور من المجتمع الأندلسي

رؤية من خلال أشعار الأندلسيين وأمثالهم الشعبية



دكتورة / سامية مصطفى مسعد
كلية الآداب - جامعة الزقازيق

الطبعة الأولى
١٩٩٨م



عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية
EIN FOR HUMAN AND SOCIAL STUDIES



المستشارون

د . أحمد إبراهيم الهوارى

د . شوقي عبد القوي حبيب

د . على السيد على

د . قاسم عبده قاسم

مدير النشر: محمد عبد الرحمن عفيفى

تصميم الغلاف : منى العيسوى

الناشر : عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية

٦ - شارع يوسف فهمى - اسباتس - الهرم - ج.م.ع - تليفون : ٣٨٥١٢٧٦

٥ - شارع ترعة المريوطية - الهرم - ج.م.ع - تليفون ٣٨٧١٦٩٣

Publisher: EYN FOR HUMAN AND SOCIAL STUDIES

6, Yousef Fahmy St., Spates - Elharam - A.R.E. Tel : 3851276

5, Maryoutia St., Elharam - A.R.E. Tel : 3871693

مقدمة

إن البداية دائماً لأى عمل يقوم به الباحث هو الاقتناع الكامل بضرورة وأهمية موضوع البحث، وإذا كان الأمر كذلك فيجدر بنا أن نلقى الضوء على موضوع له أهمية بالغة فى مجال الدراسات الأندلسية ألا وهو دراسة المجتمع الأندلسى وظواهره المختلفة وما ساد هذا المجتمع من آفات اجتماعية كانت ذات أثر بالغ على تدهور هذا المجتمع وانهاره ، ولأقول أن هذه الآفات كانت هى السبب الوحيد ولكنها أحد الأسباب الكثيرة التى لا يحتملها البحث لسعة مساحته ولكنى أتناول تلك الأسباب التى أدت إلى ضياع ملك المسلمين فى الأندلس وسأعالج فى هذا البحث دراسة المجتمع الأندلسى من خلال أشعار الأندلسيين وأمثالهم الشعبية ، ولعله من المسلم به أن الأدب وما يحويه من أشعار وأزجال وأمثال شعبية هو مصدر لا يستهان به فى دراسة المجتمع وظواهره المختلفة سلباً وإيجاباً ، فالأدب دائماً مصداً لاغنى عنه فى دراسة المجتمع شأنه فى هذا شأن الفنون الأخرى وهو أقرب إلى الصدق فى التعبير عن حياة المجتمع وطبيعته واتجاهاته وتجاريه، ومن ثم كان اتجاهاً فى هذا البحث أن أقدم جانباً من آفات اجتماعية أصابت هذا المجتمع وذلك من خلال أشعار الأندلسيين وأمثالهم الشعبية ولاغرو فالأشعار والأمثال الشعبية تكون وثيقة اجتماعية أقرب إلى الصدق وأدنى إلى الأصاله من غيرها . هذا وقد قسمت البحث إلى قسمين :

القسم الأول : ويتناول المجتمع الأندلسى نموه وتطوره متعرضة لدراسة عناصره وطبقاته من خلال أشعار الأندلسيين، وأمثالهم الشعبية وما صاحب هذا المجتمع من نمو وتطور وترف وأثر هذا الترف على المجتمع الأندلسى .

أما القسم الثانى : فتناولت فيه الآفات الاجتماعية التى عانى منها المجتمع الأندلسى وانغماس بعض فئاته فى الملذات كشرب الخمر وعادة التفزل فى المذكر (التشبيب) وانتشار البغاء ، ودور المرأة فى هذا التدهور الخلقى الذى ساد المجتمع الإسلامى فى الأندلس مما أدى فى النهاية إلى سقوط الأندلس وضياع ملك المسلمين فيه .

دكتورة / سامية مصطفى مسعد

المجتمع الأندلسى نموه وتطوره

لدراسة نمو المجتمع الإسلامى وتطوره لابد أن نشير إلى عناصره وطبقاته المختلفة، فنجد ضمن هذا المجتمع عدة عناصر مختلفة شكلت هذا المجتمع فأثرت فيه وتأثرت به، ومن هذه العناصر :

أولاً : العرب والوافدون :

وهم أهم العناصر التى تألف منها المجتمع الأندلسى بعد الفتح ، وقد دخل العرب الأندلس فرادى وجماعات^(١) متتالية عرفت باسم الطوابع يضاف إليهم من هاجر إليها من عرب الشام والعراق ومصر^(٢)، هذا وقد عرفت الأندلس أربع طوابع عربية^(٣) استقرت فى كل ناحية فى

١- يذكر د. حسين مؤنس فى كتابه فجر الأندلس أن القبائل العربية التى دخلت الأندلس يمثل اليمانية منها حوالى اثنين وخمسين قبيلة ، بينما بلغ عدد القيسية اثنين وأربعين قبيلة، راجع : حسين مؤنس : فجر الأندلس ، القاهرة ١٩٥٠ ، ص ٣٧٠ .

٢- محمد عبد المنعم خفاجة ، قصة الأدب فى الأندلس : ج١ ، بيروت ١٩٦٢ ، ص ٨٨ .

٣- كانت أول طالعة عربية دخلت الأندلس هى طالعة موسى بن نصير وكانت تضم نحو اثنى عشر ألف من العرب فى رواية أو ثمانية عشرة ألف حسب رواية أخرى وكان بين رجال هذه الطالعة كثير من التابعين ومن شيوخ القيسية واليمانية ومواليهم من بنى أمية وبعد هذه الدفعة الكبيرة من العرب الداخلين إلى الأندلس، صارت تفد تبعاً دفعات أصغر برفقة الولاة، فقد قدم الوالى الحر بن عبد الرحمن الثقفى (١٠٠هـ- ١٠٣هـ) إلى الأندلس وبصحبه أربع مائة رجل من وجوه إفريقية عرفوا بالطالعة الثانية وكان معظمهم من اليمانية وسميت هذه الجموع بالبلديون تمييزاً لهم عن العرب الشاميين الذين دخلوا الأندلس فى الطالعتين الأخيرتين والتى كانت أولاهما طالعة (بلج بن بشر القشيري) ١٢٣هـ وبلغ عددها عشرة آلاف نسمة ألقان من الموالى وثمانية آلاف من العرب، كذلك وفدت طالعة ثانية من الشاميين وكانت قليلة العدد بصحبة والى الأندلس أبو الخطار الكلبي ١٢٥هـ هذا وقد عمد الوالى أبو الخطار الكلبي وهو من اليمانية إلى تفريق الشاميين فى البلاد. فأنزل أهل دمشق البيرة وسماها دمشق وأنزل أهل حمص أشبيلية وسماها حمص وأهل قنسرين جيان وسماها قنسرين وأهل الأردن رية ومالقة وسماها الأردن وأهل فلسطين شذونه وسماها فلسطين، وأهل مصر تدمير، وسماها مصر .

راجع . ابن القوطية . (أبى بكر محمد بن عمر) ، تاريخ افتتاح الأندلس : تحقيق إبراهيم الإبيارى: الطبعة الأولى ١٩٨٢م، ص ٣٠-٣١؛ ابن عذارى (محمد المراكشى) البيان المغرب فى أخبار الأندلس والمغرب

نواحي الأندلس وقد بين ابن حزم فى جمهورته منازل القبائل العربية فى الأندلس^(٤) ، كذلك حفظ لنا كل من ابن غالب^(٥) وابن الخطيب^(٦) معلومات قيمة عن أنساب القبائل العربية التى سكنت الأندلس منذ الفتح .

أما المقرئ فقد أضاف معلومات لاتقل قيمة وتفصيلاً^(٧) عن ابن غالب وغيره ممن اهتموا بأمر العرب فى الأندلس .

وترجع أهمية وجود العرب فى الأندلس إلى أنهم كانوا أحد عناصر الفتح وولاية الأندلس وأمرائها وخلفائها فهم سادة الموقف دون منازع^(٨) .

ولقد كان ، للصراع القبلى بين القيسية واليمانية أثر خطير على الوجود العربى فى الأندلس^(٩) ، ذلك أن السلطة العربية هناك أوشكت على الاندثار والضياع لولا أن قبض الله

= ج٢ ، تحقيق (ج.س) كولان، ليفى بروفنسال : دار الثقافة بيروت : ص٢٥ ؛ مجهول : أخبار مجموعة فى فتح الأندلس وذكر أمرائها والحروب الواقعة بينهم : تحقيق ونشر لافونتين مدريد ١٨٦٧ ، ص١٥ ، ص٤٦ وما بعدها؛ المقرئ (أحمد بن محمد المقرئ التلمسانى) : نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب ج١ ص٢٩- ص٢٩٥ ؛ حسين مؤنس : فجر الأندلس ص٣٥٥- ص٣٦٨ ، ص٣٧ ؛ سعد عثمان : المجتمع الإسلامى فى الأندلس فى القرن الرابع الهجرى : رسالة دكتوراة : ص٧٤- ص٨٣ : الرياض : ١٤٠٠هـ .

٤- ابن حزم : (أبو محمد على بن أحمد) جمهرة أنساب العرب : تحقيق عبد السلام هارون : القاهرة ١٩٧١م ج١ ، ج٢ فى صفحات متفرقة من الكتاب .

٥- المقرئ : (أحمد بن محمد) نفع الطيب : ج١ : ص٢٩٠- ص٢٩٨ ، راجع حسين مؤنس : معالم تاريخ المغرب والأندلس : ص٢٣١- ص٢٤٨ .

٦- ابن الخطيب (لسان الدين ابن الخطيب التلمسانى) الإحاطة فى أخبار غرناطة ج١ : تحقيق محمد عبدالله عنان : ١٩٧٣ : ص١٠٢- ص١٠٣ .

٧- يقول المقرئ : «واعلم أنه لما استقر قدم أهل الإسلام بالأندلس وتم فتحها صرف أهل الشام وغيرهم من العرب مهمهم إلى الحلول بها ، فنزل بها من جرائيم العرب وساداتهم جماعة أورثوها أعقابهم إلى أن كان من أمرهم ما كان» .

راجع المقرئ : نفس المصدر ، نفس الجزء والصفحات .

٨- سعد عثمان : المجتمع الإسلامى فى الأندلس فى القرن الرابع الهجرى : ص٧٩ وما بعدها .

٩- عن الصراع بين القيسية واليمانية فى الأندلس راجع ابن عذارى : (البيان المغرب) ج١ : ص٥٥ وما بعدها ، ج٢ : ص٣٠- ص٣٨ ؛ ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس صفحات متعددة ؛ مجهول : أخبار =

للأندلس الأمير عبد الرحمن بن معاوية (الداخل)^(١٠) الذي قوى من نفوذ العرب وأنقذ الإسلام من الزوال .

وعلى الرغم من قلة أعداد عرب الأندلس بالنسبة للعناصر الأخرى التي سكنت شبه الجزيرة الأندلسية إلا أنهم سرعان ما اختلطوا وامتزجوا مع العناصر الأخرى بعد الفتح^(١١) فكان لاختلاطهم هذا أثر كبير فى دخول كثير من الأسباب فى الإسلام^(١٢) وعلى الرغم من ضعف

= فى فتح الأندلس ، تحقيق ونشر لافونتين القنطرة مدريد : ص ٣١-٦٨ : مؤنس : فجر الأندلس : ص ٣٥٥-٣٦٥ : سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم فى الأندلس: من الفتح حتى سقوط الخلافة ص ١٥٣-١٦٧ .

R. Dozy, Histoire de los Musulmans de Espana , pp. 38-161 .

وراجع الترجمة العربية : تاريخ مسلمى أسبانيا : ج١ : ص ١٥٤-١٨١ .

١٠- عن عبد الرحمن بن معاوية الداخل وتأسيسه الإمارة الأموية فى الأندلس راجع : ابن الأبار : (أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن أبى بكر القضاعى) الحلة السيرة : ج١ ، ص ٤٥ ، وما بعدها ، تحقيق مؤنس : القاهرة ١٩٦٦؛ ابن الكردبوس : كتاب الاكتفاء فى أخبار الخلفاء - القسم الخاص بالأندلس: نشر وتحقيق أحمد مختار العبادى ص ٦٠-٦١ ؛ ابن أبى دینار القيروانى: المؤنس فى تاريخ إفريقية وتونس : طبعة تونس ١٢٨٦هـ- ١٨٦٩م، ص ٤٢-٤٣ ؛ ابن القوطية تاريخ افتتاح الأندلس : ص ٤٥ ، ص ٤٦ ؛ مجهول: أخبار مجموعة : ص ٥٥ ، ص ٨٨ وما بعدها ؛ عنان دولة الإسلام فى الأندلس: العصر الأول : القسم الأول ص ١٥٢ : سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم فى الأندلس : ص ١٨٩ ، ص ١٩٠ .

Levi Provencal : Histoire de l'Espagne Musulmagne ., Vol . I , pp. 103-104 .

Dozy, Histoire des Musulmans d'España ; Vol . I , pp . 211-214 .

١١- دخل العرب إلى الأندلس على شكل جيوش منظمة ولم يصبحوا معهم نسا هم فكان من الطبيعى أن يتخذوا لهم نساء من أهل البلاد ، وأن تصبح المصاهرة بينهم وبين الأسبان أمراً لا بد منه ، راجع ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس : ص ٣٢ ، ابن عذارى: البيان المغرب : ج٢ ، ص ٢٣ ، على حسنى الخروطلى : العرب فى أوروبا : ص ٩٧ : حسين مؤنس : المرجع السابق ص ٣٦٥ .

١٢- سعد عثمان : نفس المرجع : ص ٧٩ وما بعدها كان أغلب الداخلين إلى الأندلس جنود شأنهم الفتح لا العلوم والثقافة ، ومع ذلك عرفت الأندلس فى فترة الولاة نوعاً من الثقافة ، كان بمثابة خيوط الفجر الأولى التى تؤذن بصبح مشرق فقد دخل الأندلس فى عهد الولاة عدد من الصحابة والتابعين الذين كانوا على حظ بالمعرفة الدينية، وكانوا يصحبون الجند أو يفدون بعد الفتح ، للإقتاء فيما يعن للمسلمين من أمور الدين كتقسيم الغنائم ، وتخطيط المساجد فى أشبيلية وقرطبة وغيرها من البلاد، وكانت عنايتهم قبل كل شئ =

الروح العربية وضعف الانتماء العربى فى الأندلس^(١٣) فقد بقى للقرشيين والموالى مقام الخطوة عند الأمراء والخلفاء ، فخصوا بالإقطاعات والوظائف الهامة وكان لهم دور بارز فى الأحداث السياسية خلال عصرى الإمارة والخلافة^(١٤) ، كما أن عدداً من الأسر ظلت تشغل المناصب الإدارية وقيادة الجيوش^(١٥) ..

= بتدريس كتاب الله وسنة رسوله ولغة القرآن والحديث، وقد وضع ابن بشكوال كتاباً عن التابعين الداخلين إلى الأندلس بعنوان التنبيه والتعيين لمن دخل الأندلس من التابعين وهذا الكتاب مفقود وقد نقل عنه المقرئ فى قوله «وفى كتاب ابن بشكوال يذكر أنه دخل الأندلس من التابعين ثمانية وعشرون رجلاً» .

راجع المقرئ: نفع الطيب : ج١ : ٢٦٩ ، صاعد الأندلسى : (أحمد بن صاعد الأندلسى) : طبقات الأمم ، نشره وذيله بالحواشى لويس شيخو اليسوعى: بيروت ١٩١٢م. ص ٦٢ ، راجع سعد عثمان : المجتمع الأندلسى: ص ٢٦ .

١٣- يقول المستشرق الفرنسى هنرى بيرس فى كتابه الشعر الأندلسى فى عصر الطوائف أن العرب كانوا حتى منتصف القرن العاشر الميلادى (الرابع الهجرى) ينقسمون إلى فرعين يتخاصمون غالباً وهم المضربة واليمينية أو العدنانيون والقحطانيون ثم بدأوا يفقدون إحساسهم بأصولهم الشرقية القائمة على مفهوم قبيلة معينة وتخلوا تدريجياً عن أنسابهم العريقة التى ارتبطت بوجودهم وهجروها منذ زمن طويل ما لبثوا أن اتخذوا لهم أنساباً تذكرهم بالمكان الذى ولدوا فيه ، مدينة أو قرية أو ضيعة أو كورة وكان يوصف العربى بأنه فقيه أو قاض أو قائد أو شاعر أو وزير قبل أن يكون مخزومياً أو قيسياً وقد تعلق العربى بالأرض فنجد مثلاً فى المقرئ: نفع الطيب ج٣ ص ٥٣٤ إن الأمويين الذين استقروا فى ربيعة فى مقاطعة قرطبة قد تخلوا عن نسبهم المروانية وانتسبوا بدلا منها إلى ربيعة فكان الواحد منهم يقال عنه ريمى، وإذا كان الجانب الأكبر من الشعب نسى أصوله العرقية ولم يكن يهتم كثيراً بمعرفة الأنساب ، فقد كان الأفراد على النقيض يحاولون أن يرتفعوا بأنسابهم إلى جدودهم الأولين ليبرهنوا على نقاء دهم العربى، ولم يتردد الشعراء الذين درسوا الأنساب العربية أيام طلبهم للعلم فى استخدام معارفهم والعزف على هذا الوتر الحساس : راجع المقرئ : ج٣ ، ص ٥٣٤ ، هنرى بيرس : الشعر الأندلسى ص ٨٥-٨٦ ، ص ٢٣١ .

١٤- أحمد بدر : دراسات فى تاريخ الأندلس وحضارتها من الفتح حتى الخلافة : دمشق سنة ١٩٧٢ عن دور العرب فى الحياة السياسية خلال عصرى الإمارة والخلافة راجع : ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس : ص ٤٥-٤٦ - ص ٤٧ ، وما بعدها ؛ مجهول : أخبار مجموعة : ص ٥٠ - ص ٥٥ - ص ٧٧ - ص ٩٣ وما بعدها؛ تاريخ المسلمين وآثارهم فى الأندلس .

١٥- كان العرب الشاميون فى عهد الإمارة الأموية فى الأندلس يقدمون على غيرهم فى المناصب والأعطيات والصلوات، لكنهم فقدوا تلك الميزات فى عهد الخلافة .

وكانت العصبية القبلية بين العرب ، قد ظهرت بعد استقرار العرب فى الأندلس وتجددت قصة النزاع القديم بين القيسية واليمينية فانعكس هذا الصراع على أشعار العرب فى تلك الفترة ، فوردت أبيات كتبها أبو الخطار حسام بن ضرار الكلبي^(١٦) إذ يقول^(١٧) :

أقَاتم بنى مروان قيسًا دماءنا وفى الله إن لم تُتصفا حكمٌ عدلٌ
كأنكم لم تشهدوا مرجُ راهطٍ ولم تعلموا ؟ مَنْ كان تم له الفضلُ
وقيناكم حرَّ الوغى بصُدورنا ولست لكم خيل تعدو ولا رجَل
فلما رأيتم وافد الحرب قدخبا وطاب لكم منها المشاربُ والأكل
تغافلتم عُنَّا كأن لم يكن لنا بلاءً وأنتم ما علمت لها فعلُ

يؤكد هذا ما ذكره ابن حيان بقوله « وكان ابتداء فتنة أهل الجزيرة وانبعاثها بالمعصية بين اليمانية والمضرية أن أطلق بعضهم على بعض الغارات واستحلوا الحرمات وتخلقوا بأخلاق الجاهلية واتخذوا الحصون والمعازل المنيعة فارتقوا إليها وأذلوا البسائط^(١٨) .

وعلى الرغم من قلة أعداد العرب بالنسبة للعناصر الأخرى فقد توالى الوفود العربية المهاجرة إلى الأندلس ولم تنقطع الهجرة العربية فى أى عصر من العصور فقد كثر دخولهم فى عصر الولاة واستمر حتى عصر المرابطين والموحدين (٤٨٤هـ - ٦٢٠هـ) وكان الوافدون من العرب ينزلون قرطبة أو يقصدون أهل قبائلهم فى النواحي^(١٩) .

= راجع ابن حيان « أبو مروان بن حيان القرطبي » : المقتبس فى أبناء بلد الأندلس : تحقيق محمود على مكى بيروت . ١٩٧٣ . ص ١٣٧ - ١٣٨ . راجع أيضاً سعد عثمان المجتمع الإسلامى فى الأندلس .

١٦- يقول ابن عذارى : وكان أهل الأندلس قد طلبوا من صاحب إفريقية حنظلة بن صفوان عاملاً يجمع كلمتهم، إذ كانت الكلمة متفرقة والقتل ذريعاً ولا يأمنون تغلب العدو عليهم، فأرسل إليهم «أبا الخطار» هذا واجتمع على أبى الخطار أهل الشام وعرب البلد ودانت لهم الأندلس «ابن عذارى» البيان المغرب: ج٢ ص ٣٤ .

١٧- ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس : ص ٢٤ .

١٨- ابن حيان : المقتبس فى أخبار الأندلس: ج٣ : ص ٥٢ طبع ملشور أنطونية: باريس: سنة ١٩٣٧ .

١٩- حسين مؤنس : فجر الأندلس : ص ٣٦٨ .

وقد دخل الأندلس فى القرن الرابع الهجرى عدد من الأمويين تأخر دخولهم إلى الأندلس إلى أيام الخليفة الناصر لدين الله (٣٢٣هـ) فأحسن إليهم وأكرم مثواهم ، وفى سنة ٣٤١هـ/ ٩٥٢م قدم إلى الأندلس محمد بن عبد السلام بن سليمان بن عبد الله بن عبد الملك بن مروان فتقبله الناصر ووصله وأكرم وفادته (٢٠).

وكذلك وفد إلى الأندلس عدد من الأدباء والشعراء أمثال أبو على القالى ت (٣٥٦هـ) / (٩٦٦م) وصاعد البغدادى (٤١٧هـ) / (١٠٢٦م) (٢١) وغيرهم.

وقد أعتبر العرب أنفسهم أصحاب سابقة وفضل يحق لهم الحكم والاستئثار وتعيين الأمراء والخلفاء (٢٢) فخلدوا إلى الراحة وامتلاك الأراضى والضياع (٢٣) وقد ظهر ذلك فى محاولات الاستقلال العربية ضد الدولة الأموية التى استمرت حتى نهاية القرن الثالث الهجرى- وهذا ما جعل الخليفة عبد الرحمن الناصر وخلفاءه من بعده يفقدون الثقة فى الأسر العربية فى الأندلس ويحاولون الاعتماد على عناصر اجتماعية أخرى كالصقالبة والبربر، فأصبح العرب فى القرن الرابع الهجرى/ العاشر الميلادى مجرد عنصر اجتماعى سكن الكثير منهم العاصمة قرطبة لما فيها من مباحج الحياة (٢٤).

هذا وكان وجود العرب فى أرض الأندلس الجديدة باعثاً قوياً من بواعث قرض الشعر، فالتغنى بهذه الأرض الجديدة الغنية بجمالها ومياها، وأشجارها الملتفة ، كان من الموضوعات التى تثير فى نفس العربى الحس المهرف وتطلق بخياله العنان (٢٥) ومن أمثلة قليلة وصلت إلينا تتجلى فى أبيات عبد الرحمن الداخلى التى قالها فى نخلة رآها مفردة فى منية الرصافة بقرطبة يتأكد لنا هذا القول :

٢٠- ابن حيان : المقتبس : ج٥ طبعة شماليتا : ص٤٠ .

٢١- ابن بسام : (أبو الحسن على بن بسام) (ت٩٤٢هـ) .

الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة المجلد الأول : القسم الرابع ، ص٨ ، ص٩ .

٢٢- دوزى : تاريخ مسلمى أسبانيا : ج١ ص١٥٤ ، الترجمة حسن حبشى .

٢٣- جودة الركابى : فى الأدب الأندلسى : ص٣٧ .

٢٤- إحسان عباس : تاريخ الأندلس : عصر سيادة قرطبة : دار الثقافة : بيروت : لبنان ص٢٢ .

٢٥- حكمة على الأوسى : فصول فى الأدب الأندلسى فى القرنين الثانى والثالث للهجرة : نشر مكتبة

الحناجى القاهرة ص٥١ .

تَبَدَّتْ لَنَا وَسَطَ الرُّصَافَةِ نَخْلَةٌ تَنَانَتْ بِأَرْضِ الْعَرَبِ عَنِ بَلَدِ النُّخْلِ
فَقُلْتُ شَبِيهِي فِي التَّغْرُبِ وَالنُّوَى وَطُولِ التَّنَائِي عَنِ بَنَى وَعَنِ أَهْلِ
نَشَأَتْ بِأَرْضِ فِيهَا غَرِيبَةٌ فَمَثَلِكِ فِي الْإِلْحَاصِ وَالْمُنْتَأَى مِثْلِي
وقال يتشوق إلى أهله في الشام :

أَيُّهَا الرَّكَّابُ الْمَيِّمُ أَرْضًا أَقْرَ مِنْ بَعْضِ السَّلَامِ لِبَعْضِ (٢٦)
أَنْ جِسْمًا كَمَا عَلِمْتَ بِأَرْضِي وَفِؤَادِي وَمَالِكِيَّةَ بِأَرْضِ

كذلك كانت الكوارث التي تنزل بالأندلس حيث تسبب القحط الشديد، والمجاعات العظيمة المتوالية يموت فيها خلق كثير ، من البواعث القوية على قول الشاعر : من ذلك ما جاء في قصيدة للعكي قالها (٢٧٥هـ / ٨٨٨م) حينما عم بالأندلس القحط الشديد ثم نزل الغيث واستبشروا بفضل الله، فقال في مدح الأمير المنذر (٢٧):

نزل الحياة المحى وطابت أنفس قد كان سوء الظن فيها يهجس
أحيا الإلاه عبادة ، من بعد ما كانت من القنط والنفوس توسوس
متلاقيا فيه بعائد رحمة لولا عواندها طوتنا إلا بؤس
ملك الملوك تقدست أسماؤه والحسنى ، وعز جلاله المتقدس

هذا ولم يكن الشعر هو مرآة مجتمع العرب في الأندلس فقط، فالأمثال أيضاً كانت تعكس صورة الحياة بصفة عامة .

وقد وصلت إلينا بعض الأمثال الشعبية (٢٨) التي تلقى الضوء على مجتمع العرب في الأندلس وما اتصفوا به من أخلاق وعادات تميزهم عن غيرهم من العناصر الأخرى. ومن هذه

٢٦- راجع : ابن عذارى البيان المغرب : ج ٢ : ص ٦٠- ٦١ .

٢٧- ابن عذارى المصدر السابق نفس الجزء : ص ١١٩ .

٢٨- كان ظهور الإسلام وانتشار اللغة العربية بعد الفتح الإسلامية في الأمصار المختلفة من أسباب ظهور أمثال شعبية جديدة لم تلبث أن صارت بين الناس صيرورة أمثال العرب في الجاهلية وهكذا سرعان ما نشأ في البيئات الإسلامية الجديدة أمثال إقليمية منتزعة من حياتها وأحداثها وتجاربها، فيما خفى في صدر الإسلام وعهد الخلفاء الراشدين والأمويين .

الأمثال يقول ابن عاصم «من بدال يخسر العربان»^(٢٩) ولعل معناه كما يذكر محمد بن شريفة في رسالته عن أمثال أبي يحيى الزجاجي أن تبديل الأشياء وتغيرها يخسر العربان ويؤكل مالهم ويفهم من ذلك أن هذا المثل قيل في سذاجة البدو وقلة خبرتهم في البيع والشراء ، وميلهم إلى ابتياع الأشياء الرخيصة^(٣٠) أما المثل القائل «عرب البطاح يفرم الجربى لليهود»^(٣١) فيفهم منه أنه يقصد به ما كان يحدث من صراع دامي بين القيسية واليمانية^(٣٢) وبين سكان الجبال والحصون وبين سكان البطاح والبساتط^(٣٣).

ثانياً : البربر :

وإذا كان العنصر العربي لم يكن يمثل إلا جانباً يسيراً في الشعب الأندلسي فإن البربر^(٣٤) كانوا على النقيض جاؤا مع الفتح حيث تدفقت جموعهم نحو الأندلس ، واندمجت الموجات الأولى منهم مع العناصر العربية الأندلسية^(٣٥).

= ولكن لم تزدهر الأمثال . الشعبية الإقليمية إلا في العصر العباسي حيث ظهر ما يسمى بأمثال العامة وأمثال المولدين وكان بعضها من المستحدث الذي اقتضته البيئة الجديدة وبعضها مما انتقل إلى العربية من تراث الشعوب الداخلة في الإسلام كالفرس والأقباط والبربر وعجم الأندلس : راجع : عبد العزيز الأهواني : أمثال العامة في الأندلس : ص ٢٣٧-٢٣٩ : محمد بن شريف : أمثال أبي يحيى الزجاجي رسالة دكتوراة : غير منشورة : سنة ١٩٨٦ ، ص ٩٣-٩٤ .

٢٩- أمثال ابن عاصم (٦٩٥) مأخوذة من أمثال أبي يحيى الزجاجي محمد بن شريف : ص ١٧٥ .

٣٠- محمد بن شريف : المرجع السابق : نفس الصفحة .

٣١- نفس المرجع والصفحة .

٣٢- نفس المرجع والصفحة .

٣٣- نفس المرجع والصفحة .

٣٤- يذكر ابن حزم الأندلسي أن البربر «من بقايا ولد حام بن نوح عليه السلام وادعت طائفة منهم إلى اليمن من حمير وبعضهم إلى بر بن قيس بن عيلان» راجع ابن حزم : جمهرة أنساب العرب : تحقيق ليفي بروفنسال : طبعة دار المعارف : ص ٤٦١ .

٣٥- حسين مؤنس : فجر الأندلس : ص ٣٩٦ «كان البربر أسرع اندماجاً في البيئة الجديدة عن العرب لأنهم لم تكن لهم عصبية كالعصبية العربية ولا لغة مكتوبة تحول بينهم وبين هذا الاندماج السريع، كما أن =

وبعد الفتح اتصل تيار الهجرة البربرية إلى الأندلس بشكل مستمر . وقد استقر البربر إلى جانب العرب في بعض نواحي الأندلس وانفردوا بأنفسهم في نواحي أخرى (٣٦).

هذا وقد شارك البربر في الصراع الذي اندلع بين عبد الرحمن بن معاوية (الداخل) واليمينية من جهة والقيسية من جهة أخرى، فكان لمواليه من بنى الخليفة (٣٧) وبنى نواس (٣٨) أكبر الأثر في تحقيق النصر على خصمه يوسف الفهري (٣٩). -أمير الأندلس- وإعلان قيام الدولة الأموية في الأندلس (٤٠).

= كثيرا من البربر لم يعد مرة أخرى إلى إفريقية بل تزجوا من نساء أهل البلاد راجع : لطفى عبد البديع : الإسلام في أسبانيا : المكتبة التاريخية : سنة ١٩٥٨ : ص ٣٢ ، حكمة على الأوسى : فصول في الأدب الأندلسي في القرنين الثاني والثالث للهجرة : نشر مكتبة الخانجي : سنة ١٩٧٧ : ص ٣٧-٣٨ .

Levi Provençal : L'Espagne Muslmane au xe Siegke, Paris: 1932 , p. 20 .

٣٦- عن أسماء القبائل البربرية وأماكن انتشارها واستقرارها في الأندلس أنظر : عبد الواحد طه : استقرار القبائل البربرية في الأندلس : مقال في مجلة أوراق : العدد الرابع : ص ٣٥-٤٨ : ص ١٩٨١ .

٣٧- بنو الخليفة من بربر قبيلة «مديونة» استقروا في مدينة تاكرنا وهي كورة في الجنوب وكانوا موالى ليزيد بن عبد الملك ولما علموا بوصول عبد الرحمن الداخل إلى رية أتوه أربعمائة فارس لمساعدته : راجع ابن حزم جهمرة أنساب العرب : ج ٢ : ص ٥٠٠ . ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس : ص ٤٨-٥٣ .

٣٨- بنو نواس : كان عبد الرحمن بن معاوية (الداخل) قد استقر عندهم في بلاد المغرب وبعث لهم مولاة بدر إلى الأندلس : راجع ابن حزم : المصدر السابق ج ٢ : ص ٤٩٩ . ابن القوطية المصدر السابق ص ٤٤ .

٣٩- ابن عذارى : البيان المغرب : ج ٢ : ص ٤٨-٤٩ ، ابن القوطية تاريخ افتتاح الأندلس ج ١ : ص ٥١-٥٢ ، عنان : دولة الإسلام وآثارهم في الأندلس في العصر الأول قسم (١) ص ١٤٥-١٥٨ ، سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس : ص ١٩٤-١٩٥ . بيروت سنة ١٩٦٥ .

٤٠- مجهول : كتاب أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بها بينهم ، نشر دون لافونتتين : القنطرة ، مدريد ، سنة ١٨٦٧م ، ص ٨٦-٩٠ ، ابن عذارى : البيان المغرب : ج ٢ : ص ٤٦-٤٧ ، ابن القوطية تاريخ افتتاح الأندلس : ص ٤٤-٥٣ ، ابن الأبار الحلة السيرة : ج ١ ص ٣٥ ، مجهول من أهل القرن الثامن الهجري ، الرابع عشر الميلادي ذكر بلاد الأندلس تحقيق لويس مولينا طبعة مدريد ١٩٨٣ المجلس الأعلى للأبحاث العلمية معهد ميجل أسين ، ص ٩٨ ، ص ١٠٩ ، ص ١١٤ ، المقرئ : نفع الطيب ج ١ : ص ٣٢٧ - ٣٢٤ ، ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد) كتاب العبر وديوان =

وعندما سيطر الأمويون على الأندلس لم يغيروا من وضع البربر الاجتماعى واكتفوا بالسماح لهم بالدخول إلى الأندلس والحياة فيها إلى جانب العناصر الأخرى، لكن البربر رأوا أن ذلك لا يكفيهم فبدأوا يشاركون فى الثورة خلال العصر الأموى، كما فعل شقيا بن عبد الواحد البربرى^(٤١) فى سنتبريه^(٤٢) والفتح بن موسى بن ذى النون ٥٣٠٠هـ / ٩١٢م^(٤٣) حين ثار

= المبتدأ والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر: طبعة بيروت : سنة ١٩٦٥: ج٤- ص١٩٠ ، عنان دولة الإسلام فى الأندلس : القسم الأول : العصر الأول : ص١٩٢ .

Levi Provencal : Histoire , vol, I, p. 103-104 . Aquado Bleye: Manuel de la Historie de Espana: T., Madrid, 1947 , p. 14-420 .

٤١- زعيم هذه الثورة رجل من قبيلة كتامة البربرية يدعى شقيا بن عبد الواحد ، كان يعمل معلماً للصبيان ، وكانت أمه تسمى بفاطمة فادعى أنه فاطمى من سلالة الرسول صلى الله عليه وسلم عن هذه الثورة راجع : النويرى (أحمد بن عبد الوهاب بن محمد عبد الدائم البكرى) : نهاية الأرب فى فنون الأدب : الجزء الثانى والعشرون : نشر جاسبار راميرو ، غرناطة : ١٩١٦-١٩١٧ م : ص١٦٢- ص١٦٣ ، ابن الأثير : كتاب الكامل فى التاريخ : طبعة القاهرة ١٣٥٣هـ : ج٥ : ص٦٠٥ ، عنان دولة الإسلام فى الأندلس : ق ١ : العصر الأول : ص١٦٤- ص١٦٥ .

٤٢- سنتبريه Santaven ، بلدة تقع شمال شرقى طليطلة بالقرب من منابع نهر تاجة، يروى الحميرى أن من أهم حصونها قلعة أقليش Ucles التى تقع الآن فى مقاطعة كونكة "Cuenca" راجع الحميرى: (أبو عبدالله محمد بن عبد المنعم الصنهاجى): صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار فى خبر الأقطار، تحقيق ليفى بروفنسال : القاهرة (١٩٣٧) ، ص٢٨ ، ياقوت : (شهاب الدين أبو عبدالله الحموى): معجم البلدان : طبعة دار صادر بيروت ، المجلد الثالث : ص٣٦٦ .

٤٣- ينتسب بنو ذى النون إلى بنى ذى النون بن سليمان بن طوديل بن الهيثم بن اسماعيل بن السمح بن ورد بن حيقن وهم من قبيلة هواة البربرية راجع : ابن حزم: جمهرة أنساب العرب : ص٤٦٤- ص٤٦٥ ، عن بنى ذى النون وثوراتهم فى عصر الدولة الأموية: راجع ابن حيان : المقتبس : تحقيق محمود على مكى، ص٣٣٠- ص٣٤٢ ، تحقيق ملشور أنطونية : ص١٧ ، ١٨ ، ابن الأثير الكامل فى التاريخ : ج٥ : ص٣٧١ ، مجهول : مدونة من عصر الخليفة عبد الرحمن الناصر لدين الله: نشرها وقام بدراساتها وترجمتها إلى الأسبانية الأستاذان ليفى بروفنسال وغرسية غومى : ص٣٣ .

Una cronica ananima de Abd Al rahman . III. al- Nassir , Madrid, Granada1950 .

الحميرى : الروض المعطار ص١٤ .

رياح^(٤٤) وتحصن فيها منادياً بنفسه أميراً عليها.

ويذكر حسين مؤنس أن حياة البربر قد تميزت بالاستقرار والمشاركة فى الجهاد الذى غلب على عبد الرحمن الناصر وقد فضلت أقلية منهم السكن فى المدن وحين غلب الخليفة عبد الرحمن الناصر على أجزاء من بلاد المغرب ، فتح باب الاتصال بين المغرب والأندلس فهاجر كثير من البربر إلى الأندلس ، فاستقرت جماعات كثيرة من البربر فى أخصب نواحي الأندلس الجنوبية والشرقية والغربية ، بل كادت ناحية الجزيرة الخضراء أن تكون قاصرة عليهم^(٤٥).

وفى النصف الأخير من القرن الرابع الهجرى ، بلغ البربر ذروة نفوذهم وأوج سلطانهم عندما رضى عنهم الحكم المستنصر^(٤٦) وأمر باستدعائهم فأحسن قبولهم وأجزل عطاهم وغض الطرف

٤٤- قلعة رباح قلعة من أعمال جيان وهى توصف بأنها فاصل بين أرض النصارى وأرض المسلمين وهى مسماة فى الأغلب على اسم التابعى على بن رباح اللخمي الذى اشترك فى فتح الأندلس . وكان الأمير محمد بن عبد الرحمن هو الذى بنى حصنها وحصنها وحلت محل مدينة أورतो Oreto القديمة . راجع : الحميرى: نفس المصدر : ص ١٦٣ ، ابن الأبار : الحلة السيرا : ج ٢ : ص ١٧٧- ص ١٧٨ : هامش رقم (٣) .

٤٥- راجع حسين مؤنس : ثورات البربر فى إفريقيا والأندلس : ص ١٩٤ : حولية كلية الآداب، فجر الأندلس : ص ٣٨١ ، عن سياسة الخليفة عبد الرحمن الناصر تجاه البربر راجع : ابن الخطيب : أعمال الأعلام فيمن يبيع قبل الاحتلال من ملوك الإسلام: القسم الثانى تحقيق ليفى برونسال ، الطبعة الثانية ١٩٥٦ : ص ٢١١-ص ٢١٢ ، ابن خلدون : العبر : ج ٤ : ص ٣٣ ، ج ٦ ، ص ١٣٤- ص ١٣٦ ، البكرى : (أبو عبد الله بن عبدالعزيز البكرى) المغربى فى ذكر بلاد إفريقيا والمغرب نشر دى سلان : ١٩١١ : ص ١٢٧-ص ١٢٨ ، وما بعدها ، ابن عذارى : البيان المغرب ج ٢ : ص ٢١١ ، ص ٢١٢ ، ٢١٣ ، ٢١٤ ، ٢١٦ ، ٢١٧ ، ٢١٨ - ص ٢٢٣ .

٤٦- ولى الخلافة بعد وفاة أبيه الخليفة عبد الرحمن الناصر وهو ابن سبع وأربعين سنة وقيل ابن ثمان وأربعين سنة وشهرين ويومين وذلك يوم الخميس لثلاث خلون من رمضان سنة خمسين وثلاثمائة وتوفى لليلته من صفر سنة ست وستين فكانت خلافته خمس عشرة سنة وخمسة أشهر وثلاثة أيام : راجع : ابن الأبار : الحلة السيرا : ج ١ : ص ٢٠٠- ص ٢٠٥ ، الحميرى (أبو عبد الله محمد) جذوة المقتبس فى ذكر ولاية الأندلس : ضمن المكتبة الأندلسية ، طبعة ١٩٦٦م. ص ١٣ ، الضنى : بغية الملتبس : ص ١٨ ، ابن سعيد : (المغربى) المغرب فى حلى المغرب : ج ١٨٦ : تحقيق شوقى ضيف ، ابن عذارى: نفس المصدر : ج ٢ : ص ١٩٢- ص ١٩٣ .

عن مذاهبهم^(٤٧) وبعد وفاة الحكم المستنصر (٣٦٦هـ/ ٩٦٧م) اعتمد الحاجب المنصور ابن أبي عامر^(٤٨) على البربر فى تكوين الجيش الأندلسى وتدعيمه واستجلب منهم أعداداً كبيرة حتى أصبحوا فى أواخر عصر الخلافة قوة هائلة^(٤٩).

وحين عجز البربر عن تحقيق أهدافهم دعوا فى بداية القرن الخامس الهجرى/ الحادى عشر الميلادى. إلى فوضى اجتماعية فى الأندلس ، فقد عمدوا إلى المعالم الحضارية يخربونها ، وشاركوا فى تمزيق وحدة الأندلس وفرضوا سلطانهم^(٥٠) على أهم المناطق الأندلسية فى الشمال

٤٧- ابن حيان : المقتبس : ج٢ : تحقيق : الحجى : ص١٩٢-١٩٣ ، ويذكر ابن حيان أنه اجتمع للخليفة الحكم المستنصر من فرسان البربر ما يقارب السبعمائة فارس حيث وقفت عليه قبائل زناتة ومغراوة من المغرب تملن طاعتها وانطوائها تحت لوائه: راجع ابن حيان : المقتبس : ج٢ ص١٧٤ ، ١٧٥ - ص١٩٢ ، ١٩٣ . ابن خلدون: العبر : ج٤ : ص١٤٦ ، ابن القاضى (أحمد بن محمد) جذوة الاقتباس فيمن حل من الأعلام مدينة فاس : ١٣٠٩ م : ص٣١٢ .

٤٨- يرجع محمد بن عبدالله بن محمد بن عبدالله بن أبي عامر إلى أصل من الأصول العربية وكان جده عبدالملك بن أبي عامر المعافى أول من دخل الأندلس مع العرب الفاتحين ، ولد ابن أبي عامر فى حصن طرش الواقع على وادى يابرة حيث استقرت عائلته فى الجزيرة الخضراء وكان ابن أبي عامر طموحاً شجاعاً رفيع المواهب والخلال ، أنظر : ابن بسام : (أبو الحسن على بن بسام الششترينى) الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة : قسم ٤ مجلد ١ : ص٤٢ ، ابن عذارى : البيان المغرب: ج٢ : ص٢٥٦ وما بعدها : ابن الخطيب : (اللسان الدين ابن الخطيب السلماني) الإحاطة فى أخبار غرناطة تحقيق محمد عبدالله عنان طبعة القاهرة ١٩٥٦م : ص٤٧٤ ، ابن الأثير : الحلة السيرة : ج١ : ص١٤٣ وما بعدها .

٤٩- ابن خلدون : العبر : ج٦ : ص١٧٩-١٨٠ ، ابن الخطيب ، أعمال الأعلام: ص٦٣-٨٧ ، ابن حزم : جمهرة أنساب العرب: ص٤٩٨-٥٠٢ ، ابن عذارى: المصدر السابق : ج٢ : ص٢٧٩-٢٨٠ .

٥٠- عن دور البربر فى سقوط الخلافة الأموية فى الأندلس : راجع : ابن عذارى البيان المغرب : ج٣ : ص١٠٠-١٢٥ وما بعدها ؛ الحميرى: (أبو عبدالله محمد بن أبي نصر فتوح ابن عبدالله الأزدي: جذوة المقتبس فى ذكر ولاية الأندلس) ص١٨-١٩ الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر ١٩٦٦ ، ابن الخطيب أعمال الأعلام : ص١٢٦-١٣٢ ، عبد الواحد المراكشى : المعجب فى تلخيص أخبار المغرب : تحقيق محمد سعيد العريان ص٤٢ طبعة ١٩٦٥ ، سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم ص٣٤٧-٣٥١ ، أحمد مختار العبادى: فى تاريخ المغرب والأندلس: ص ، ابن بسام : () الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة القسم الأول : ص٢٥ وما بعدها .

والجنوب والوسط «وعلى أيديهم كان سقوط الخلافة وتفريق الجماعة والتمهيد للفتنة حتى أشرفت الأندلس على الهلكة»^(٥١). ويذكر عبدالله عنان أنه بعد انحلال الدولة الأموية وسقوطها أثر الفتنة البربرية التي عمت قرطبة تكاثرت الهجرة البربرية إلى الأندلس ، حيث كان لصنهاجة دور بارز فيها^(٥٢).

هذا وقد بلغ دور البربر وخاصة صنهاجة ذروته مع الفتح المرابطي فأنزلوا قبائلهم في الشغور^(٥٤).

ولما فتح الموحدون الأندلس ساروا على سنة أسلافهم فأسكنوا الموحدون مدن الأندلس وثغوره، وبدأ عبد المؤمن^(٥٥) بن على هذه السياسة^(٥٦) وسار خلفاؤه عليها .

٥١- ابن حيان المقتبس : تحقيق الحجى : ص ١٩٣ .

٥٢- عنان : دولة الإسلام في الأندلس : عصر ملوك الطوائف : ص ٤٤ وما بعدها .

٥٣- عنان : المرجع السابق : نفس الجزء ، ص ٤٤ ، ص ١١٨ وما بعدها ، إحسان عباس : الأدب الأندلسي في عصر الطوائف والمرابطين : ص ١٣-١٤ .

٥٤- مجهول : ذكر بعض مشاهير فاس في القديم ، تحقيق عبد القادر زمامة: مجلة البحث العلمي: الرباط : ص ٥٢ عام ١٩٦٤ ، ١٩٦٥ ، النشرىشى : (أبو العباس يحيى) المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس: ج ٣ : مطبعة الشافعية بدون تاريخ : فاس : ص ٣٠٦ .

٥٥- هو الخليفة الموحدى عبد المؤمن بن على الكومى (٥٢٤هـ- ٥٨٨هـ) والكومى نسبة إلى كومة أو كومية قبيلة نازلة بساحل البحر من أعمال تلمسان ، وأمه حرة من كومية أيضاً ، وكان والد عبد المؤمن بن على صانعاً فى عمل الطين يعمل منه الأواني والجرار فيبيهما وذلك كل رزقه ، ثم كان من أمر ابنه عبد المؤمن ما كان ، راجع التويرى : (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب بن محمد) نهاية الأرب فى فنون الأدب : ج ٢٤ : تحقيق حسين نصار : المجلس الأعلى للثقافة- (الهيئة المصرية العامة للكتاب) ، ابن أبى زرع (أبو الحسن على بن عبدالله) الرباط: ١٩٧٢ : ص ١٨٧ ، البيدق : (أبو بكر الصنهاجى) : أخبار المهدي بن تومرت وابتداء دولة الموحدون نشر ليفى بروفنسال : ١٩٢٨ باريس : ص ٢١ ، ٢٢ طبعة دار المنصور ١٩٧٢ ، المراكشى (عبد الواحد) المعجب فى تلخيص أخبار المغرب : تحقيق محمد سعيد العريان : القاهرة (١٣٣٨هـ- ١٩٦٣)

٥٦- البيدق : المصدر السابق : ص ١٢٥-١٢٧ .

أما عن علاقة البربر بالأندلسيين ، فقد بينها المقرئ بقوله (عرف أهل الأندلس ببغضهم وعداوتهم للبربر فلتجد أندلسياً إلا مبيغضاً بربرياً وبالعكس ولكن البربر^(٥٧) كانوا أخرج إلى أهل الأندلس لوجود بعض الأشياء عندهم، وهم فى نظر الأندلسيين «نكد وشؤم والدماء عندهم هوان» وإذا غضبوا قتلوا أو جرحوا^(٥٨).

وكان دخول البربر فى الحياة المدنية فى الأندلس بصورة واسعة من الأشياء التى آلت آلاف الأندلسيين الذين كانوا أسبق فى مجال الحياة المدنية^(٦٠) ومما زاد فى هذه الفجوة بين الأندلسيين والبربر ما يسميه ابن الخطيب «النفرة الطبيعية بين الأندلسيين والمغاربة»^(٦١) كذلك يذكر المقرئ (فى نفعه) نقلاً عن الحجارى^(٦٢) و«أهل العدو بالطبع يكرهون أهل الأندلس» ويذكر الشقندى أنه لولا توسط ابن عباد لدى شعراء الأندلس فى مدح الأمير يوسف بن تاشفين أمير دولة المرابطين « ما أجروا له ذكراً ولا رفعوا لملكه قدراً»^(٦٣) وعرضوا بجهل الأمير يوسف بن تاشفين باللغة العربية^(٦٤) ، هذا وقد أبرز الشعراء الأندلسيون تلك العداوة بين أهل الأندلس والبربر فجرت أشعارهم على لسان الأندلسيين^(٦٥).

يقول السمسير فى هجاء البربر:

٥٧- المقرئ : نفع الطيب : ج ١ .

٥٨- المراكشى : المعجب : ص ٩٩ .

٥٩- ابن عبدون : رسالة فى القضاء والحسبة (ضمن مجموعة ثلاثة رسائل أندلسية فى الحسبة) تحقيق

ليفى بروفنسال : مطبعة المعهد العلمى الفرنسى للأثار الشرقية : القاهرة ١٩٥٥ .

٦٠- عز الدين موسى : النشاط الاقتصادى فى المغرب الإسلامى فى القرن السادس الهجرى : دار

الشروق : ١٩٨٣ : ص ٨٢ .

٦١- ابن الخطيب : أعمال الأعلام : ص ٢٢٧ .

٦٢- المقرئ : نفع الطيب : ج ٦ : ص ١٢ .

٦٣- المقرئ : المصدر السابق : ج ٣ ، ص ١٩١ .

٦٤- المقرئ : نفس المصدر : الجزء والصفحة .

٦٥- هنرى بيرس : الشعر الأندلسى فى عصر الطوائف (ملاحم العامة وموضوعاته الرئيسية وقيمته

التوثيقية) ترجمة الطاهر أحمد مكى : ص ٢٣٦-٢٣٧ .

رأيت آدم في نومي فقل له : أبا البرية إن اناس قد حكموا
 إن البرابر نسل منك ، قال إذن حواء طالقة إن كان مازعموا (٦٦)

وقال أيضاً في ذم ابن بلقين صاحب غرناطة عندما كان يبني قلعة يتحصن فيها ، قال
 السميسر :

يبني على نفسه سفاهاً كأنه دودة الحرير (٦٧)

ومن شعر المعتمد بن عباد (٦٨) يعتذر لوالده عن هزيمته (٦٩) أمام مالقه (٧٠) يقول :

٦٦- المقرئ : النفع ج٣ : ص ٤١٢ .

٦٧- المقرئ : نفس المصدر : ج٣ : نفس الصفحة .

٦٨- ابن عذارى : نفس المصدر : ج٣ : ص ١٧٥ ، المعتمد : الديوان ، جمع وتحقيق أحمد بدوي واحد
 عبد المجيد القاهرة ١٩٥٥ ، ص ٣٨ ، ابن الأبار : الحلة السيرة : ج٢ : ص ٥٦- ص ٥٧ .

٦٩- وتفصيل ذلك الخبر يقول ابن الأبار نقلاً عن ابن بسام أن مالقة كانت تحت سلطان باديس بن حبوس
 صاحب غرناطة وكان أهلها يكرهون حكمه ويتمنون أن يصيروا إلى حكم المعتضد بن عباد لأنهم كانوا يكرهون
 أن يكونوا تحت حكم أمير البربر فانتهزوا فرصة إبعاد باديس عن غرناطة وأرسلوا للمعتضد ، فأرسل ابنه
 جابر ومحمد (الذي سيخلفه ويلقب بالمعتمد) فأسرع من مالقة إلى رندة ، واستوليا على البلد إلا القسبة
 تحصن فيها جماعة من جند باديس السود ، وأرسلوا يستغيثون به فأرسل إليهم الإمداد ، فلما وصلت مزقت
 شمل قوات ابن عباد وفروا واعتصموا في رندة : راجع ابن الأبار : الحلة السيرة : ج٢ ص ٥٦ هامش رقم ١ .

٧٠- مالقة بالأسبانية "Malaga" وتقع على الساحل الجنوبي الشرقي للأندلس ، وكانت مالقة خلال
 الفترة الأولى من العصر الإسلامي في الأندلس من أعمال كورة رية وفي عهد الخليفة عبد الرحمن الثالث
 (٣٠٠هـ - ٣٥٠هـ / ٩١٢م - ٩٦٦م) زادت أهمية مالقة حيث جعلها إحدى القواعد البحرية الهامة . وفي
 عهد دويلات الطوائف (أوائل القرن الخامس الهجري) أصبحت مالقة من أهم مدن الأندلس المطلّة على الساحل
 الجنوبي الشرقي ، فقد اتخذها بنو حمود الأدارسة حاضرة لخلافتهم بقرطبة في أوائل القرن الخامس الهجري
 (الحادي عشر الميلادي) ويمتدح الجغرافيون المسلمون موقع مالقة ويعددون خصائصها الجغرافية المختلفة ،
 فيصفها الإدريسي بأنها مدينة حسنة عامرة أهلة ، تمتاز بالمنعة والحصانة ، ويعدد المقرئ مزايا مالقة بأنها
 جامعة بين مرافق البر والبحر ، كثيرة الفواكه ، أما ابن الخطيب فيصفها بأنها «غامرة الفلاحة المخصوصة
 بالاعتدال» ، كذلك يشير ابن غالب إلى أنها حاضرة من أعظم حواضر الأندلس ، أما الحميري فيحدثنا عن =

لم يأت عبدك ذنباً يستحق به عتباً وها هو أفاك يعتذر
ما الذنب إلا على قوم ذوى غل وفى لهم عهدك المعهود إذ غدروا^(٧١)

هذا وقد جرت على السنة العامة من الأندلسيين بعض الأمثال الشعبية وهى فى مجموعها توضح كراهية العامة من الأندلسيين للبربر واحتقارهم لهم ومن هذه الأمثلة مثل يقول :

«بحال غازى لاينكرى ولايعطيك»^(٧٢) ومعناه كما يذكر محمد بن شريفة أن الغازى ويقصد به (البربر) إذا استدان وطولب بأداء الدين لاينكر ديننا عليه ولكنه فى الوقت نفسه لا يؤديه ومن أمثالهم أيضاً :

= كثرة أسواقها الجامعة ويضيف العمرى أن مالقة تنتمى بعمل صنائع الجلود والمنسوجات والتحف الزجاجية ويذكر ابن بطوطة أن بمالقة يصنع الفخار المذهب العجيب الذى يجلب منها إلى أقصى البلاد، عن مالقة راجع ابن غالب (محمد بن أيوب الأندلسى) فرحة الأتفس : تحقيق لطفى عبد البديع ، معهد المخطوطات العربية ج ٢ : القاهرة ١٩٥٥ : ص ٢٩٤ ، الإدريسي (محمد بن عبدالله بن إدريس بن الشريف) صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس ، مأخوذة من كتاب نزهة المشتاق : طبعة دار عالم الكتب ، الطبعة الأولى : ١٩٨٩م / ١٤٠٩هـ : ص ٥٦٥ - ص ٥٧٠ ، ابن الخطيب (السان الدين ابن الخطيب) مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب ، تحقيق أحمد مختار العبادى : الاسكندرية عام ١٩٥٨م ، ص ٦٠ ، الحميرى (محمد بن عبد المنعم الحميرى) الروض المعطار فى فجر الأقطار : تحقيق إحسان عباس : طبة بيروت ١٩٨٤ : ص ٥١٧ ، تحقيق ليفى بروفنسال ص ١٧٨ ، ابن بطوطة () رحلة ابن بطوطة المعروفة بتحقيق على الكنانى : بيروت ١٩٨٢ ص ٧٦٨ ، ابن سعيد المقرئ : المغرب فى حلى المغرب : تحقيق شوقى ضيف : طبعة دار المعارف : ج ١ : ص ٤٢٤ ، العمرى : (ابن فضل الله العمرى) وصف إفريقيا والأندلس . من كتاب مسالك الأبهصار ، نشر حسن عبد الوهاب : بدون تاريخ ، ص ١٠٦ - ٢٠٨ ، رجب محمد عبد الحليم : دولة بنى حمود فى مالقة بالأندلس : رسالة ماجستير غير منشورة : ١٩٧٦ ص ٢٢٩ - ٢٤٧ ، محمد عبد العزيز مرزوق : الفنون الزخرفية فى المغرب والأندلس : بيروت ، دون تاريخ ، ص ١٠٦ - ٢٠٨ ، كمال السيد أبو مصطفى : مالقة الإسلامية فى عصر دويلات الطوائف (القرن الخامس الهجرى / الحادى عشر الميلادى) دراسة فى مظاهر العمران والحياة : مؤسسة شباب الجامعة : ١٩٩٣ : ص ٥ - ٩ .

Abd el- Aziz Salem, Centras de ceramica , Revista Awarq, madrid: 1984 , p. 228-229 .

٧١- المقرئ : نفس المصدر : ج ٣ : ص ٤١٢ .

٧٢- عبد العزيز الأهوانى : أمثال العامة فى الأندلس (بحث مع أمثال ابن هشام اللخمي وأمثال ابن عاصم القرناطى) - للدكتور طه حسين فى عيد ميلاده السبعين : دار المعارف : مصر ١٩٦٢ (أمثال ابن عاصم رقم ٢٦٩ ص ٢٦٥ - ص ٢٦٦) .

«البربر والفار لاتعلم باب الدار» (٧٣) (٧٤) كذلك عبر الأندلسيين عن ضيقهم بكثرة مطالب البربر وطمعهم بهذا المثل .

«عطى للبربر شبر طلب ذراع» (٧٥).

وفى بعض الأمثال يوصف أهل دكالة (٧٦) بشهادة الزور وأهل سلا (٧٧) بالحق فيقولون عن بربر دكالة :

«شاهد دكالة من قاع المطمورة» (٧٨).

أما أهل سلا فيقول عنهم :

٧٣- محمد بت شريفة : أمثال أبى يحيى الزجاجى : ص ١٧٨ .

٧٤- محمد بن شريفة : المرجع السابق : مثل الزجاجى رقم ١٧٥ ص ١٧٧ .

٧٥- الأهوانى : أمثال العامة : ص ٢٦٥ ، محمد بن شريفة : نفس المرجع زجل رقم ١٦٤٤ : ص ١٧٧ .

٧٦- «تبدأ مقاطعة دكالة من غرب نهر التانف وتنتهى شمالاً على المحيط جنوبى نهر العبيد غربى نهر أم الربيع ومثل هذه المنطقة مسافة أربعة أيام وطولاً يومين عرضاً تقريباً وهى كثيرة السكان ولكن الأهالى أشرار وجهال ولا نجد سوى القليل من المدن المسورة» راجع الحسن الوزان : (الحسن بن محمد الوزان الزياتى) (ليون الإفريقى) وصف إفريقية : منشورات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية الرياض ١٣٩٢هـ : ص ١٥٧ .

٧٧- يقول الإدريسى عن سلا «وسلا الحديثة على ضفة البحر المالح منبوعة من جانب البحر لا يقدر أحد من أهل المراكب على الوصول إليها من جهة، وهى مدينة حسنة حصينة فى أرض رحل لها أسواق نافقة وتجارات ودخل وخرج وتعرف لأهلها وسعة أموال وفقر أموال والطعام بها كثير رخيص وبها كروم وغللات وبساتين وحدائق ومزارع ومراكب أهل أشبيلية وسائر المدن الساحلية من الأندلس يقطعون عنها ويحطون بها بضروب البضائع وأهل أشبيلية يقصدونها بالزيت الكثير وهو بضاعتهم ويجهزون منها بالطعام إلى سائر بلاد الأندلس الساحلية» راجع : الإدريسى : نزهة المشتاق : ج ١ : ص ٢٣٨- ٢٤٦ ، ابن سعيد (محمد الصفاقسى) : نزهة الأنظار فى عجائب التواريخ والأخبار : تونس : ١٣٣١هـ : ص ١٤ ، مجهول : كتاب الاستبصار فى عجائب الأمصار ، نشر وتعليق : سعد زغلول عبد الحميد : ص ١٤٠- ١٤٢ ، ياقوت : (شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت عبد الله الحموى الروصى البغدادى) معجم البلدان : طبع ونشر دار صادر : بيروت : ج ٣ : ص ١٠٩ ، راجع الحسن الوزان : المصدر السابق : ص ٢٠٩ .

٧٨- محمد بن شريفة : أمثال أبى يحيى الزجاجى : ص ١٧٨ مثل رقم ١٢٠ .

« إذا ريت هلاوى ، إدر أنه سلاوى » (٧٩).

كذلك وصلت إلينا بعض الأمثلة إلى تناولها الأندلسيون أثناء حكم المرابطين كقولهم « طالع هابط بحل عمام فى رأس مرابط » (٨٠) والواضح أن الأندلسيين كانوا يقولونه للسخرية من البربر والمرابطين أصحاب العمائم، إذ كان لبس العمائم فى الأندلس زياً خاصاً بالبربر (٨١)، هذا ولم يرد فى مدح البربر إلا مثل واحد وهو قولهم .
« لاجر إلا زناتى ولا فرس إلا مكلاتى » (٨٢).

الصقالبة (٨٣) :

المقصود بالصقالبة فى الكتب العربية سكان البلاد المختلفة من بلغاريا العظمى التى امتدت أراضيها من بحر قزوين إلى البحر الأديانى (٨٤)، على أن كلمة صقلب "Esclave" فرنسية قديمة ومعناها عبد أو رقيق وهى التسمية التى أطلقها الجغرافيون العرب فى العصور الوسطى على الشعوب السلاقية عامة، لأن بعض الجرمان والسكندناوين دأبوا على سبى تلك الشعوب السلاقية وبيع رجالها ونسائها إلى عرب الأندلس ولذا أطلق عليهم اسم الصقالبة (٨٥) ثم توسع العرب فى استعمال هذا الإسم فأطلقوه على أرقائهم الذين جلبوهم من أى أمة

٧٩- محمد بن شريفة : نفس المصدر : ص ١٨٠ : مثل رقم ١٠٦٢ .

٨٠- محمد بن شريفة : نفس المصدر : ص ١٨٠ : مثل رقم ١٠٦٢ .

٨١- المقرئ : نفع الطيب : ج ١ ص .

٨٢- محمد بن شريفة : نفس المرجع : ص ١٨١ { : مثل رقم ١٩٨٥ .

٨٣- صقالبة جمع صقلب ويسمون كذلك بالفتيان راجع .

Levi Provençal : L'Espagne musulmane au xe Siecle. P. 54 .

٨٤- ابن حوقل : (أبو القاسم محمد بن على) صورة الأرض : نشر مكتبة الحياة ببيروت ١٩٧٩ : ص ١٠٦ .

٨٥- كان يطلق على كل الصقالبة (الخصيان) وهذا لا يزيد على كونه اصطلاح وإلا فنجد بدر بن أحمد الصقالبي وصيف الأمير عبدالله بن محمد (٢٧٥-٣٠٠هـ) يوصف فى المصادر بأنه خصى مع أنه أنجب ولدين، راجع : ابن الأثير : الحلة السيرة : ج ١ : ص ٢٥٢ .

مسيحية واستخدموهم. وكان الصقالبة والأتراك أشهر أنواع الرقيق الأبيض فى المجتمع الإسلامى لكن الصقالبة كانوا موضع التفضيل ، فيستخدم التركى عند غيبة الصقلبي (٨٦) وكان الرقيق الأبيض من الصقالبة يتخذ طريقه الرئيسى إلى العالم الإسلامى من شرق ألمانيا إلى إيطاليا وفرنسا ومنها إلى الأندلس عن طريق نهر الرون وقطلونية حتى ثغر بجانة» (٨٧).

هذا وقد استخدم الأمويون فى الأندلس نوعاً من الرقيق الصقلبي هم الخصيان (٨٨) على أن احترام تلك الصنعة (عملية الخصى) لم يكن قاصراً على اليهود وحدهم بل نرى أن المسلمين أنفسهم قد شاركوا فى هذا المضمار لاسيما فى مناطق الشغور المتصلة بفرنسا وقد تعلم (الخصى أو الخصاء) قوم من المسلمين هناك، فصاروا يخصون ويستحلون المثلة (٨٩) وقد استخدم الأمويون هؤلاء الصقالبة فى الخدمة داخل قصورهم بصفة عامة وخدمة الحرم بصفة خاصة (٩٠).

٨٦- العبادى : (أحمد مختار) الصقالبة فى أسبانيا ، لمحة عن أصلهم ونشأتهم وعلاقتهم بحركة الشعوبية : ص ٧ ، آدم متز : الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى (عصر النهضة فى الإسلام) ترجمة محمد عبد الهادى أبو ريدة : الناشر دار الكتاب العربى : المجلد الأول : ص ٣٠٠ .

٨٧- ثغر بجانة "Pechina" بفتح الباء بعدها جيم مفتوحة مشددة بعدها ألف وبعد الألف نون ، مدينة بالأندلس من أعمال كورة البيرة ، خربت وانتقل أهلها إلى المرية وبينها وبين المرية فرسخان «الفرسخ = ١٦ ك. م.» ويقول الحميرى أن الميرة كانت تجلب إليها من هر العدو بضروب المرافق والتجارات» وكانت بجانة مركزاً لتجارة العبيد الواردين من أوروبا ، حيث يستخدمون كبحارة ، كما تم تأهيلهم ، أو إجراء عملية الخصاء لهم وكان يقوم بتلك المهمة جماعات من اليهود « عن بجانة راجع ياقوت : معجم البلدان : ج١ : ص ٣٣٩ ، الحميرى : الروض المعطار : ص ٣٧ ، أحمد بدر : تاريخ الأندلس فى القرن الرابع الهجرى : دمشق ، ١٩٧٤ ، ص ٢٣٥ .

٨٨- كانت عملية الخصاء عملية خطيرة قد يذهب ضحيتها العديد من الأفراد مما جعل ثمن الخصيان مرتفع بلغ فى بيزنطة أربعة أضعاف ثمن الفحول : راجع أحمد بدر : المرجع السابق : ص ٢٣٥ ، سعد عثمان : المجتمع الإسلامى فى الأندلس : ص ٩٣ .

٨٩- المقرئ : نفع الطيب : ج١ : ص ١٤٠ : طبعة ١٩٤٩ : ، سعد عثمان : ص ٩٤ ، راجع ابن بسام (أبو الحسن على بن بسام الشنترىنى : الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة ، القسم الرابع : المجلد الأول ، القاهرة : ١٣٦٤ - ١٩٤٥ : ص ٣٤ - ص ٣٤ وما بعدها .

٩٠- راجع : ابن الأبار : الحلة السيرا . : ج١ ص ٢٥٢ - ٢٥٣ ويطلق عليهم ابن عذارى اسم العلوج =

وكان الحكم بن هشام (الريضى) (٩١) - (١٨٠هـ - ٢٠٦هـ) قد أعلا قدرهم عندما اتخذ منهم حرسه الخاص (٩٢).

وقد أخذ عدد الصقالبة يزداد قبلغوا فى القرن الرابع الهجرى فى عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر ٣٩٥٠ صقليياً بمدينة الزهراء (٩٣) ثم ارتفع هذا العدد حتى بلغ ١٣٧٥٠ من الرجال و ٦٣٥٠ من النساء (٩٤).

ولم يكن استخدام الصقالبة قاصراً على الخلفاء والأمراء فقط، فقد استكثر الأثرياء من الصقالبة وذلك بقدر زيادة ثروتهم (٩٥) هذا وقد جاء أكثر الصقالبة أطفالاً من الجنسين إلى

= ابن عذارى : البيان المغرب : ج٣ : ص ١٦٢ كما ترد تسميتهم بالحرس لعجميتهم وبالماليك : المقرئ : نفع الطيب : ج١ ص ، راجع أيضاً : العبادى : الصقالبة فى أسبانيا : ص ٩ .

٩١- تولى الحكم بعد وفاة والده الأمير هشام بن عبد الرحمن وله اثنان وعشرون سنة يكتى أبا العاصى، وأمه أم ولد اسمها زخرف وهو أول من جند الأجناد وأخذ الغدة وكان فحل بنى أمية بالأندلس وأشدهم إقداماً ونجدة وكان يشبه بأبى جعفر المنصور فى شدة الملك وتوطيد الدولة وقمع الأعداء : راجع الحميرى : جذوة المقتبس : ص ١٠ ، ابن عذارى : البيان المغرب : ج٢ : ص ٦٨- ص ٧١ ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس، ص ٦٤- ص ٧١ ، ابن الأبار : الحلة السيرة : ج ١ : ص ٤٣- ص ٤٤ وما بعدها ، المقرئ : نفع الطيب : ج١ : ص ٣٤٠ .

٩٢- يسميهم الحرس لعجميتهم : راجع ، المقرئ : المصدر السابق : ج١ ص ٣٤١- ص ٣٤٢ ، يقول ابن سعيد المغربى : المغرب فى حلى المغرب : ج١ ص ٣٩ وهو أول من استكثر من الحشم والحشم، وارتبط الخيول على بابيه ، فتأوا جبايرة الملوك فى أحواله ، وبلغ مماليكه خمسة آلاف. ثلاثة آلاف منهم فرسان وهم الحرس سموا بذلك لعجميتهم .

٩٣- مدينة فى غربى قرطبة ، بناها الناصر عبد الرحمن بن محمد بينها وبين قرطبة خمسة أميال : راجع ابن عذارى : المصدر السابق : ج٢ : ص ٣٢١- ٣٣٣ ، الحميرى : الروض المعطار : ص ٩٥ ، المقرئ : نفس المصدر : ج١ : ص ٥٢٣ .

٩٤- المقرئ : نفس المصدر : ج٢ : ص ١٠٢- ص ١٠٣ ، العبادى : الصقالبة فى أسبانيا : ص ١١ .

٩٥- صلاح خالص : أشبيلية فى القرن الخامس الهجرى : ص ٧٢ ، العبادى : الصقالبة فى أسبانيا :

الأندلس حيث ربوا تربية إسلامية ودرّبوا على أعمال القصر^(٩٦) وعلى الرغم من أن الصقالبة لم يذوّبوا في المجتمع الأندلسي مثل العرب والبربر فقد استطاع عدد كبير منهم أن يحتل مكانة عالية في المجتمع الأندلسي^(٩٧) فكان منهم في عهد الناصر قائد الجيش الأعلى نجدة^(٩٨) الصقلبي أفلح^(٩٩) صاحب الخيل ودرى^(١٠٠) صاحب الشرطة وباسر وقام صاحب النظر على الخاص^(١٠١). وفي عهد الخليفة الحكم المستنصر زاد نفوذ الصقالبة^(١٠٢)، فكان منهم قائد حروبه غالب^(١٠٣) ابن عبد الرحمن والمسيطر على أموره

٩٦- محمد عبدالله عنان : دولة الإسلام في الأندلس : القسم الثاني : العصر الأول : ص ٤٥٠ .

٩٧- ابن الأثير : الحلة السيرة : ج ١ : ص ٢٥٨ ، وجودة الركابي : في الأدب الأندلسي : ص ٣٩ ، عنان دولة الإسلام في الأندلس : العصر الأول القسم الثاني .

٩٨- تولى نجدة قيادة الحملة التي وجهها الخليفة الناصر إلى ملك ليون ٣٢٧ هـ، كما تولى قنذ حكم طليطلة ٣٦٦ هـ، عن قيادة نجدة للحملة الموجهة ضد ملك ليون وهزيمة جند الناصر وتخاذل العرب في تلك المعركة راجع : مجهول : أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها والحروب الواقعة بينهما : تحقيق ونشر لافونتين : القنطرة مدريد : ص ١٥٥ وما بعدها .

٩٩- رحل إلى المشرق سمع بمكة من ابن سعيد الأعرابي، ابن الفرضي : تاريخ علماء الأندلس : ترجمة رقم (٢٦٢) ، ص ٨٣ ، ابن حيان : المقتبس : تحقيق الحجى : ص ٣٠-٤٧ .

١٠٠- درى الصقلبي مولى الخليفة عبد الرحمن الناصر رحل إلى المشرق أيضاً وسمع بمكة من ابن سعيد الأعرابي وحدث وكتب عنه . ابن الفرضي، المصدر السابق: ترجمة ٤٣٣، ص ١٤٦ ، ابن عذارى : البيان المغرب : ج ٢ : ص ١٩٤ ، ابن حيان : المقتبس تحقيق الحجى : ص ٢٥ ، ص ٢٦ ، ص ١٠٣ ، ص ١٢٨ .

١٠١- ابن حيان : المقتبس: تحقيق الحجى : ص ٩٢ ، عنان : دولة الإسلام في الأندلس: ص ٤٥٠ .

١٠٢- وصل نفوذ الصقالبة إلى منتهاه في دولة الحكم المستنصر فقد أخفوا موته وحاولوا تعيين خليفة جديد يتفق مع رغباتهم وأهوائهم والتخلى عن صاحب الحق في ذلك وهو هشام المؤيد ابن الحكم لكن لم يتم ذلك وكان سبباً في إقصائهم : راجع ابن الخطيب : أعمال الأعلام : ص ٦٠ ، ص ٦١ ، العبادى : نفس المرجع : ص ١٦-١٧ .

١٠٣- هو غالب بن عبد الرحمن الناصري : أحد أمراء البحر ومولى الخليفة عبد الرحمن الناصر، أضحي أيام الخليفة الحكم المستنصر من كبار رجال الدولة ثم صار حاكم الشجر الأعلى وصاحب مدينة سالم وأراد المنصور ابن أبي عامر أن يألفه ليستعين به في حروبه . وكان غالب من فرسان الأندلس العظام فتزوج ابنة =

فائق (١٠٤) وجؤذر (١٠٥) وقد أثار ذلك نقمة المنصور ابن أبي عامر (١٠٦) الذى بدأ نحمه يتألق بوفاة الخليفة الحكم المستنصر وإسناد الأمر إليه وذلك بالإشراف على رعاية الخليفة الطفل هشام بن الحكم (١٠٧) «المؤيد» وقد كانت الفرصة سانحة لابن أبي عامر الذى قضى على نفوذ الصقالبة (١٠٨) وأجبرهم على أن يلزموا منازلهم ، فشتت شملهم (١٠٩) وكانت بداية عهده بداية نكسة الصقالبة (١١٠).

= غالب وتدعى أسماء وسرعان ما دب الخلاف بين المنصور وغالب وانتهى بمعركة حربية قتل فيها غالب ٣٧١هـ - ٩٧١م، راجع ابن حيان : المقتبس بتحقيق الحجى : ص ٢٤ هامش رقم ٣ ، ابن الخطيب : أعمال الأعلام : ص ٦٢ - ٦٥ ، عنان ، دولة الإسلام على الأندلس : قسم ٢ العصر الأول : ص ٧٨٦ .

Levi Provencul : Historia de Espana Musulmana , p.416 Dozy : Spanish Islam p. 494 .

١٠٤- هو فائق الفتى الكبير الصقلبي : صاحب البرد والطراز فى خلافة الخليفة الحكم المستنصر ، راجع ابن حيان : المقتبس : تحقيق الحجى ، ص ٦٣ : ٦٦ : ٧٧ ، ص ٢١٩ ، ٢١٢ .

١٠٥- هو جؤذر صاحب الصاغة والبياذرة فى دولة الخليفة الحكم المستنصر ، ابن عذارى : البيان المغرب : ج ٢ : ص ٢٥٩ ، ابن حيان : المقتبس : تحقيق الحجى : ص ١١٩ - ١٢٢ .

١٠٦- يرجع محمد بن محمد بن عبد الله بن أبى عاو إلى أصل من الأصول العربية، وكان جده عبدالملك بن أبى عاو المصافرى أول من دخل الأندلس مع العرب الفاتحين ، ولابن أبى عاو فى حصن طرش الواقع على وادى يابرة حيث استقرت عائلته فى الجزيرة الخضراء وكان ابن أبى عامر طموحاً وشجاعاً رفيع المواهب : عن أخبار ابن أبى عامر : راجع ابن بسام : الذخيرة : مجلد ١ قسم ٤ ص ٣٤ ، ابن الخطيب : الإحاطة فى أخبار غرناطة : ص ٤٧٤ طبعة القاهرة : سنة ١٩٥٦ ، راجع أيضاً أخبار المنصور بن أبى عامر فى بن الأبهار : الحلة السيسراء : ج ١ : ص ٢١٥ ، ص ٢١٦ ، ص ٢١٩ ، ص ٢٢٠ ، ص ٢٢٦ ، ص ٢٢٧ ، ص ٢٣٩ ، ص ٢٥٨ ، ص ٣٣ ، ص ٥٠ ، ص ١٣٥ ، ص ١٨١ ، ابن عذارى : البيان المغرب : ج ٢ : ص ٢٥١ ، ص ٢٨٤ .

١٠٧- ابن عذارى : البيان المغرب : ج ٢ : ص ٢٥١ ، سعد عثمان : المجتمع الإسلامى فى الأندلس : ص ٩٧ .

١٠٨- ابن خلدون : (عبد الرحمن بن خلدون) العبر وديوان المتبدأ والخير فى أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر : طبعة سنة ١٩٧١ : ج ٤ : ص ١٤٧ .

١٠٩- ابن بسام : الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة : المجلد الأول القسم الرابع : ص ٤٤ .

١١٠- ابن بسام : المصدر السابق : نفس الجزء والصفحة .

لكنه فى النهاية رأى حاجته ملحة إلى استخدام الصقالبة الذين عرفوا بالصقالبة العامرين^(١١١)، فكان له منهم خلائاً وندماً^(١١٢) وفى عهد ولده عبد الملك المظفر^(١١٣) زادت أهمية الصقالبة وارتفعت مكانتهم ، فبلغ عدد فتياه ستة وعشرون ، فضاغف مؤنتهم أضعافاً كثيرة^(١١٤).

هذا وقد كان للصقالبة دور بارز وقديم فى هدم صرح المجتمع الإسلامى الأندلسى فى القرن الرابع الهجرى^(١١٥) حين بدأوا بمحاولة خلع هشام المؤيد وتحويل الخلافة إلى المغيرة بن عبد الرحمن الناصر^(١١٦) ولم يتوان الصقالبة فى محاولة السيطرة على الحكم حيث تصارع على الخلافة كل من المهدي^(١١٧) والمستعين بالله^(١١٨) ، فتعصب الصقالبة وعلى رأسهم الفتى

١١١- ابن بسام : نفس المصدر والصفحة : ابن سعيد المغربى : المغرب فى حلى المغرب : ج١ : ص١٩٩- ص٢٠٠ ، العبادى : نفس المرجع : ص١٤ .

١١٢- كان من ندماء ابن أبى عامر فتى يسمى «فاتنا» «لاتظير له فى علم كلام العرب وكل ما يتعلق بالأدب ، واسع المعرفة فصيح اللسان حاضر الجواب إلى عناف طعمه ونزاهة نفس وجمال صورة وكان ممن تتباهى الملوك بخدمه وتستريح إلى حلمه» ، ابن بسام : نفس المصدر والجزء ، ص٣٤ .

١١٣- هو أبو مروان المظفر بالله بن المنصور بن أبى عامر المعافرى ولى بعد وفاة أبيه يوم الاثنين لثلاث بقين من رمضان المعظم سنة اثنين وتسعين وثلاثمائة ولقب بالمظفر وسيف الدولة ، عنه راجع : ابن عذارى : نفس المصدر : ج٣ : ص٣ ، ابن الخطيب : أعمال الأعلام : ص٨٠- ص٨١ .

١١٤- ابن الخطيب : المصدر السابق : ص١٠٣- ١٠٤ .

١١٥- سعد عثمان : نفس المرجع : ص٩٩ .

١١٦- ابن الخطيب : أعمال الأعلام : ص٦٠- ص٦١ .

١١٧- وهو محمد بن هشام بن عبد الجبار بن عبد الرحمن الناصر لقبه المهدي كنيته أبو الوليد، أمه أم ولد ، ولقد لقب نفسه بالمهدي ولقبته العامة المنقش لطيشه وخفته، راجع ابن عذارى: البيان المغرب : ج٣ : ص٥٠ .

١١٨- هو سليمان بن الحكم بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر كنيته أبو أيوب لقبه المستعين بالله أمه أم ولد رومية ولى الخلافة مرتين يوم الثلاثاء السابع عشر لربيع الأول المذكور من أربعمئة ثانى يوم فرار المهدي واتخلع يوم الأحد الثانى عشر لشوال من السنة فكانت دولته الأولى سبعة أشهر والثانية من يوم خلعه هشام بن الحكم إلى يوم قتله ثلاث وقل مع أخيه عبد الرحمن وأبيهما بيد على بن حمود العلوى : راجع ابن عذارى : المصدر السابق : ج٣ : ص٩٢ .

واضح ، على أمل تقلد منصب الحجابة والاستبداد بأمور الدولة دون الخليفة ، بينما تعصب (البربر للمستعين بالله، ولكى يحقق واضح أمنيته، طلب المساعدة من كونت برشلونة وذلك لنصرة الخليفة المهدي ضد المستعين بالله، فوافق مقابل شروط مجحفة) (١١٩).

وهكذا نرى أن الصقالية شأنهم شأن العرب والبربر حاولوا تحقيق أطماعهم على حساب أمن الخلافة واستقرارها .

ولما سقطت الدولة الأموية انقسمت الأندلس إلى دويلات صغيرة متنازعة عرفت باسم دويلات الطوائف (١٢٠) استأثر الصقالية بشرق الأندلس وأنشأوا فيه الممالك فكان في بلنسية (١٢١)

١١٩- ابن عذارى : المصدر السابق : ج٣ ص ٩٣ ، ابن الخطيب : أعمال الأعلام : ص ١١٤ .

١٢٠- اصطلح المؤرخون على تسمية هذا العصر بعصر الفتنة أو عصر ملوك الطوائف، أو عصر الفرق . كذلك أطلقوا على مؤسسى هذه الدويلات أمراء الفرقة الهمل ، أو زعماء الفتنة راجع ابن بلقين : التبيان المعروف بمذكرات الأمير عبدالله ، ص ٥٦ ، ص ٥٨ ، ابن عذارى : البيان المغرب : ج٣ : ص ١٩٤ ، ص ٢١٥ ، ص ٢٥٤ ابن بسام : الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة القسم الثالث الجزء الأول : ص ٢٥ ، ابن الخطيب : أعمال الأعلام : ١٨٣- ص ٢٢٤ ، ص ٢٢٦ .

١٢١- بلنسية "Valencia" مدينة كبيرة تقع فى شرق الأندلس على بعد أربعة كيلو مترات من ساحل البحر المتوسط وبها ميناء يسمى "Eroo" وقد اشتهرت بلنسية بزراعة الأرض بصفة خاصة ويقول العذرى «ويزرع فيها الأرز وهو ينبت فيها ومنها يحمل إلى جميع بلاد الأندلس وقد فتحها العرب عام ٩٥هـ (٧١٤) م وقد استقل بها بعد سقوط الدولة الأموية مبارك ومظفر وهو من الفتيان الصقالية العامرين وقد تعرضت بلنسية لغزو القائد القشتالى المعروف بالسيد القمبيطور أى المحارب El- cidcanpedoe الذى كتب حوله الأسباب القصص والملاحم ، بل قرنوا اسمه بمدينة بلنسية فقالوا بلنسية السيد "Valencia del cid"

على اعتبار أنها كانت مقراً لحكمه حتى وفاته (٤٧٨هـ-٤٩٢هـ / ١٠٨٥-١٠٩٩م) ولقد استمرت زوجته "Jimena" (خمينا) تحكم بلنسية بعد وفاته مدة ثلاث سنوات ثم استردها المسلمون بقيادة القائد المرابطى مزدلى (٤٩٥هـ / ١١٠٢م) فأعاد الأمير يوسف ابن تاشفين مجديدها وودها أحسن مما كانت ثم تأسست بها بعد ذلك إمارة بنى مردنيش إلى أن سقطت نهائياً فى يد ملك أراجون خايمى الأول الملقب بالفتاح ٦٣٦هـ/ ١٢٣٨م راجع العذرى : (أحمد بن عمر بن أنس المعروف بالدلاى) ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان فى غرائب البلدان، تحقيق عبد العزيز الأهوانى، معهد الدراسات الإسلامية ، مدريد : ١٩٦٥ : ص ٧١ ، الحميرى : الروض المعطار : ص ٧٣ - ص ٧٤ ، ابن غالب : (الحافظ محمد بن أيوب) قطعة من فرحة الأنفس ، تحقيق لطفى عبد البديع ، مجلة معهد المخطوطات العربية : ص ١٩١ ، الفاسى (محمد) تحقيق الأعلام الجغرافية الأندلسية : مجلة البينة: السنة الأولى العدد الثالث : الرباط ١٣٨٢هـ يوليو ١٩١٢ : ص ٢٣ - ص ٢٤ .

الصقليان مبارك والمظفر (١٢٢٢) ولبيب في طرطوشة (١٢٢٣) وفي دانية (١٢٤) مجاهد (١٢٥)

١٢٢- هما من فتیان الحاجب المنصور ابن عامر وقد توليا حكم بلنسية في شرق الأندلس يقول عنهما ابن عذارى نقلًا عن ابن بسام «كانا عبدي مهنة وأميرى فتنة قتل الناس فكثروا ، وخلا لهم الجر قباضوا وصفروا ، وغازوا الجماعة بقرطبة مدة أيامهم ، وداسوا أحساب الأحرار بأقدامهم مستمتعين بدنياهم ، غافلين عن عادة الله فيمن جرى مجراهم ، سقطت الفتنة عليهم برغم الأيام» ويقول عنهم ابن سعيد في كتابه المغرب «ملكها في ملوك الطوائف خادمان من الموالي العامرية ، وهما مبارك ومظفر وكان من العجائب اشتراكهما في الملك، حتى أنهما لم يمتازا إلا في الحرم خاصة ولاتنافس بينهما» . ابن سعيد : المغرب في حلى المغرب : ج : ص ٢٩٩ ، تحقيق شوقي ضيف : الطبعة الثانية ٦ : دار المعارف ، أما لسان الدين ابن الخطيب فيقول في كتابه أعمال الأعلام «إنهما كانا من الساقة بلنسية فصارا إلى ملك الحضرة وإقامة رسوم السلطان بهما لأنفسهما على أفخم الوجوه ، وظهر من سياستهما وتقاربهما صحة الألفة طول حياتهما ما فاتا به في معناهما أشقاء الأخوة وعشاق الأجيبة إذ نزلا معاً بقصر الإمارة مختلطين تجمعهما مائدة واحدة من غير تمييز في شئ إلا الحرم خاصة». ابن الخطيب : أعمال الأعلام : ص ٢٥٥ وقد مدح ابن دراج الشاعر مبارك ومظفر بقصيدة طويلة ، راجع ديوان ابن دراج : ص ١٠١ - ١٠٨ .

١٢٣- طرطوشة كما يصفها الحميري تقع في سفح الجبل ولها سور حصين وبها أسواق وعمارات وضياع وقلعة وإنشاء المراكب الكبار من خشب جبالها ، وبجبالها خشب الصنوبر الذي لا يوجد له نظير في الطول والغلظ ومنه تتخذ الصواري والقري : .. ومن أهل طرطوشة الفقيه الإمام الزاهد ، أبو الوليد الطرطوشي الفهري نزل الاسكندرية ، صاحب التعلقة في الخلاف وكتاب الحوادث والبدع وغير ذلك راجع الحميري : الروض المعطار : ص ١٢٤ - ١٢٥ ، الإدريسي : نزهة المشتاق : ج ٢ : ص ٧٣٤ ، ابن سعيد المغربي : المصدر السابق : ج ٢ : ص ٤٢٣ .

١٢٤- يقول الحميري : عن دانية أنها تقع في شرق الأندلس وهي على البحر عامرة حسنة لها روض عامر وعليها سور حصين وهي كثيرة الشجر من التين والكروم والسفن واردة عليها صادرة عنها ، ومن دانية أبو عمر الداني المقرئ المعروف بابن الصيرفي ، له تواليف في القراءات ، توفي ببلدانية ٤٤٤ هـ ، الحميري : الروض المعطار : ص ٧٦ ، يقول عنها الإدريسي أنها على البحر عامرة حسنة لها روض عامر وعليها سور حصين ويكثر بها شجر التين والكروم وهي مدينة تسافر إليها السفن وبها تنشأ أكثرها لأنها دار إنشاء السفن ومنها يخرج الأسطول للغزو ومنها تخرج السفن إلى أقصى المشرق ، الإدريسي : نزهة المشتاق : ج ٢ : ص ٥٥٧ .

١٢٥- يقول ابن عذارى : عن مجاهد العامري (أنتزى هذا الرجل مجاهد على مدينة دانية في أول هذه الفتنة وكان من فحول فتیان بنى عامر قدمه المنصور بن أبي عامر عليها وكان عند وقوع هذه الفتنة مقدمًا على هذه الجزائر الثلاثة فلما صح عند وقوعها خرج إلى دانية وضبطها وجمع أعمالها المنضافة إليها وتسمى بالموفق بالله وكتب بهذا اللقب عن نفسه وكتب له به وكان ذا نباهة ورياسة زاد على نظرائه من ملوك طوائف =

وفى المرية (١٢٦) خيران (١٢٧) وزهير (١٢٨).

هذا وقد استطاع عدد كبير من الصقالبة أن يحتل مكانة عالية فى مجال الأدب والشعر ، فصار منهم الأدباء والشعراء وأصحاب المكتبات الكبيرة يقول ابن بسام فى ذخيرته ، كان فى ذلك الزمان بقرطبة جملة من الفتيان المجابيب ممن أخذ من الأدب بأوفر نصيب (١٢٩).

= الأندلس ... وكان مجاهد كما يقول ابن عذارى من أهل العلم والمعرفة بالأدب راجع ابن عذارى : المصدر السابق : ج ٣ - ص ١٥٥ - ص ١٥٨ أما ابن سعيد فيقول أنه كان محباً للعلماء محسناً لهم كثير التولع بالمقرنين للكتاب العزيز حتى عرف بذلك وأثر عليه ابن حبان فى هذا الشأن ، راجع ابن سعيد المغربى : المغرب : ج ٢ : ص ٤٠١ ، أما المراكشى فذكر فى كتابه المعجب أن مجاهد كان مؤثراً للعلوم الشرعية مكرماً لأهلها ، المراكشى: المعجب فى تلخيص أخبار المغرب : ص ١٢٧ .

١٢٦- تقع المرية على الساحل الشرقى للأندلس بين إمارتى مالقة ومرسيه وترجع أهمية المدينة التجارية أنها اتخذت قاعدة للأسطول الأندلسى حيث أن بحرهما مرفأ للسفن الكبار ويضيف ياقوت أن المرية كانت بابى الشرق منها يركب التجار وفيها تحمل مراكب التجار وفيها مرفأ للسفن والمراكب ويضرب ماء البحر أسوارها وكان مرسى مدينة المرية مقسماً قسمين ، قسم للعدد والآلات الحربية والقسم الآخر للمراكب التجارية، هذا وقد رتب كل صناعة منها حسب ما يشكل بها : راجع الحميرى : الروض المعطار : ص ١٨٣ - ص ١٨٤ ، العمرى (ابن فضل الله العمرى) وصف إفريقية والأندلس فصلة من كتاب مسالك الأبصار : تحقيق حسنى عبد الوهاب : ص ٤٠ ، القلقشندى : (أبو العباس أحمد) صبح الأعشى فى صناعة الإنشا : ج ٥ : القاهرة ١٣٣١هـ / ١٩١٣م الإدريسى: نزهة المشتاق : ج ٢ : ص ٥٢٢ - ص ٥٦٣ ، ص ٥٦٦ ، العذرى : ترصيع الأخبار ص ٨٦ ابن غالب : فرحة الأتفس : ص ٢٨٤ ، ياقوت : معجم البلدان : ج ٥ : ص ١١٩ ، سالم : تاريخ مدينة المرية الإسلامية قاعدة الأسطول الأندلسى : بيروت ، ١٩٦٩ ، العبادى: دراسات فى تاريخ المغرب والأندلس : الاسكندرية : ١٩٦٨ ، ٢٩٧ .

١٢٧- هو خيران الصقلبى العامرى وكان من جلة فتيان ابن أبى عامر فلما تخربت الخلافة وانشقت عصا الأمة أنتزى خيران هذا على مدينة المرية وأعمالها وانضوى إليه جميع فتيان محمد بن أبى عامر فحولهم وخصيانهم فدبر أمر المرية إلى أن هلك سنة تسع عشرة وأربعمائة ، راجع ابن عذارى: البيان المغرب : ج ٣ : ص ١٦٦ .

١٢٨- هو زهير الصقلبى من أكابر فتيان المنصور ابن أبى عامر وتولى أمر المرية بعد هلاك خيران واستمر بها عشر سنوات وقد امتدت مملكته من المرية إلى شاطبة راجع ابن عذارى : المصدر السابق : ج ٣ ، ص ١٦٩ .

١٢٩- ابن بسام : الذخيرة : ق ٤ ، ج ١ ، ص ٢٢٠ .

ويذكر ابن الأبار^(١٣٠) أن أحد الصقالبة واسمه جيبب ويتصف بالفهم والتيقظ ألف زمن هشام الثاني كتاباً تعصب فيه لقومه وعنوانه «الاستظهار والمغالبة على من أنكر فضائل الصقالبة» هذا وقد قدم لنا الشعراء معلومات عن الصقالبة ، ضئيلة دون شك ولكنها دقيقة فأعطانا ابن دراج القسطلي تفصيلات مميزة عن عادة أميرى بلنسية مبارك والمظفر فى تزينهم بالحلقتان كالسيدات يقول :

فالصيح فيما بين قرطبك مطلع وقد سكن الليل البهيم خيماركا
هو الملك لابلقيس أدرك شأوها مداك ولا الزباء سقت غباركما

ويقول أيضاً :

وأظفرت أمالى بقصد مظفر وبورك لى فى حسن رأى مبارك

وفى هذه الأشعار من المدح ما يطلعنا على الطريقة النسائية لهذين الخصبين^(١٣٣) ، وهذه صورة وحيدة فى الأدب العربى لانرى مثلها . هذا وقد عرف الصقالبة بالفلظة والفظاظة والجفاء والخشونة^(١٣٤) ، ولهذا فلا عجب أن يكون الصقالبة محل كراهية من عامة الناس وهدفا لنقدهم وسخريتهم ، وقد وردت أمثال بعضها يذكرهم تصريحاً وبعضهم الآخر يشير إليهم تلميحاً^(١٣٥) وكلها تتندر بهم وتسخر منهم فقالوا^(١٣٦) جلوس القطم لباب جهنم

١٣٠- ابن الأبار : التكملة : (الجزء الخامس والعاشر من مجموعة المكتبة الأندلسية العربية) : ج١ : ص٣٢ مادة رقم ٨٩ .

١٣١- ابن الخطيب : أعمال الأعمال : ص ٢٢٣ .

١٣٢- ابن سعيد : المغرب : ج٢ : ص ٢٩٩ .

١٣٣- هنرى بيرس : الشعر الأندلسى فى عصر ملوك الطوائف ص ٢٣٤ .

١٣٤- محمد بن شريفة : أمثال أبى يحيى الزجالى : ص ١٨٥ .

١٣٥- محمد بن شريفة : المرجع السابق : ص ١٨٥ .

١٣٦- القطم كلمة معناها المخنث وهو استعمال أندلسى والجمع قطاء وقطمة وقد وردت هذه الصيغ كلها فى الأمثال الأندلسية واستعملها الكتاب والشعراء : راجع ابن سعيد المغربى : المغرب : ج١ : ص ٢٥٥ ، ابن بسام الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة : القسم الأول - المجلد الثانى ١٩٤٢ م / ١٣٦١ هـ : ص ٣٨٧ .

(مثل الزجال رقم ٧٨٧) (١٣٧) ويبدو أنه يصور شدة حراسهم وحجياتهم للسلطان وبابه ومنع الناس من رؤيته وقد أشار ابن حيان فى كتابه المقتبس إلى مدى فظاظة الخصيان فى هذه الناحية (١٣٨).

كذلك قيل لمن يقال للفتى فتى، حتى يقيل فالشتا مثل رقم ١١٦٦ ويشير هذا المثل إلى ترف الصقالبة وميلهم إلى الدعة والراحة (١٣٩) يؤكد هذا ابن الخطيب (١٤٠) فيذكر أن المنصور ابن أبى عامر هلك وهو «ينوء بشقل كلفتهم الباهظة» .

كما قيل فيم القرد بجمة ، يحكم ألامه (مثل رقم ٤٢٣) (١٤١) ولعله قيل فى بعض من تأمر منهم بشرق الأندلس (١٤٢) وقد عدها المؤرخون من غرائب الليال والأيام (١٤٣) ويبدو أن الصقالبة كان لهم مذهب خاص فى الغناء (١٤٤) فيذكر ابن حيان قوله «وكان يشدو شيئاً من الغناء على مذهب الفتيان» (١٤٥) فقيل : غنى الفتيان عشرة يقفز وواحد يستمع (مثل رقم ١٧١٨) .

١٣٧- محمد بن شريفة : نفس المرجع : ص ١٨٥ .

١٣٨- ابن حيان : المقتبس ج ٢ : ص ٢٥٣ تحقيق محمود على مكى .

١٣٩- محمد بن شريفة : نفس المرجع : ص ١٨٥ .

١٤٠- ابن الخطيب : أعمال الأعلام : ص ١٠٣ .

١٤١- محمد بن شريفة : نفس المرجع : نفس الصفحة .

١٤٢- محمد بن شريفة نفس المرجع والصفحة .

١٤٣- ابن عنارى : البيان المغرب : ج ٣ : ص ١٥٨- ص ١٦٢ .

١٤٤- ابن حيان : المقتبس : ج ٢ تحقيق محمود على مكى : ص ٣٠ .

١٤٥- محمد بن شريفة : نفس المرجع : ص ١٨٥ .

الأندلسيون :

أولا : المسألة والمولدون :

بعد فتح الأندلس أسلم كثير من الأسيان وعرفوا بالمسألة فتعايشوا مع العناصر الإسلامية^(١٤٦) الأخرى من عرب وبربر .

فقد كان لسياسة التسامح الدينى التى سار عليها الفاتحون العرب عقب الفتح أثرا كبيرا فى إسلام عدد كبير من الإسيان ، وبالتدريج ترك كثير منهم دينهم المسيحى واعتنقوا الإسلام جيلا جديدا ويحدد، د. السيد عبد العزيز سالم عاملين لاعتناق هؤلاء الأسيان الدين الإسلامى، إما بحثا وراء مصلحة شخصية أو إيمانا صادقا بهذا الدين الذى ساوى بينهم وبين العرب فى الحقوق والواجبات»^(١٤٧). خاصة أن أغلبية الجماعات الأولى التى أسلمت من الأسيان ، كانت من العبيد ورقيق الأرض، فقد كانت حالة الرقيق من السوء بحيث بدأ الإسلام فى نظرهم كمخرج من المتاعب التى كانوا يعيشون تحت ثقلها^(١٤٨).

وقد أنجب هؤلاء المسألة جيلا جديدا عرفوا بالمولدين "muldieas"^(١٤٩) وهم الذين ولدوا من آباء مسلمين سواء من المسألة أو العرب أو البربر ونشئوا على الإسلام متخذين لأنفسهم نمط الحياة الإسلامية فى الأندلس، ولقد جمع هؤلاء المولدون خصال الآباء وهى النجدة والكرم وخصال الأمهات الأسيانيات من رفاقة الحس والتذوق الجمالى ورقة المشاعر .

١٤٦- أحمد لطفى عبد البديع : الإسلام فى أسبانيا ، العدد الثانى سلسلة المكتبة التاريخية: القاهرة ١٩٥٨ :ص٢٤٥ .

Simonet : (f.j) historia de los mozarabes de le mozorbes de espana, madrid 1997 . p. 16 .

١٤٧- سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم : ص١٢٧ .

١٤٨- حسين مؤنس : فجر الأندلس : ص٤٣٠ .

١٤٩- سالم : المرجع السابق : ص١٢٨ ، محمد مبروك نافع : تاريخ العرب : ج٤ ، القاهرة سنة ١٩٤٩م :ص٦٣٦ .

ولما كان الفاتحون العرب البربر قد تركوا نساخهم فى بلدهم فقد أقبلوا على مصاهرة الأسيان ، من أهل البلاد، ومضوا على هذا النمط يتزوجون من الأسيانيات ما شاءوا ، وعاشروا أهل البلاد ، وجاوروهم وعن طريق المجاورة والمصاهرة ، انتشر الإسلام فى الأندلس انتشارا تجاوز كل تقدير فى الحسبان وهكذا امتزجت دماء الفاتحين من العرب والبربر بدماء أهل البلاد ونشأ من ذلك جيل جديد من آباء مسلمين عرفوا باسم المولدين .

هذا وقد تساوت المجموعات الأسبانية التي دخلت الإسلام وكانت من الأشراف وأهل المدن وريقب الأرض والعبيد تساوا جميعاً في ظل الإسلام^(١٥٠)، وأصبح المولدون يؤلفون على عهد أمراء بنى أمية الكثرة الغالبة من السكان^(١٥١) وتألقت منهم جماعات كبيرة شكلت النشاط الاقتصادي والثقافي الاجتماعي وإن كان البعض من المولدين تعصبوا لأصلهم الأسباني، فاحتفظ كثير منهم بأسمائهم القديمة، أمثال بنو أنجلين "Angelino"^(١٥٢) وبنو الجريح "Jorge"^(١٥٣)، وبنو القبطرنة "Kabturno"^(١٥٤) وبنو شبرقة "Sabarico"^(١٥٥) وبنو مردنيش "martinez" وبنو غرسية "garcia" وبنو ردلف "rodalefo"^(١٥٦) هذا وقد ساعد تشجيع الخلفاء للمولدين على أن يندرجوا أكثر في الجماعة الإسلامية حين غدا العنصر الفاتح يكون أرستقراطية قليلة العدد ليحل محله عنصر المولدين وليظفر بالحياة والسلطان إلى آخر أيام الخلافة الأموية فشاركوا في الحياة السياسية في الأندلس، فكان منهم ولاة الشجر الأعلى كبنى قسى الذين كانوا موالى للأمويين، وكانوا يقفون إلى جانب المضربة في صراعها مع

١٥٠- سالم : نفس المرجع : ص١٢٨ .

١٥١- سامى مكى العاني : دراسات في الأدب : ساعدت الجامعة المستنصرية على نشره سنة ١٩٨٧ : ص١١٩ .

١٥٢- ابن حيان : المقتبس في تاريخ رجال الأندلس : نشر ملبشور أنطونية : باريس سنة ١٩٣٧ : ص٧٠ ، سالم نفس المرجع ص١٢٨ هذا وقد بلغ بنو أنجلين وبنو شبرقة شهرة واسعة خلال حكم الأمير عبد الرحمن الثاني (الأوسط) راجع :

Levi Provençal : l'Espagne musulmane au Xe siècle 1932 . p. 19 .

١٥٣- ابن حيان : المصدر السابق : ص٧٤ ، سالم : نفس المرجع ص١٢٨ .

Dozy : histoire, t. II, p. 40 .

١٥٤- سالم : نفس المرجع : ص١٢٩ .

Levi Provençal :, histoire de Espagne musulmane leiden , 1950 , p. 76 .

١٥٥- ابن حيان : نفس المصدر : ص٧٤ .

١٥٦- ابن حيان : نفس المصدر : ص١٦ .

البيمنية^(١٥٧) ومنهم أيضاً أميرى طليطلة عمروس اللوشقى^(١٥٨) ولب بن طريشة^(١٥٩) ... هذا وقد اشتهر كثير من المولدين بالقوه والنفوذ والثراء العظيم خصوصاً فى أشبيلية^(١٦٠) فعملوا بتربية الماشية والزراعة فى الأرياف وصيد الأسماك ، أما فى المدن فقد زاولوا حرفاً مختلفة ، واشتغلوا بالتجارة ، فكانوا من أوفر العناصر نشاطاً وأكثرها تلاؤماً مع ظروف الحياة فى البلاد الأندلسية^(١٦١) ...

ولاشك أن المولدين قد شاركوا العناصر الأخرى فى إنهاء الحكم العربى فى الأندلس فى وقت مبكر^(١٦٢) ، حين استعان المولدون أثناء ثورتهم فى طليطلة بالنصارى ضد حكومة قرطبة^(١٦٣) ، لكن هزيمتهم فى وادى سليط^(١٦٤) ٢٤ (٨٥٤) م قد كالتهم الضربة القاسمة^(١٦٥) .

وكان أولئك المولدون وغيرهم ، يحاولون غاية واحدة هى القضاء على الوجود العربى عن طريق استنزاف قوته فى هذه الثورات ، فكان أن شهدت الأندلس خلال القرن الثالث الهجرى

١٥٧- ابن حزم : جمهرة أنساب العرب : ج٢ : ص ٥٠٢ .

١٥٨- هو من أمراء المولدين فى وشقة طليطلة عنه راجع : ابن القوطية تاريخ افتتاح الأندلس ، ص ٦٤-٦٥ .

١٥٩- ابن حبان : المقتبس : طبعة ملشور أنطونية : ص ١٨ ، سالم نفس المرجع : ص ١٢٩ .

١٦٠- جودة الركابى : فى الأدب الأندلسى : القاهرة ١٩٧٥ : ص ٣٥ .

١٦١- حسين مؤنس : فجر الأندلس : ص ٤٣٥ .

١٦٢- سعد عثمان : المجتمع الأندلسى : ص ١٠٤ .

١٦٣- عن هذه الثورات راجع ابن حبان : المقتبس محمود مكى : ص ٧ ، وتحقيق شالمتيا : ص ٢٧٦-٢٧٧ ، ص ٢٨٠-٢٨١ ، ابن خلدون : العبر : ج١ : ص ١٤٠ ، ابن عذارى : البيان المغرب : ج٢ ص ١٧٦ ، وما بعدها ، عنان : دولة الإسلام فى الأندلس : العصر الأول : ص ٢٩٣ ، محمد عبد المنعم : أضواء جديد حول ثورات طليطلة ص ٦٣ .

١٦٤- وادى سليط هو نهر أحد فروع نهر تاجة ويخرق هذا النهر سهلاً يقع جنوب غرب طليطلة ، راجع عنان : دولة الإسلام فى الأندلس ق(١) الفقرة الأولى ص ٢٩٣ ، حمدى عبد المنعم : أضواء جديدة حول ثورات طليطلة : ص ٦٣ هامش ٨٧ ، سالم : تاريخ المسلمين ص ١٢٩-١٣٠ .

١٦٥- ابن عذارى : البيان المغرب : ج٢ ص ٩٤-٩٥ .

فتناً عديدة قام بها المولدون ومن شايعهم من المسالمة ونصارى الذمة (١٦٦). فثار فى ماردة (١٦٧) وبطليموس (١٦٨) الثائر المولد عبد الرحمن بن مروان الجليقى وفى شنت مرية (١٦٩) يحيى بن بكر بن ردلف ، أما أشهرهم ثورة وأكثرهم عناداً هو الثائر المولد عمر بن حفصون (١٧٠) الذى دامت فتنته أزيد من سبعين سنة (١٧١) ، وكان محور الحركة التى يسميها ابن حيان

١٦٦- ابن عنارى : المصدر السابق ج٤ : ص٩٤ . Levi provencal, op. cit. p. 224 .

حمدى عبد المنعم : أضواء جديدة حول ثورات طليطلة ، ص٩٨ .

١٦٧- ماردة (merida) كورة واسعة من نواحي الأندلس متصلة ببحور فريش بين الغرب والجوف من أعمال قرطبة ... وهى مدينة رائعة كثيرة الرخام وكانت ماردة من أعظم مدن أسبانيا فى العصر الرومانى إذ أسسها الإمبراطور أغسطس قيصر سنة ٢٥ ق.م وجعلها عاصمة لإقليم لشدانية Lusitania ولقد حملت ماردة مشعل الحضارة الرومانية فى أسبانيا حتى أصبحت تعرف برومة أسبانيا .

Jose romon melida catalogo manumental de Espana provincia de Badajoz, L. I, madrid , 1925 , pp. 99-102 .

١٦٨- كانت بطليوس قاعدة كبيرة وحصناً منيعاً وهى تقع فى منحى نهر وادى يانة على مقربة من الحدود البرتغالية الآن، عنان : الآثار الأندلسية الباقية القاهرة ١٩٦١ م : ص ٣٧٢ ، عن ثورات بطليوس وثورة المولد عبد الرحمن بن مروان الجليقى، راجع : ابن حيان : المتبس : تحقيق ملشور أنطونية : ص ١٥ ، طبعة شاليتا ص٢٤٦- ص٢٤٨ ، ابن عنارى البيان المغرب : ج٢ : ص ١٣٥ ، ص ٢٠٠ ، ص ٢٠١ ، سحر سالم : التاريخ السياسى لمدينة بطليوس الإسلامية .

١٦٩- شنترية Santa maria وهى من كورة أكشونية وتعرف اليوم باسم faro راجع سالم : تاريخ المسلمين : ص ٢٥٥ وهى جنوب البرتغال ، راجع دائرة المعارف الإسلامية Sant maria de Algarve راجع ابن الأبار : الحلة السيرة : ج١ : ص ٦٢ هامش رقم (١) .

١٧٠- هو عمر بن حفصون بن عمر بن جعفر الأسلمى ، كان أبوه من مسالمة أهل النعة وينتمى إلى أسرة فقيرة اعتنقت الإسلام منذ أيام جده جعفر الأسلمى (أو إسلامى) فى عهد الأمير الحكم بن هشام ، وقد تزعم عمر بن حفصون ثورة المولدين بكورة رية ضد الدولة الأموية منذ عهد الأمير محمد وظلت ثورة ابن حفصون مشتملة حتى العقد الثانى من عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر حيث تم اخضاعها والقضاء عليها ٣١٥هـ ٩٢٧م ، راجع ابن عنارى : نفس المصدر ج٢ : ص ١٠٤ ، ص ١٠٦ ، ابن القوطية : نفس المصدر : ص ١٠٣- ص ١٠٤ ، سالم : نفس المرجع : ص ٢٥٩- ص ٢٦٥ ، حسين مؤنس : معالم تاريخ المغرب والأندلس نشر دار المستقبل : ج١ : سنة ١٩٨٠ ، ص ٣٠٣ .

١٧١- ابن عنارى : نفس المصدر، الجزء والصفحة .

«دعوة المولدين تارة وعصيبة المولدين على العرب تارة أخرى (١٧٢)».

وقد أثارَت هذه العصيبة نقائض شعرية بين شعراء العرب وشعراء المولدين (١٧٢).

ففى غزوة وادى سليط التى يذكرها الشعراء بأنها من أمهات الوقائع، ولم يعرف بالأندلس قبلها يقول عباس بن فرناس* فى نصر الأمير محمد بن عبد الرحمن الثانى بعد انتصاره فى هذه المعركة على طليطلة :

مُخْتَلِفِ الْأَصْوَاتِ مُؤْتَلَفِ الزِحْفِ لَهُومُ الْفَلَا عَبَلِ الْقَنَابِلِ مُلْتَفِ
إِذَا أَوْمَضَتْ فِيهِ الصَّوَارِمُ خِلْتَهَا بُرُوقًا تَرَامَى فِي الْجِهَامِ وَتَسْتَخْفَى (١٧٤)

كذلك يقول العتبي (١٧٥)، يمدح الأمير محمداً فى قصيدة يقول :

سَائِلٌ عَنِ الثُّغْرِ الصَّوَارِمِ تَصَدَّقِ وَاسْتَنْطِقِ السُّمَرَ الْعَوَالِي تَنْطِقِ
تَرَكَّتْ وَقَائِعِ فِي الثُّغُورِ وَقَدْ غَدَدَتْ مَثَلًا بِكُلِّ مَغْرَبٍ وَمُشْرِقِ
وَأَدَاخِ أَرْضِ الْمُشْرِكِينَ بِوَقْعَةِ تَرَكَّتْهُمْ مِلَّ الْأَشْيَاءِ الْمَحْرَقِ

١٧٢- ابن حيان : المقتبس : ص ١٥ .

١٧٣- أحمد هيكل : الأدب الأندلسى من الفتح إلى سقوط الخلافة طبعة (٢) سنة ١٩٦٢ : ص ١٥١-
ص ١٥٤ ، إحصان عباس : تاريخ الأدب الأندلسى : عصر سيادة قرطبة : بيروت ١٩٦٠ : ص ٨٨- ص ٩٠ ،
عبد المجيد عابدين : نماذج من الشعر الأندلسى : دراسة تحليلية نقدية : دار الفكر : بيروت : الدار السودانية
للكتب : الخرطوم : ١٥ يناير سنة ١٩٧٢ : ص ٥٠ .

(* هو من عامة الشعب ، كان مولى من موالى بنى أمية أصله من البربر ، واشتهر إلى جانب نظم الشعر
بالعلم والفلسفة ، وقد أدرك عن الأمير محمد بن عبد الرحمن الذى حكم فى عصر بنى أمية بالأندلس من
٢٧٨هـ- ٢٧٣هـ . وقد توفى عباس بن فرناس سنة ٢٧٤هـ راجع ترجمته : فى المقرئ : نفع الطيب : ج ١ :
ص ١٦٢ هامش رقم (٢) ، ابن سعيد : المغرب فى حلى المغرب : ج ١ : ص ٣٣٣ ، الحميرى : جذوة المقتبس فى
ذكر ولاية الأندلس : ص ٣١٨ .

١٧٤- ابن عذارى : البيان المغرب : ج ٢ : ص ١١١- ص ١١٢ .

١٧٥- هو أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عبد العزيز العتبي الأندلسى القرطبى الفقيه المالكى المشهور
راجع المقرئ : نفع الطيب ج ٢ : ص ٢١٥ .

كذلك يقول الشاعر ابن عبد ربه (*) فى شأن الثائر المولد عمر بن حفصون :

رَامَ ابْنُ حَفْصُونَ النِّجَاءَ فَلَمْ يَسِرْ وَالسَّيْفُ طَالِبُهُ فَلَسِي بِنَاجِ
فِي لَيْلَةٍ أُسْرَتِ بِهِ فَكَأَنَّمَا خِيلَتْ نَقِيضُهُ لَيْلَةَ الْمِعْرَاجِ (١٧٦)

ويقول ابن عبد ربه كذلك فى غزو الخليفة الناصر لـحفصون ابن حفصون :

فِي غَزْوَةِ مَائِنَاتَا حَصْنِ ظَفَرْتِ بِهَا فِي كُلِّ حَصْنٍ غَزَاةٌ لِلْعِنَاجِيَجِ
مَا كَانَ مَلِكِ سَلْمَانَ لِيَدْرِكُهُ وَالْمَتْنَى سَدِ يَاجُوجِ وَمَاجُوجِ (١٧٧)

هذا ويشير محمد بن شريفة إلى عدد من الأمثال التى دارت حول المولدين وصراعهم مع السلطة فمن ذلك المثل (١٧٨) :

« حصنى، ولا من يقسنى » (٨٤١) ويبدو أن هذا المثل كان شعاراً لعمر ابن حفصون وأضرابه من الثائرين الممتنعين بحصونهم ومن الأمثال التاريخية التى وردت عند ابن حيان أيضاً قولهم « غررتنى يا اسحاق » يقول ابن عذارى وفيها أى سنة ٢٨٧ هـ « صلب إسحاق » وصاحبه ، وكانا من رجال ابن حفصون ، وفيها جرى المثل فى الناس « غررتنى يا اسحاق » وذلك أن أحدهما قال هذه الكلمة لصاحبه ، وهو يرفع فى الخشبة (١٧٩).

* هو أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه ٢٤٦هـ - ٣٢٨هـ كان سالم أحد أجداده مولى من موالى الأمويين وقد نشأ ابن عبد ربه - فى قرطبة وكان فى نشأته فقيراً فطلب العلم على شيخ عصره فى جامع المدينة ومن أهم شيوخه بقى بن مخلد وابن وضاح والحشنى وقد تلقى على هؤلاء الأعلام الفقه والحديث واللغة والسير والأخبار ومصر فى هذه الثقافة كتابه المعروف باسم العقد الفريد عن ابن عبد ربه راجع : الفتح بن خاقان : مطمع الأنفس ومسرح التأنس فى ملح أهل الأندلس : ص ٥١ ، ياقوت : معجم الأدياء ج ٢ : ص ٦٧ ، بن دحية المطرب فى أشعار أهل المغرب : ص ١٤١ ، ابن الفرضى : تاريخ علماء الأندلس ص ٤٩ ، وكتاب ابن عبد ربه : العقد الفريد .

١٧٦- ابن عذارى: نفس المصدر : ج ٢ : ص ١٣٣ .

١٧٧- مجهول : مدونة من عصر الناصر : ص ٣٨ .

E. Levi- Provensal : una cronica anonima de abd Rahaman III al - Nasair. p. 38 mdarid-granada 1950 .

١٧٨- محمد بن شريفة : أمثال أبى يحيى الزجالى : ص ١٨١ .

١٧٩- ابن عذارى : البيان المغرب : ج ٢ : ص ١٣٩ .

ومن أقوالهم فى هذه الحقبة أيضاً ما ذكره ابن حيان عند الكلام عن «سعيد بن وليد بن مستنة» (١٨٠) الذى يتلو ابن حفصون فى التمرد وقوة الشكيمة .

هذا وقد تميز القرن الخامس الهجرى بصعوبة التمييز بين العناصر والأجناس البشرية الموجودة فى البلاد الأندلسية سواء من العرب أو البربر أو المسالمة أو المولدين ، فقد تم التماذج بين تلك العناصر فأطلق عليهم جميعاً اسم الأندلسيين ، ويذكر "Simonet" أن هذا اللفظ ظهر منذ القرن الثالث الهجرى ، أوائل العاشر الميلادى، عندما اختفت الألفاظ الأخرى مثل مسالمة ومولدين (١٨١).

ويبدو أن هذا كان مفهوم معظم الكتاب والمؤرخين أمثال ابن عبدون حين كان يفرق بين الأندلسيين والمرابطين (١٨٢).

وبهذا المفهوم أيضاً استعمل اللفظ فى التشكيلات العسكرية حيث يذكر ابن الخطيب (١٨٣) فى حديثه عن الأندلسيين من أهل غرناطة «وجندهم صنفان أندلسى وبربرى والأندلسى فهم يقودهم رئيس من القرابة أو حصى» (١٨٤).

هذا ويذكر المؤرخ والأديب ابن حزم أن كثيراً من خلفاء الأندلس كان يجرى فى عروقه الدم الأيبيرى من جهة الأمهات والجندات وظهر هذا واضحاً فى صفاتهم الجسمية ، فقد ذكر أن خلفاء بنى أمية ولاسيما ولد الناصر كانوا يفضلون البنات الشقراء لا يختلف فى ذلك منهم مختلف وقد رأيناهم ورأينا من رآهم من لدن دولة الناصر إلى الآن فما منهم إلا أشقر نزاعاً إلى أمهاتهم حتى صار ذلك فيهم خلقه حاشا سليمان الظافر (١٨٥) فأنى رأيت أسود اللمة

١٨٠- ابن حيان : المقتبس : ص ٢٧ ، ابن عذارى : نفس المصدر : ج ٢ : ص ١٣٦ .

١٨١-

Simonet : los Mozarabes. 15 .

١٨٢- ابن عبدون : رسالة فى القضاء والحسبة (ضمن مجموعة ثلاث رسائل أندلسية فى الحسبة) ص ٩ ، ص ١٦ .

١٨٣- ابن الخطيب فى أخبار غرناطة : ج ١ : ص ١٣٦ .

١٨٤- المحصى هو الراجل الوافر العتل راجع ابن الخطيب المصدر السابق : ج ١ ، نفس الصفحة هامش رقم (١).

١٨٥- هو سليمان الظافر ويلقب بالمستعين تولى الخلافة فترة فتنة قرطبة عام ٤٠٠هـ - ١٠٠٩م وتسمى حينئذ بالظاهر بالله إلى جانب لقب المستعين بالله، ثم أخرج من قرطبة مهزوما ثم عاد إليها ثانية خليفة =

واللحية ، أما الناصر والحكم والمستنصر رضى الله عنهما فحدثنى الوزير أبى رحمة الله وغيره أنهما كانا أشقرين أشهلين وكذلك هشام المؤيد ومحمد المهدي (١٨٦) وعبدالرحمن المرتضى (١٨٧) رحمهم الله فأنى قد رأيتهم مراراً ودخلت عليهم فرأيتهم شقراً شهلاتد (١٨٨).

هذا قد تحدث المقرئ فى كتابه نفع الطيب نقلاً عن ابن سعيد عن الأندلسيين فوصفهم بقوله « والأغلب عندهم إقامة الحدود وإنكار التهاون بتعطيلها (١٨٩) ، كذلك يصفهم بكرههم للكديبة (١٩٠) وأنهم إذا رأوا شخصاً صحيحاً قادراً على الخدمة يطلب سبوه أهانوه ولذلك لا تجذب

= وبقى فى الخلافة ١٠١٦م - ٤٠٧هـ وكان من أهل العلم والفهم أديباً فصيحاً شاعراً له رسائل وأشعار بديعة أمدنا بها ابن الأبار : الحلة السراء : ج٢ : ص ٥ وما بعدها ، ابن عذارى : المصدر السابق : ج٣ : ص ٩١ ، المقرئ : نفع الطيب : ج١ : ص ٤٠٣ ، وما بعدها .

١٨٦- محمد المهدي (المهدي محمد بن عبد الجبار بن عبد الرحمن الناصر أول من ثار من بنى أمية على الحاجب العامرى الثالث عبد الرحمن بن أبى عامر وكانت العامة تسميه شنجول ، وقد تزعم المهدي الثورة دفاعاً عن حقوق بنى أمية فى الخلافة وثار لأبيه وكان عبد الرحمن شنجول قتله وتبعه عامة قرطبة ودفع بهم إلى المدينة الزاهرة معبر العامرين فانتهبوها وقتل عبد الرحمن وأعلن نفسه خليفة ٣٩٩هـ / ١٠٠٨م لكن خلافته لم تطل فقد قتل ٤٠٢هـ / ١٠١٠م عن محمد المهدي : راجع ابن عذارى : نفس المصدر : ج٣ : ص ٥٠ وما بعدها ، المقرئ : نفع الطيب : ج١ : ص ٤٠٢ ، ابن الكردوبوس : تاريخ الأندلس ووصفه لابن الشباط : تحقيق أحمد مختار العبادى : صحيفة معهد الدراسات الإسلامية مدريد ص ١٩-٦٢ وما بعدها .

١٨٧- عبد الرحمن بن محمد ولد عبد الرحمن الناصر ، نصب نفسه خليفة بشرق الأندلس وتسمى بالمرتضى وقد حاول بمن معه أن ينتزع الخلافة من القاسم بن حمود وهو فى طريقه إليها ، اصطدم بزاوى بن زيرى بن مناد أمير غرناطة وكان ابن حزم مع الخليفة المرتضى فى حملته هذه وقد اقتتل الفريقان أياماً ثم انهزم الأندلسيون بتعبير ابن بسام بقيادة المرتضى أمام بربر غرناطة بقيادة زاوى وتفرق جيش المرتضى وفر هو نفسه إلى وادى أشى وهناك اغتالته عصابة مستأجرة ٤١٨هـ - ١٠١٨م راجع ابن بسام الذخيرة المجلد الأول : القسم الأول : ص ٩٧ وما بعدها : القاهرة ١٣٥٨هـ - ١٩٣٩م .

١٨٨- ابن حزم الأندلسى : طوق الحمامة فى الألفه والآلاف ضبط نصه وحقق هوامشه د. الطاهر أحمد مكى : الطبعة الخامسة منقحة ومصححة ، دار المعارف : رجب ١٤١٣هـ / يناير ١٩٩٣م : ص ٤٨-٤٩ .

١٨٩- المقرئ : نفع الطيب : ج١ : ص ٢٢٠ .

١٩٠- المقرئ : المصدر السابق : ج١ : ص ٢٢٠ .

بالأندلس سائلاً إلا أن يكون صاحب عذر^(١٩١) وقد نجد في أمثالهم ما يؤكد هذا القول ، كقولهم ولا قول أن معروف^(١٩٢) وكقولهم أيضاً بحال من سعا وأهترق ل.^(١٩٣) ومن الأمثال أيضاً نجد ذكر الساعى أى السائل كقولهم سمعت بنت السلطان الساعى يسعى ، قالت كنعمل شباب بشحم^(١٩٤) أما ابن قزمان^(*) فيقول متسولاً أعطني لحم وخبز مدهون ، وأرسل فحم وأرسل كانون . فالفندق متاع والوقف نسكن ، أوذاني على الضيافة جلس^(١٩٥) ويذكر ابن خلدون^(١٩٦) فى مقدمته أن السائلين يختلفون باختلاف الأمصار فى العمران ووصف ما شاهده فى زمنه إذ يقول « فإن السائل بفاس أحسن حالاً من السائل بتلمسان أو وهران ، ولقد شاهدت بفاس السؤال يسألون أيام الأضحى أثمان ضحاياهم ، ورأيتهم يسألون كثيراً من أحوال الترف واقتراح المأكّل مثل سؤال اللحم والسمن وعلاج الطبخ والملابس والماعون كالغريال والآتية ، ولو سأل مثل هذا بتلمسان أو وهران لاستنكر وعنف وزجر» .

١٩١- المرقى : نفس المصدر والجزء والصفحة .

١٩٢- محمد ابن شريفة : نفس المرجع : ص ٢٢٩ مثل رقم (١٩٧٧) .

١٩٣- محمد ابن شريفة : نفس المرجع والصفحة مثل ابن عاصم رقم (٢٧٧) .

١٩٤- محمد ابن شريفة : نفس المرجع ص ٢٢٩ رقم (١٨٤٥) .

(*) هو أبو بكر ابن قزمان القرطبي (ت ٥٥٥) الذى يعد إمام الزجالين وقد اشتهرت أزجاله فى الآفاق وهو المتفرد بالإبداع فى طريقة الأزجال ويذكر ابن سعيد عن الحجارى ابن أبى قزمان ، كان فى أول شأنه مشتغلاً بالنظم العربى فرأى نفسه يقصر عن أفراد عصره كابن خفاجة وغيره فعمد إلى طريقة لايزاحمه فيها أحد منهم فصار إمام أهل الزجل المنظموم بكلام عامة الأندلس : راجع ابن سعيد المغرب فى حلى المغرب : ج١ : ص ١٠٠ وما بعدها ، الأهوائى : الزجل فى الأندلس ص ٦٧ وما بعدها ، سالم : قرطبة حاضرة الخلافة فى الأندلس : ج٢ : ١٩٧٩ : دار النهضة العربية ص ١٩٠ .

١٩٥- عبد العزيز الأهوائى؛ الزجل فى الأندلس : محاضرات ألقىت على طلبة قسم الدراسات الأدبية

واللغوية : معهد الدراسات العربية : جامعة الدول العربية ص ٧٠ .

١٩٦- ابن خلدون : المقدمة : الطبعة الأيسرية : ص ٣٤٣ .

الزى الأندلسى

أما زى أهل الأندلس فى السلم والحرب يقول المقرئ (١٩٧) نقلاً عن ابن سعيد «وأما زى أهل الأندلس فالغالب عليهم ترك العمائم ، لاسيما فى شرق الأندلس ، فإن أهل غربها لا تكاد ترى فيهم قاضياً ولا ققيهاً مشاراً إليه إلا وهو بعمامة».

ويعطينا المقرئ صورة للأندلسيين فيصفهم بالنظافة وحب المظهر (١٩٨) يقول «وأهل الأندلس أشد خلق الله اعتناءً بنظافة ما يلبسون وما يفرشون وغير ذلك مما يتعلق بهم ، وفيهم ممن لا يكون عنده إلا قوت يومه ، فيطويه صائماً وابتاع صابوناً يغسل به ثيابه» هذا وقد أكد المؤرخ الوزير لسان الدين ابن الخطيب (١٩٩) فى كتابه الإحاطة نفس الصفات التى وصفها المقرئ الأندلسيين يقول «أحوال هذا القطر فى الدين وصلاح العقائد أحوال سنية والنحل فيهم معروفة فمذاهبهم على مذهب مالك ابن أنس» كذلك ويستوقف نظرنا قول ابن الخطيب (٢٠٠) «وصورهم حسنة وأنوفهم معتدلة وألوانهم زهر مشربة بحمرة وأسنتهم فصيحة يتخللها غرب كثير وتغلب عليهم الإمالة وأخلاقهم أبية فى معانى المنازعات وأنسابهم عربية ، ولباسهم الغالب على طرقاتهم الفاشى بينهم الملف المصبوغ شتاء» ثم يستمر فى وصف الأندلسيين «فتبصرهم فى المساجد أيام الجمع كأنهم الأزهار المفتحة فى البطاح الكريمة تحت الأهوية المعتدلة» (٢٠١).

ويبدو لنا من وصف كل من ابن سعيد وابن الخطيب أن الأندلسيين لم يلبسوا العمامة ولا البرانس قبل مجئ المرابطين ويؤكد هذا ما رواه ابن الأبار فى الحلة السيرة «فقد كتب المعتمد بن عباد معرضاً بابن صمادح بأبيات منها:

ولقد ذكرتُ فزادُ عيني قُـرَّةً وهونُ السبَّالِ وخزى ربُّ البرنُسِ (٢٠٢)

١٩٧- المقرئ : نفع الطيب : ج١ : ص ٢٢٢ .

١٩٨- المقرئ : المصدر السابق : ج١ : ص ٢٢٣ .

١٩٩- ابن الخطيب : الإحاطة فى أخبار غرناطة : ج١ : ص ١٣٤ .

٢٠٠- ابن الخطيب : المصدر السابق : ج١ ص ١٣٤ .

٢٠١- ابن الخطيب : نفس المصدر ج١ : ص ١٣٤-١٣٥ .

٢٠٢- ابن الأبار : الحلة السيرة : ج٢ : ص ٨٥-٨٧ .

ويذكر هنرى بيرس فى كتابه الشعر الأندلسى إن العمامة والبرنس لم يكونا مجهولين لدى الأندلسيين ، ولو أن العمامة ظل ارتداؤها وفقاً على القضاة والعلماء دون غيرها (٢٠٣).

وكان الأندلسيون يعتبرون ارتداء الجند للعمامة مخالفاً للشرع، فيذكر النويرى فى كتابه نهاية الأرب أنه عندما فكر عبد الرحمن شنجول قبل أن يتحرك فى غزوته ضد ليون عام (٤٠٠هـ) - (١٠٠٩م) فى أن يحل العمامة محل الطيلسان (٢٠٤) وفكر فى أن يرتديها هو نفسه فعد من أنكى ما ارتكب حملة يقول النويرى : «وجال الملكة وذوى الهيئات من طبقات الخدمة» بطرح قلائسهم والانتقال عنها إلى العمامات ومن فرط فى ذلك عوقب فلبسوها على كرهه وكانوا بها أقبح منظرًا ، وأهجن زى وملبس لمخالفته العادة» (٢٠٥) أما فيما يتصل بالبرنس نعرف أن الأمويين كانوا يستخدمونه وكان عبد الرحمن شنجول نفسه يرتدى البرنس عندما يكون وسط نساته (٢٠٦) ومع مجئ المرابطين انتشر استخدام البرنس وشاع أيضاً لبس العمامة فكان الفرسان والجنود يلبسونها (٢٠٧).

كذلك استخدم الأندلسيون على نطاق واسع (٢٠٨) الجلود والفراء فى ملابسهم . وكثيراً ما

٢٠٣- هنرى بيرس : الشعر الأندلسى فى عصر ملوك الطوائف : ص ٢٨٤- ص ٢٨٥ .

٢٠٤- الطيلسان ثوب معين يوضع على الرأس وينسدل على الكتف وقد شاع ارتداء الطيلسان فى الأندلس بين فئات الناس فاستخدمه العامة والخاصة ،

Dozy : Dictionnaire detaille des noms des vetements , chez les Arabes , p. 278 , 280 .

يقول المقرئ فى ذلك نقلاً عن ابن سعيد لاجتهد فى خواص الأندلس وأكثر عوامهم من يشون دون طيلسان : ج ١ : ص ٢٢٣ .

٢٠٥- النويرى : (شهاب الدين) نهاية الأرب فى فنون الأدب : نشر جسابار رامروا، ابن عذارى: البيان المغرب : ج ٣ : ص ٤٨ .

٢٠٦- ابن الخطيب : أعمال الأعلام : ص ٩٠ .

٢٠٧- راجع هنرى بيرس : المرجع السابق ص ٢٨٥ ، سحر سالم : ملابس الرجال فى الأندلس فى العصر الإسلامى .

٢٠٨- تقدمت صناعة الجلود فى الأندلس وخاصة فى مالقة حيث كان يصنع بها الأتمشة والأحزمة والمدورات والحقائب والأحذية، راجع العمري (ابن فضل الله) شهاب الدين أحمد ابن يحيى الكاتب الدمشقى =

يتردد ذكر فرو الأرنب^(٢٠٩) وفرو حيوان آخر يدعى الفنك فى أبيات الشعراء ، يقول أبو القاسم بن السقاط:

تُطاعنا فيه ثدى نواهد نهدن لحرى والسنور أفناك^(٢١٠)
ويصف بن سارة فروته :

أودت بذات يدى فريسة أرنب كفؤاد عروة فى الضنى والرقه
إن قلت باسم الله عند لباسها قرأت على إذا السماء انشقت
يتجشم الفراء وترقيعها بعد المشقة فى قريب الشقة^(٢١٠)

أما ما ذكره المقرئ نقلاً عن ابن سعيد من حب الأندلسيين للنظافة واهتمامهم بنظافة ملابسهم وفرشهم فإن الأمثال الشعبية الأندلسية كانت فى جملتها تدم القذارة وتصورها بكيفية منفرة ، ويبلغ من تقديرهم للنظافة أن دعوا إلى تطليق المرأة التى تتمخط فى قناعها أو تدخل إصبعها فى أنفها^(٢١٢).

= العمرى : مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار (وصف إفريقية المغرب والأندلس: تحقيق حسنى عبد الوهاب: تونس : ص٤٨ : القلقشندى: صبح الأعشى: ج٥ : ص٢٠٩ ، ابن الخطيب: مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب : مجموعة من رسائله أحمد مختار العبادى: ص١٥٩ وقد خضعت هذه الصناعة لرقابة المحتسب: راجع السقفى فى الحسبة : ص٦٣ ، ابن عبدون : رسالة فى الحسبة ص٤٨ .

٢٠٩- هنرى بيرس : نفس المرجع : ص٢٨٥ ، هذا وقد استعمل الأندلسيون نوعاً آخر من الفراء لحيوان يسميه المقرئ فراء القنلية وهو حيوان أرق من الأرنب وأطيب فى اللحم وأحسن وبراً وكثيراً ما تلبس فرائها ويستعملها أهل الأندلس من المسلمين والنصارى ، المقرئ : نفع الطيب : ج١ : ص١٩٨ .

٢١٠- هنرى بيرس : نفس المرجع : ص٢٨٥ قال ابن بسام فى كتابه الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة .

تسمى أولاً بفخر الدولة ثم بالمعتضد : راجع ابن الأبار : الحلة السيرة : ج٢ : ص٣٩ وما بعدها .

٢١١- هنرى بيرس : نفس المرجع : نفس الصفحة .

٢١٢- محمد ابن شريفة : أمثال اللزجالي: ص٢٣٢ .

يقول المثل الأندلسي :

« إذا رأيت المرأ فى قنعبها ، وتخرج المفتول بإصبعها لاتبقى معها » (٢١٣) ، وقولهم أيضاً :
« كل شئ يهون إلا الغزل المعفون » (٢١٤) .

وكان البصاق على الأرض من العادات المستهجنة (٢١٥) .

يقول المثل : « إذا وقعت الخنونة وقعت التونة »

ومن أمثالهم التى لها دلالة فى هذا المثل أيضاً قولهم : « كنس وجلس » (٢١٦) وقولهم أيضاً
« ثلث الخبى دردى ، شئ أن ردى » (٢١٧) .. كذلك تمثل الأندلسيون بالمثل القائل « قدرة الزفت
ما يطبخ فيها معسل » (٢١٨) .

ولقد اهتم الأندلسيون بنظافة الفم والأسنان أبلغ اهتمام فاستعملوا السواك المصنوع من
خشب عطرى يستخدم للعناية بالفم والأسنان يقول الأسعد بن بطليطة (٢١٩) :

أرى نكهة المسواك فى حمرة اللمى وشاربك المخضر بالمسك قد خطا

عسى قزح قبلته فأخاله على الشفة للمياء وقد جاء مختطاً

وقد استخدم الأندلسيون العطور بشكل واسع وكثيراً ما نرى فى قصائد الشعراء
الأندلسيين يصفون العطور المصنوعة من الزهور المنتشرة فى بلادهم مثل السوسن وزهرة
النسرين وبعض أنواع العطور مثل العنبر والمسك. فشاع التشبيه بالعطور فى الشعر الأندلسي
يقول ابن عائشة يصف وطنه .

٢١٣- محمد ابن شريفة : المرجع السابق : مثل رقم ٣٨ ص ٢٣٢ .

٢١٤- محمد ابن شريفة : نفس المرجع والصفحة مثل رقم (١٠٩١) .

٢١٥- محمد ابن شريفة : نفس المرجع والصفحة مثل رقم (٣٦) .

٢١٦- نفس المرجع والصفحة : مثل رقم (١١٦٥) .

٢١٧- نفس المرجع والصفحة : مثل رقم (٧٤٤) .

٢١٨- نفس المرجع والصفحة : مثل رقم (١٨٢٢) .

٢١٩- المقرئ : نفع الطيب : ج ٤ : ص ٥٢ .

طربة مسك وجو عنبرة
كأفما جائل الحباب به
يقول أبو أيوب بن أمية متسانلاً :

أمسك دارين حياك النسيم به
بشاطى: النهر حيث النور مؤتلق
أم عنبر الشحر أم هذى البساتين
والراح تعبقت أم تلك الرياحين (٢٢١)

وكان أهل الأندلس يقولون : « يستدل على الملوكية بالطيب فى المواطن التى يكون الناس فيها غير معروفين ، كالحمام ومعارك الحرب ومواسم الحج (٢٢٢) .

أما عادة الأندلسيين فى الاحتياط والتدبير ، حتى أنهم وصفوا بالبخل يقول المقرئ نقلاً عن ابن سعيد أن الأندلسيين « أهل احتياط وتدبير فى المعاش وحفظ لما فى أيديهم خوف ذل السؤال فلذلك قد ينسبون للبخل » (٢٢٣) وكان البخل الذى كان يبدو فى نظر العرب أيام الجاهلية وفجر الإسلام أقيح العيوب يمثل فى الأندلس الإسلامية جانباً من شخصية الأندلسى (٢٢٤) .

ومع هذا فقد تناول الشعر صفة البخل يقول المعتضد (*):

لعمرك ما الإسراف فى طبيعة
ولكن طبع البخل عندى كالتحف (٢٢٥)

ويقول فى مكان آخر :

فاهدم بناء البخل وارفض به
لا عاش إلا جائعاً نانعاً
من هدم البخل بنى مجدة
فليحكنى فى الندى والسيف العلم (٢٢٦)

٢٢٠- المقرئ : المصدر السابق : ج٤ : ص ١٥٨ .

٢٢١- المقرئ : نفس المصدر : ج٣ : ص ٥٥٠ .

٢٢٢- المقرئ : نفس المصدر : ج٣ : ص ٤٣٠ .

٢٢٣- المقرئ نفس المصدر : ج١ : ص ٢٢٣ .

٢٢٤- هنرى بيرس : الشعر الأندلسى : ص ٣٨٢ .

(*) تسمى أولاً بفخر الدولة ثم بالمعتضد : راجع ابن الأهار : الحلة السيرة : ج٢ ص ٣٩ وما بعدها .

٢٢٥- ابن الأهار : الحلة السيرة : ج٢ : ص ٤٤ يقول أيضاً :

فما منى بخل بخاطر مهجتي ولا مر بخل الناس قط ببالي

٢٢٦- ابن الأهار : المصدر السابق ج٢ ، ص ١١١ .

وقد ترددت فى الأمثال الشعبية ما يؤكد هذا الاحتياط والتدبير لدى الأندلسيين أو ما يسمى بالبخل فجاءت أمثالهم تحض على الإِدخار يقول المثل :

« أرفع ما شيت يقل لك الزمن هيت » (٢٢٧) ويقولون أيضاً من رفع من غداة لعشاة لن ينتقم عليه أعداءه (٢٢٨) والأندلسيون يفضلون خزن الزرع على بيعه حتى ولو دخله السوس يقول المثل «سوس خير من فلوس» (٢٢٩) وهم أيضاً يخزنون الثوب حتى يبلى ولا ينتفع به يقول المثل أيضاً.

حزنى على القبطى ، بلى وهى مطوى (٢٣٠). ويقولون فى معنى الاحتياط أيضاً : لا تهرق ما حتى تجد ماء .

أخلط القمح تصلح (٢٣١) ، كل خبزتك بالملك يكون أوفر لدرهمك (٢٣٢) ويقولون أشرى بقطاعك ما يدخل فى أصابعك (٢٣٣) ، كذلك يرى الأندلسيون أن شراء الأشياء الغالية سبب الفقر فيقولون الشيكلى تفقر (٢٣٤) وفى معنى الإتفاق بدون حساب يقولون من أى تأخذ ولا تجعل للقطاع تصل (٢٣٥) ومن أمثالهم فى حسن التدبير قولهم على قيس كيسك تمتد رجلك (٢٣٦) ، وقولهم الدقيق من السحر والعشا من الظهر (٢٣٧) ، ويقولون أيضاً من اهترق زيت فى دقيق يعمل الكعك (٢٣٨)

٢٢٧- محمد بن شريفة : نفس المرجع : ص ٢٣٠ مثل رقم (٤٢٧) .

٢٢٨- محمد ابن شريفة المرجع والصفحة مثل رقم (١٣٧٧) .

٢٢٩- نفس المرجع ص ٢٣١ : مثل رقم (١٨٤٦) .

٢٣٠- نفس المرجع والصفحة : مثل رقم (٧٣٩) .

٢٣١- نفس المرجع مثل رقم (٤١٨) .

٢٣٢- نفس المرجع والصفحة مثل رقم (١١٤٠) .

٢٣٣- نفس المرجع والصفحة : مثل رقم (٤٦٤) .

٢٣٤- نفس المرجع والصفحة : مثل رقم (٣٤٨) .

٢٣٥- نفس المرجع والصفحة : مثل رقم (١٤٥٥) .

٢٣٦- نفس المرجع والصفحة: مثل رقم (١٦٣٠) وهو يوافق المثل الشعبى المصرى على قد لحافك مد رجلك .

٢٣٧- نفس المرجع والصفحة : مثل رقم (٢٨٢) .

٢٣٨- نفس المرجع والصفحة : مثل رقم (١٣٩٣) .

أما علاقة الأندلسيين بالفنون والعلم يقول المقرئ (٢٣٩) « فتحقيق الإنصاف فى شأنهم فى هذا الباب أنهم أحرص الناس على التميز ، فالجاهل الذى بم يوفقه الله للعلم يجهد أن يتميز بصنعة ويربأ بنفسه أن يرى فارغاً على الناس لأن هذا عندهم فى نهاية القبح والعالم عندهم معظم من الخاصة والعامة يشار إليه ويحال عليه وينبه قدره وذكره عند الناس ، ... ومع هذا فليس لأهل الأندلس مدارس تعينهم على طلب العلم، بل يقرءون جميع العلوم فى المساجد بأجرة ، فهم يقرءون لأن يعلموا لأن يأخذوا جاريًا ، فالعالم منهم بارع لأنه يطلب العلم بباعث من نفسه ... وكل العلوم لها عندهم حظ واعتناء ... وللقرء رونق ووجاهة ... والشعر عندهم له حظ عظيم ... وإذا كان الشخص بالأندلس نحوياً أو شاعراً فإنه يعظم فى نفسه لامحالة». ويذكر ابن عذارى أن الدولة الأموية اهتمت بتعليم الفقراء فحبسوا كثير من الأتاف لصالح التعليم (٢٤٠).

وفى مجال جمع الكتب وإنشاء المكتبات نشطت الحركة العلمية فى الأندلس ، حيث أظهر الناس ولعاً شديداً بجمع الكتب والتنقيب عن نفائسها ونوادرها حتى قيل أنهم أشد الناس اعتناءً بذلك وصار ذلك من سمات النبيل والفضل والرياسة لديهم ولو كان جامعها وشاريها لا يقرأ ولا يكتب (٢٤١).

٢٣٩- المقرئ : نفع الطيب : ج١ : ص ٢٢٠-٢٢١ .

٢٤٠- ابن عذارى : البيان المغرب : ج٣ : ص ٢٥٨ ، محمد عبد الحميد عيسى : تاريخ التعليم فى

الأندلس ، الطبعة الأولى ١٩٨٢م - نشر دار الفكر ص ١١٢ .

٢٤١- سعد البشرى : الحياة العلمية فى عصر ملوك الطوائف بالأندلس : نشر مؤسسة الملك فيصل

بالبرياض ١٤١٤هـ « أصبحت قرطبة فى عصر الخلافة الأموية منارة للعلم يؤمها آلاف العلماء والطلاب، وراجع

نفس المرجع ص ١١٠- ١١٢ وقد وصفها ابن بسام بقوله « كانت منتهى الغاية ومركز الرأية ومن أفقها

طلعت نجوم الأرض وأعلام العصور وفرسان النشر والنظم بها وأنشأت التأليف الرائعة وصنفت التصانيف

القاتقة » ابن بسام : الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة ج١ : ق (١) : تحقيق إحسان عباس دار الثقافة : بيروت

الطبعة الثانية : ١٣٩٩ هـ : ص ٣٣ - ص ٣٤ ، أما المقرئ فيقول « ولأهلها رياسة ووقار ، لاتزال سمة العلم

متوارثة فيهم ... وهم أشد الناس اعتناء بالكتب ، صار ذلك عندهم من آلات التعيين والرياسة » المقرئ : نفع

الطيب : ج١ : ص ٤٦٢-٤٦٣ .

ولقد كان من أهم المكتبات التى أنشئت فى ذلك الوقت مكتبة الحكم المستنصر التى قيل عنها أنها كانت تحفة لم يسبق للملك على وجه البسيطة أن ملكها^(٢٤٢) وبالإضافة إلى هذه المكتبة فقد كان هناك العديد من المكتبات الخاصة التى عنى بها عدد من الوزراء والعلماء الذين اشتهروا بمكتباتهم^(٢٤٣) ولم يكن التعليم فى الأندلس قاصراً على الأولاد دون البنات وإنما كان يشمل البنات أيضاً، وتشير كتب التراجم إلى أسماء بعض المعلمات الأندلسيات^(٢٤٤)، كما ذكر ابن حزم فى كتابه طوق الحمامة أنه تعلم فى صغره على النساء «وهن علمنى القرآن ورويتنى كثيرا من الأشعار ودرينى فى الخط»^(٢٤٥)...

وتشير بعض الأشعار إلى استخدام الشدة فى تعليم الصبية يقول ابن خفاجة :

نبه وليدك عن صباه بزجرة فلربما أغفى هناك ذكـاؤه
وانهره حتى تستهل دموعه فى صفحتيه وتلتظى أحشائه
فالسيف لا يذكر بكفك حدة حتى يسيل بصفحتيه ماؤه^(٢٤٦)

أما الأمثال الشعبية فقد تناولت موضوع التعليم والمعلمين بعدد كبير من الأمثال التى تنطوى على مدى اهتمام الأندلسيين بالعلم والتعليم فهم يرون أن التعليم وسيلة إلى السعادة والفلاح ومن هذه الأمثال المثل القائل :

٢٤٢- المقى : المصدر السابق ج١ : نفس الصفحات ، خوليان رابيرا : التربية الإسلامية فى الأندلس أصولها الشرقية وتأثيرها الغربية : ترجمة د. الطاهر مكى ص١٧٨ ، ص١٩٧ - ص١٩٨ ، ص٢٢٠ ، سعد البشرى : نفس المرجع : ص١١٢ ، عبد الرحمن الحجى : الكتب والمكتبات فى الأندلس : بحث نشر فى مجلة الدراسات الإسلامية فى بغداد ١٢٩٢هـ، محمد عبد الحميد عيسى تاريخ التعليم بالأندلس ص١٣٦- ص١٣٨ .

٢٤٣- خوليان رابيرا : نفس المرجع : ص١٩٨- ص٢٢٠ ، سعد البشرى : نفس المرجع : ص١١٢ .

٢٤٤- ابن الفرضى : تاريخ علماء الأندلس : ص٣٥٣ ترجمة رقم ١٠٤٤ (وهى فخر المعلمة) .

٢٤٥- ابن حزم الأندلسى : طوق الحمامة فى الإلفة والألفا حقه وحرر هوامشه د. الطاهر أحمد مكى الطبعة الخامسة : دار المعارف : سنة ١٩٩٣ : ص٧٩ .

٢٤٦- محمد ابن شريفة : نفس المرجع : ص٢٠٢ ، ٢٠٣ .

من قرأ لن يشقى^(٢٤٧) وقد أشارت بعض الأمثال إلى اهتمام الآباء لتعليم أبنائهم وحرصهم الشديد على التعليم واستعمال القسوة فى بعض الأحيان ومن هذه الأمثال القائل لاصبى يحفظ ولا المؤدب يعذر^(٢٤٨) وواضح من المثل أن الأندلسيين كانوا لا يقبلون عذر المؤدب أو المعلم إذا أهمل أو قصر ... ، ويقولون أيضاً ضرب المعلم للصبى كالماء للزرع^(٢٤٩) ومن ربا صغيراً لا ينتم^(٢٥٠) كذلك المثل القائل ولد بلا لقم بحال خبز بلا وشم^(٢٥١).

هذا وتشير بعض الأمثال إلى ضرورة التفرغ للتعليم والانتقطاع إليه: «من فكر فى شرا بصلة لن يحفظ مسألة»^(٢٥٢).

وقد أشارت الأمثال الأندلسية إلى أجرة المعلم^(٢٥٣) وتشير الوثائق الأندلسية إلى نماذج لعقود المعلمين أو المؤدبين^(٢٥٤) .. وتشير الأمثال إلى الفتوح التى كانت تقدم إلى المعلمين فى المناسبات يقول المثل «ما كان فاللوح، أطرا من فتوح»^(٢٥٥) وإلى جانب الفتوح هناك «الحذفة» وهى ما يدفع إلى المؤدب عند حذف القرآن وحفظه^(٢٥٦) .. وعلى الرغم من أجور المعلمين فقد ضربت الأمثال فى فقر بعضهم وخاصة فى القرى والبادى، فضربوا المثل فى الفقر بمؤدب برجة^(٢٥٧) .. على أن صناعة العلم كانت مجزية فى الغالب^(٢٥٨) فقد اشتهر عدد من

٢٤٧- محمد بن شريفة : نفس المرجع : ص ٢٠١ مثل ابن عاصم رقم (٦٩٩) .

٢٤٨- محمد بن شريفة : نفس المرجع : ص ٢٠٢ : ابن عاصم مثل رقم (٨١٤) .

٢٤٩- محمد بن شريفة : نفس المرجع : رى الأوام ج٢ : مثل رقم ١٥٤ ص ٢٠٢ .

٢٥٠- محمد بن شريفة : نفس المرجع : ص ٢٠٢ مثل ابن عاصم رقم (٣٨) ، راجع أيضاً : عبد العزيز

الأهوانى : أمثال العامة فى الأندلس : ص ٢٦٧ .

٢٥٢- محمد بن شريفة : نفس المرجع : ص ٢٠٣ : مثل رقم (١٣٦٧) .

٢٥٣- راجع محمد ابن شريفة : نفس المرجع : ص ٢٠١ .

٢٥٤- محمد بن شريفة : نفس المرجع : ص ٢٠١ .

٢٥٥- محمد بن شريفة : نفس المرجع : ص ٢٠١ مثل رقم (١٣٠٧) .

٢٥٦- النبيدى : طبقات النحويين واللفريين ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم : ط. الخانجى : سنة

١٩٥٤ ص ٢٧٨ .

٢٥٧- محمد بن شريفة : نفس المرجع : ص ٢٠١ وهى إحدى قرى الأندلس .

٢٥٨- محمد بن شريفة : نفس المرجع : ص ٢٠١ .

المعلمين بالفنى فذكرت كتب التراجم أن استفاد الشلبوينى النحوى المعروف من الطلبة كان يبلغ أربعة آلاف درهم فى الشهر الواحد^(٢٥٩) يقول ابن عاصم «يفرق مال على متعلمين»^(٢٦٠) كما صورت الأمثال الشعبية هيبة المعلم وخوف التلاميذ بقولهم «كثير ما يقول الصبيان إذا غاب المعلم^(٢٦١) هذا ولم تخل الأمثال من تندر بالمعلمين ، فمنها ما يتهمهم بالمحاباة ومنها يتهمهم ببعض ما لا يليق^(٢٦٢) وقد وردت فى ذلك أيضاً بعض الأخبار والقصص^(٢٦٣).

وكان الطعام من الاهتمامات اليومية التى يهتم بها الأندلسى ومن أجله كان يصرف جزءاً كبيراً من وقته من أجل تحسين مستوى معيشته وقد عرف الطعام الأندلسى بأنه من أجود الأطعمة وأكثرها أصنافاً وتعددًا . ويرجع ذلك إلى أن الأندلس كانت بلداً زراعياً وتكثر بها المناطق الرعوية فتوفرت المنتجات الزراعية من غلات الغذاء واللحوم والفواكه^(٢٦٤) فكانت مالقة كثيرة اللوز والعنب والتين^(٢٦٥) ، كما اشتهرت جليانة من أعمال وادى أشى بالفتح الجليانى الذى يضرب به المثل فى الأندلس^(٢٦٦) ، كذلك اشتهر إقليم غرناطة بإنتاج كميات وفيرة من التين والأعناب والخوخ والكمثرى^(٢٦٧) ..

٢٥٩- عبد الملك المراكشى : الذيل والتكملة السفر الخامس : تحقيق الدكتور إحسان عباس - دار الثقافة- بيروت : ص٤٦٣ ، محمد ابن شريفة نفس المرجع : ص ٢٠٢ .

٢٦٠- وهذا المثل يشير إلى كرم بعض الأساتذة والمعلمين تجاه تلاميذهم ، محمد ابن شريفة : نفس المرجع : ص٢٠٢ < أمثال ابن عاصم رقم (٨٢٨) .

٢٦١- محمد ابن شريفة : نفس المرجع : ص٢٠٣ : مثل رقم (١١١٩) .

٢٦٢- محمد ابن شريفة : نفس المرجع : ص٢٠٣ .

٢٦٣- محمد ابن شريفة : نفس المرجع والصفحة .

٢٦٤- العزرى : أحمد ابن عمر) نصوص عن الأندلس : ص١٢٤ ، ١٢٧ ، فاشتهر التين المالحى والزبيب المنكى، نسبة إلى مدينة المنكب .

٢٦٥- ابن الخطيب : مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب : ص٧٨ حاشية رقم (١) ، ابن سعيد المغربى : المغرب فى حلى المغرب : ج١ : ص٤٤٢ .

٢٦٦- ابن سعيد : المغرب فى حلى المغرب : ج٢ : ص١٤٨ .

٢٦٧- العصرى : وصف أفريقيا : ص٣٥ ، ابن الخطيب الإحاطة : ج١ : ص١٠٩ ، مجهول : الحلل المشوية فى ذكر الأخبار المراكشية ص٩١ ، القرى : نفع الطيب : ج١ : ص١٤٧ ، ١٥٠ ، ١٧٩ ، القلقشندى : صبح الأعشى : ج٥ : ص٢١٥ .

أما القمح والشعير فقد زرع فى كافة أنحاء الأندلس فذكر ابن الخطيب أن غرناطة كانت بحرا من بحور الحنطة^(٢٦٨) أما قرطبة فكان يوجد بها ثلاثة بيوت أرجاء وبكل بيت أربعة مطاحن لخدمة الناس^(٢٦٩) كذلك توفرت اللحوم فى البلاد الأندلسية فقد كان يدخل إلى قرطبة سبعون ألف رأس ماعدا البقر فى الأيام التى تجلب فيها الجلابب إلى قرطبة^(٢٧٠) وكانت الأسرة الأندلسية تأكل الخبز المصنوع من القمح يقول ابن الخطيب^(٢٧١) «أما طعامهم فالغالب عليهم القمح والفقراء يقتاتون الذرة العربية».

وقد شاع الترف^(٢٧٢) بين طبقة الخاصة فى المأكّل فقد تفنن الأغنياء فى طهو نوع واحد من الطيور بطرق مختلفة فمثلاً كانت الدجاجة تطهى بطرق عديدة بحسب ما يضاف إليها ، فقد كانت تحمر بالجزر والزعفران ، أو تحمر باللوز المدقوق أو تطهى بماء الكزبر الأخضر أو تحمر بالصنوبر والفسق ، كما يسوون بعض الحيوانات الكبيرة مثل الخراف والعجول ويضعون بداخلها الطيور المشوية^(٢٧٣).

ولكن هذا الإسراف لم يكن موجوداً فى مطابخ العامة من الناس، وخاصة الطبقات الفقيرة التى لم تكن تستطيع عمل ذلك ووصل الحد ببعضهم أنه كان يلتقط بقايا مطبخ الخلفاء والحكام والأغنياء ويتخذ منه طعاماً لهم^(٢٧٤) يسد به رمقه.

٢٦٨- ابن الخطيب : الإحاطة : ج١ : ص٩٦ ، اللوحة البدرية : ص٢٢ .

٢٦٩- نعمة العزوى: أبو بكر النبيدى النحوى : ص٣٠ ، سعد عثمان: المجتمع فى الأندلس: ص٢٦٢ .

٢٧٠- ابن غالب : فرحة الأنفس : ص٢٧ .

٢٧١- ابن الخطيب : الإحاطة : ج١ : ص١٣٧ .

٢٧٢- راجع أوشى ميراندا: المطبخ الأيبانى المغربى خلال عصر الموحدين ص١٣٧ ، ١٥٥ هامش ٣ مجلة معهد الدراسات الإسلامية مدريد سنة ١٩٥٧ ، مجهول : الطبخ فى المغرب والأندلس : ص٢٠٠ صحيفة معهد الدراسات الإسلامية مدريد سنة ١٩٦٥ تحقيق أوشى ميراندا المجلد الخامس ص١٣٧ ، ١٥٠ ، ٢٠٠ .

٢٧٣- مجهول : الطبخ فى المغرب والأندلس : ص١٣٧ ، ١٥١ ، ١٥٢ صحيفة معهد الدراسات الإسلامية مدريد : تقويم حسين مؤنس .

٢٧٤- نفس المصدر : ص٨١ .

وبالإضافة إلى أنواع اللحوم المختلفة من العجول والخراف والطيور بأنواعها كان الأندلسيون يتناولون طعامهم من الأسماك البحرية وخاصة المدن البحرية مثل اللرية والمنكب ومالقه (٢٧٥) ...

وكانت التوابل تستعمل بكثرة فى مختلف أنواع الأطعمة وخاصة فى أنواع اللحوم سواء المطهية أو المشوية أو المقلية ، ومن أشهى التوابل التى استعملها الأندلسيون الفلفل والزعفران (٢٧٦) والقرفة والكزبرة والسنبيل والزنجبيل واللوز والدارصينى (٢٧٧) والكمون والكرابيه ، كما كانوا يضيفون الخل أيضاً إلى معظم الأطعمة سواء المشوية منها أو المطهية لكى تكسبها رائحة مقبولة (٢٧٨) وكان الأندلسيون لا يستعملون السمن فى طعامهم إلا نادراً كما كانوا يفضلون عليه الزيت ، وكان الزيت يدخل فى معظم الأطعمة سواء كانت مقلية أو مطهية وإذا حدث واستعملوا السمن فكانوا يضيفون إليه الزيت تخفيفاً لحدته (٢٧٩) ...

أما الأجبان فقد استعملها الأندلسيون كثيراً فكانوا يصنعونها من لبن البقر والغنم والماعز والجاموس ولا تؤكل جنب الماجوس لأن ذبائحهم لا تحل للمسلمين (٢٨٠) ، وقد اشتملت الأمثال والأشعار الأندلسية على بعض أنواع الفطائر المحشوة بالجبن وقد أطلق عليها اسم المجبنات ومفردها مجبنة وهى عبارة عن طعام يعمل من عجينة خاصة يحشى بالجينة ويقلى فى الزيت وقارنهما المقرى بالقطناف الشرقية . وكانت مدينة شريش مشهورة بتجويد المجبنات (٢٨١) فقد قالوا فى أمثالهم:

٢٧٥- مجهول نفس المصدر : ص ١٧٢ ، ١٧٧ .

٢٧٦- اختصت بسطة إحدى مدن إقليم غرناطة بالزعفران ، راجع : الإدريسي نزهة المشتاق ص ٢٠٢ ، ابن الخطيب : مشاهدات : ص ٣١ هامش رقم (٩) .

٢٧٧- الدارصينى : شجر له قشر يستعمل مسحوقه فى أخلاط التوابل والبهار ، راجع ابن ماجه المحتسب: نهاية الرتبة فى طلب الحسبة : ص ٤٣ .

٢٧٨- مجهول : الطبخ : ص ٤٠ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٨٢ .

٢٧٩- مجهول الطبخ : ص ٤٢ .

٢٨٠- ابن عيلون : ثلاث رسائل فى الحسبة ص ٤٢ .

٢٨١- محمد ابن شريفة : نفس المرجع : ص ٢٠٣ ، المقرئ : نفع الطيب : ج ١ : ص ١٨٤ .

من دخل شريش ولم يأكل المجبنات فهو محروم (٢٨٢) وكانوا يشترطون فيها أن تكون ساخنة كما جرت عاداتهم أن تؤكل فى الصباح مع طعام الإفطار ولهذا شبهوا فى أمثالهم الشئ الذى يزهد فيه ويرغب عنه ويقل طلبه والإقبال عليه بمجينة الظهر (٢٨٣) . إذ يقولون :

« مجينة الظهر خرج نارها وقل طلابها » (٢٨٤) وقد تناول الشاعر أبو الحسن الدباج الأشبيلي .

إذ يقول (٢٨٥) :

أحلتى مواقعها إذا قررتها وبخارها فوق الموائد سامى
 إن أحرقت لمسا فإن أوارها فى داخل الأحشاء برد سلام
 وجاء فى أمثالهم أيضاً :

« انتظار المجينة آخر من أكلها » (٢٨٦) .

وتذكر المصادر أنهم كانوا يستعملون المجبنات فى المناسبات كحفلات الأعراس والختان (٢٨٧) كما كانوا يتهادون بها (٢٨٨) خاصة فى أوقات النزهة والتى كان يخرج إليها الأساتذة مع طلابهم (٢٨٩) ، وقد أولع بعض الشعراء بالمجبنات فوصفوا استادرتها وشبهوها فى

٢٨٢- محمد بن شريفة : نفس المرجع والصفحة .

٢٨٣- محمد بن شريفة : نفس المرجع والصفحة .

٢٨٤- محمد بن شريفة : نفس المرجع والصفحة : مثل رقم (١٤٩١) .

٢٨٥- ابن سعيد : المغرب : ج ١ ص ٢٦١ .

« هو الأديب الأستاذ أبو الحسن على ابن جابر الدباج كان إماماً فى فنون العربية وكان زاهداً وفيه لوزعية وظرف .

راجع أيضاً المقرئ: نفع الطيب : ج ٣ : ص ٤٦١ .

٢٨٦- محمد بن شريفة : نفس المرجع : ص ٢٠٤ : مثل رقم (١١٦) .

٢٨٧- ألفردى دى برمار : مذكرات ابن الحاج النيمى : رسالة ماجستير : جامعة القاهرة غير منشورة : ص ١١ ، ١٢ .

٢٨٨- محمد بن شريفة : نفس المرجع : ص ٢٠٤ .

٢٨٩- محمد بن شريفة : نفس المرجع والصفحة .

ذلك بالقمر ، يقول ابن مطرف(*) الغرناطى .

وكم مجبنة هام الفؤاد بها قدم وصورتها من أحسن الصور
كأنها البدر فى تدويرها فإذا شقت على النصف كانت شقة (٢٩٠) القمر

ومن الأطعمة التى ورد ذكرها فى أشعار الأندلسيين أيضاً الأسفنج وهو طعام ما يزال
معروفاً إلى الآن فى المغرب وهو شبه الزلابية فى المشرق يقول أبو حفص عمر بن
الشهين(*) .

أخذى كذا بركاب النيف أنزله الذى عندى من الأسفنج بالعسل
كذلك وصف الأصبم المروانى سفاجاً وشبه صنعته بالكيمياء فقال يتغزل:

لله سفاج بدا لى مسحراً فأفاد علم الكيمياء بيمينه
ذهبت فضة خده بلواحظى وكذلك تفعل ناره بعجينه (٢٩٢)

ويقول ابن الأزرق من قصيدة قالها بمصر فى الشوق إلى أطمعة الأندلس :

ولى إلى الأسفنج شوق دائم بطربنى (٢٩٣)

(*) وهو من شعراء غرناطة المطبوعين وقد قتل فى معركة العقاب ٦٠٩هـ، وترجم له الضبى فى كتابه
الغبية فقال عنه شاعر أديب مجيد خبيث الهجاء ، كما ذكره الفتح فى كتاب المطمح ، كما ترجم له ابن دحية
فى كتابه المطرب ، راجع : ابن سعيد: المغرب فى حلى المغرب : ج٢ : ص ١٢٠ .

٢٩٠- ابن الأبار : المتعصب من تحفة القادم : تحقيق ابراهيم الأبيارى: المطبعة الأميرية القاهرة : سنة

١٩٥٧ : ص ٩٨ .

٢٩١- ابن بسام : الذخيرة : ١-٢ : ص ١٨٧ .

(*) هو أبو حفص عمر ابن شهيد الوزير الكاتب ، كان فارس النظم والنثر راجع ابن بسام: الذخيرة ١-٢:

ص ١٨٠ .

٢٩٢- المقرئ : نفس المصدر : ج٥ : ص ١٣١ .

٢٩٣- المقرئ : نفع الطيب : ج٤ : ص ٢٧٩ .

هذا وتعبر بعض الأمثلة الأندلسية عن الأطعمة المختلفة يقول المثل الأندلسي: «قنبيط لن يقببط» وهو يشير إلى عجز الفقراء عن شراء اللحم^(٢٩٤) ويقولون أيضاً «افتح كرنب مقتلكم أن اللحم غال»^(٢٩٥) كما تمثلوا بنفس المعنى أيضاً: بالأسياخ تستغنوا عن الفراخ^(٢٩٦) كذلك تشير بعض الأمثال عن عجز الفقراء عن شراء حتى الخضر يقول المثل «الأجر درهمين والبقل من أين»^(٢٩٧).

الاحتفالات الدينية

احتفل المسلمون في الأندلس بالعديد من الأعياد والمناسبات الدينية المختلفة ومن هذه الاحتفالات التي احتفل بها الأندلسيون، حلول شهر رمضان المبارك حيث كانوا يحتفلون بحلوله بأن يخرج القضاة والفقهاء وأئمة المساجد لاستطلاع هلال رمضان ويذخر هذا الشهر بمجالس الذكر والعلم وذلك بإقامة الحلقات الدينية^(٢٩٨) والإكثار من قراءة القرآن والصلاة في المساجد وفي هذا الشهر الكريم تزداد العناية بإنارة المساجد بالمصابيح ذات الألوان^(٢٩٩).

وكان الأندلسيون يعتبرون شهر رمضان موسماً لتفريق الصدقات وكان الخليفة هو قودتهم وسابقهم إليها^(٣٠٠).

ويصف بروفنسال مشهد الشوارع بعد الإفطار خلال شهر رمضان فيقول أنها كانت تضح بالحوية وتظل المتاجر مفتوحة لوقت متأخر من الليل والباعة الجائلون والحلوانية وباعة المشروبات يجتهدون في إرضاء عملائهم^(٣٠١).

٢٩٤- محمد بن شريفة: نفس المرجع: ص ٢٠٦ مثل رقم ١٧٨٤.

٢٩٥- محمد بن شريفة: نفس المرجع: ص ٢٠٦ مثل رقم (٣٩٣).

٢٩٦- محمد بن شريفة: نفس المرجع: ص ٢٠٦ مثل رقم (٥٨٤).

٢٩٧- محمد بن شريفة: نفس المرجع: مثل رقم (١٨٤).

٢٩٨- التادلي: (أحمد ابن القاسم): كتاب المعزى في أخبار مناقب الشيخ سيدي أبي يعزى: رقم

(١٢٤٩) دار الكتب المصرية: مخطوط: ورقة رقم (٧).

٢٩٩- غوستاف لوبون: حضارة العرب: ترجمة عادل زعيتير بيروت سنة ١٩٧٩، ص ٥١٠.

٣٠٠- ابن حيان المقتبس: تحقيق الحجى: ص ٢٣.

كذلك احتفلوا فى ليلة السابع والعشرين من رمضان بليلة القدر وفيها كانت توقد الشموع فى المساجد (٣٠٢) ويحتفل المسلمون بهذه الليلة فيبتاعون الحلوى ويقدمونها (٣٠٣) .

وفى نهاية شهر رمضان يحتفل الأندلسيون بختم القرآن ويسميها المقرى الختمة وفى هذه الليلة تكثر إضاءة المساجد والجوامع بالشموع والقناديل ويطلق البخور احتفالاً بهذه المناسبة (٣٠٤) ومن الليالى المباركة أيضاً لدى المسلمين عامة ليلة النصف من شعبان (٣٠٥) ويصفها ابن عبدون الأشبلى بأنها من الأيام العظيمة وفيها كان يصدر عفو عن المسجونين فى الأندلس (٣٠٦) أما عيد الفطر المبارك فكان يأتى كما هو معروف فى غرة شهر شوال عقب نهاية شهر رمضان ويذكر ابن حيان أن تحديده كان من اختصاص قضاة كور الأندلس وأهل الشورى (٣٠٧) ، فكان يخرج القضاة والفقهاء لاستطلاع هلال شوال وإعلان انتهاء شهر الصوم، غير أنه كان يحدث أحياناً اختلاف بين قضاة الكور والأقاليم حول رؤية الهلال (٣٠٨) .

هذا وقد قدم الشعر الأندلسى صورة صادقة لاحتفالات الأندلسيين بأعيادهم الدينية والاجتماعية فكان القمر ملهماً للشعراء خاصة حين يعنى ظهوره نهاية شهر رمضان .

٣٠٢- العمرى : مسالك الأبصار : تحقيق أحمد زكى باشا : القاهرة : سنة ١٩٢٤م : ص ٢١٤ .

٣٠٣- الطرطوشى : (أبو بكر محمد الوليد ابن محمد ابن خلف الفهرى) : الحوادث والبديع : تحقيق الطالبى : تونس سنة ١٩٥٩ : ص ١٤٠ .

٣٠٤- المقرى : نفع الطيب : ج ٢ : ص ٨٨ ، تحقيق يوسف البقاعى : بيروت سنة ١٩٨٦م .

٣٠٥- وهى من الليالى المباركة وقد حث الرسول صلى الله عليه وسلم على صومها «عن على رضى الله عنه عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال إذا كانت ليلة النصف من شعبان قوموا ليلىها وصوموا يومها فإن الله تبارك وتعالى ينزل فيها لغروب الشمس إلى السماء الدنيا فيقول ألا من مستغفر فأغفر له ، ألا من مسترزق فأرزقه ؟ ألا من مبتلى فأعافيه ؟ ألا كذا ألا كذا ؟ حتى يطلع الفجر» رواه ابن ماجه انظر الإمام المنذرى ، الترغيب والترهيب من الحديث الشريفة : ج ٢ ص ٣٢ .

٣٠٦- ابن عبدون : رسالة القضاء والحسبة : ص ١٨٠ .

٣٠٧- ابن حيان : المقتبس : تحقيق الحجى : ص ٢٨ .

٢٠٨- ابن حيان : المقتبس : نفس المصدر والصفحة ، سحر سالم : مظاهر الحضارة فى بطليوس : رسالة

دكتوراه غير منشورة ، ج ١ : ص ٢٥٥ .

وفى الاحتفالات بعيد الفطر الذى يعقب شهر الصوم^(٣٠٩) يقول أبو الحسن بن الزقاق^(٣١٠).

شهر أدرنا لإرتقاب هلاله جفونا إلى نحو السماء موئلاً
إلى أن بدأ أحوى المدامع أحور يجر لأزبال الشباب ذلاً^(٣١١)
أما أبا الحسن بن هارون من إمارة شتمرية الغرب فيقول :

باليلة العيد عُدت ثانية وعاد إحسانك الذى أذكرُ
إذ أقبل الناسُ ينظرون إلى هلالك النضو ناحلاً أصفر^(٣١٢)

وفى يوم عيد الفطر يستيقظ الناس - عادة - فى الصباح الباكر فيتجهون إلى المصلى خارج المدينة من كل باب من أبوابها لأداء صلاة العيد^(٣١٤)، ويذكر الطرطوشى أنهم كانوا يصحبون

٣٠٩- هنرى بيرس (الشعر الأندلسى) : ص ٢٠٢ .

٣١٠- أبو الحسن على ابن عطية ابن مطرف ابن سلمة المعروف بابن الزقاق المتوفى سنة ٥٢٨هـ ١١٣٣م أو ٥٣٠هـ - ١١٣٥م وسنه تقارب الأرمين ولد فى بلنسية فى فترة عصيبة من تاريخها الإسلامى، إذ كانت إذ ذاك تحت سلطان السيد القمبيطور ولهذا سُمى البنسى، وقد أدرك ابن الزقاق تحرير بلنسية وعودتها إلى الإسلام على أيدي المرابطين ويسمى ابن الزقاق بالخمى لأنه عرس النسب من ناحية الأب ببرى الأم التى تنسب إلى قبيلة هواة البربرية وقد درس ابن الزقاق دراسة طبية على أيدي شيوخ أجلاء، راجع ابن الأبار : الحلة السيرة : ج ٢ : ص ١٩ ، ٢٠ هامش رقم (١) .

٣١١- ابن الأبار : الحلة السيرة : ج ٢ : ص ٢٠ .

٣١٢- «هو أبا الحسن ابن هارون وجده لأمه أبو الحسن ابن الاستجى وقد أتخدع لهم الزمان وأسكت عن ذكرهم على يدى المعتضد عباد ابن محمد» .

راجع : ابن الأبار : الحلة السيرة : ج ٢ : ص ١٨ .

٣١٣- ابن الأبار : نفس المصدر : ج ٢ : ص ١٩ .

٣١٤- كمال السيد أبو مصطفى : مالقة الإسلامية فى عصر دويلات الطوائف (القرن الخامس الهجرى- الحادى عشر الميلادى) . دراسة فى مظاهر العمران والحياة الاجتماعية مؤسسة شباب الجامعة : ص ٧٩ .

تفهم نساءهم وأطفالهم، حيث ينصبون الخيام على مقربة من المصلى، لمشاهدة مظاهر فرحة العيد (٣١٥).

وفى العيد كان الناس يهتنون بعضهم البعض ويقبلون على شراء الحلوى ولذلك يرى الطرطوشى أنه من البدع اجتماع الناس بأرض الأندلس فى هذا اليوم على ابتياع الحلوى (٣١٦) كذلك يرى الطرطوشى أنه من البدع أيضاً خروج الرجال جميعاً أو أشتاتاً مع النساء مختلطين للتفرج فى أيام العيد، ويخرجون للمصلى ويقمن فيه الخيم للتفرج لا للصلاة (٣١٧).

أما الاحتفال الرسمى من قبل الخلفاء بالأعياد فقد أطنب فى وصفها ابن حيان (٣١٨).

فكان الخطباء والشعراء الأندلسيون يشاركون فى الاحتفال بالعيد فيقومون أمام الخليفة فى مجلسه مرتجلين منشدين فيكثرون ويظيلون فى أشعارهم، يقول الشاعر محمد بن حسن الطنبى (٣١٩) ..

ما أنت إلا نعمة الله التى هى للغنى وللفقير المرتجى
ولك البقاء فإن عيشك رحمة للمسلمين وظل عيشى سجع
فابهج بفطرك فى السرور ولا تزال تطوى وتنشر ألف فطر مبهج (٣٢٠)

٣١٥- الطرطوشى: الحوادث والبدع : ص ١٤١ ، أحمد الطوخى مظاهر الحضارة فى مملكة غرناطة : رسالة دكتوراه غير منشورة : آداب الاسكندرية ١٩٧٨م. ص ٨٩ ، أحمد مختار العبادى : الإسلام فى أرض الأندلس : مجلة عالم الفكر، مجلد ١٠ عدد ٢ الكويت سنة ١٩٧٩ ص ٣٩٠ ، ٣٩١ .

٣١٦- الطرطوشى : نفس المصدر : ص ١٤٠ .

٣١٧- الطرطوشى : نفس المصدر : ص ١٤١ .

٣١٨- ابن حيان المقتبس : تحقيق الحجى : ص ٦٠ ، ٦١ ، ص ٩٤ ، ص ١٨٤ .

٣١٩- هو من طينة بلد من أرض الزاب فى عدوة الأندلسيين وينقل ابن سعيد قول ابن حيان فيه « كان شاعراً عالمًا بأخبار العرب وأنسابهم كان فى أيام الخليفة الحكم وله أولاد مشهورون فى الأدب والفضل وعاش حتى سنة ٣٩٤هـ واتصل بالعميرين، عنه راجع : ابن حيان المقتبس تحقيق الحجى : ص ٨٢ هامش رقم (٧) .

٣٢٠- ابن حيان : نفس المصدر : تحقيق الحجى : ص ٨٣ .

وكان الأندلسيون يحرصون على ارتداء الثياب الجديدة وتستخدم النساء العطور المختلفة كما كن يحرصن على تكحيل العيون والتخضب بالحناء .

يقول أبو بكر محمد بن عياض القرطبي الشاعر عن امرأة يحبها:

وعلقها فتانة أعطافها تزرى بغض البانة المياد
من للغزالة والغزال يحسنها فى الخد أو فى العين أو فى الهادى
خضبت أناملها السواد وقلما أبصرت أقلاما بغير مداد (٣٢١)

وتقوم المرأة بارتداء أفضل الثياب وأغلاها والتحلّى بالذهب والحلى، وعقب الصلاة يتجهون إلى المقابر لزيارة موتاهم والترحم عليهم (٣٢٢).

ويقول الونشريشى إلى أنه من البدع المستحسنة فى بلاد الأندلس والمغرب قول الرجل للآخر فى العيد يتقبل الله منا ومنك وغفر لى ولك (٣٢٣) أما عيد الأضحى الذى يأتى فى العاشر من ذى الحجة فقد كان فرصة للاحتفال والتأنق سواء فى الطعام أو الشراب أو الملابس أيضاً ، فيذكر ابن عبد الرؤوف أن كل أسرة فقيرة أو غنية كانت تحرص على تقديم الأضحية ، خروفاً على الأقل وقد جرى التقليد على شراء الأضحية قبل النحر بيوم أو يومين (٣٢٤) وكان النحر مادة للتفاخر بين الأسر الأندلسية حيث يذكر الطرطوشى « أن الناس يتنافسون فى الضحية للافتخار لا للسنة ولا لطلب الأجر بل لإقامة الدنيا (٣٢٥).

٣٢١- المقرئ : نفع الطيب : ج٤ : ص ٩١ .

٣٢٢- ابن الخطيب : الإحاطة فى أخبار غرناطة : ج٢ ص ٥٠١ ، لىفى بروفنسال: الشعر الشعبى العربى فى أسبانيا ضمن سلسلة محاضرات عامة : ص ٣٣ ترجمة عبد الهادى شعيرة مطبوعات جامعة الإسكندرية . ١٩٥١ .

٣٢٣- الونشريشى : أبو العباس أحمد يحيى ، المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء أفريقية والأندلس : مطبعة الشافعية بدون تاريخ فاس : ج٢ : ص ٤٦١ .

٣٢٤- ابن عبد الرؤوف : ضمن ثلاث رسائل أندلسية فى الحسبة ص ١١٠ .

٣٢٥- الطرطوشى : (أبو بكر محمد) الحوادث والبدع : ص ١٤٢ .

هذا ويشير ابن قزمان فى أحد أزجاله إلى أن مجئ العيد يقترب بالغلاء وارتفاع الأسعار نتيجة لشدة الإقبال على شراء احتياجات الأسر فى مثل تلك المناسبات الهامة (٣٢٦).

كما يصور لنا ابن قزمان فى أزجاله كبش العيد وفرحة الناس وفرحته هو بكبش العيد وطرق طهيه كما يصور لنا منظراً من مناظر المدن الأندلسية فى القرن السادس لائزال قائماً حتى اليوم فى كثير من المدن الإسلامية ، فقبل عيد الأضحى ببضعة أيام تساق الخراف من كل مكان إلى ميادين تسور بأخشاب ثم يذهب الناس يوم منى إلى هذه الأسواق مزدحمين ، يقلبون الخراف ويسامون البائعين ، ويدفعون ثمن ما اعتزموا شراءه وينادون الحمالين ، فيرفع الواحد منهم الخروف على عنقه ويمضى به إلى بيت المشتري ، أما من فاتهم الشراء لفقرهم فينتظرون يوماً تقام فيه (فى الحارات) حفر تشوط فيها رؤوس الخراف ويقبل الفقراء على شرائها ، صورة لائزال موجودة إلى اليوم فى بلاد المغرب (٣٢٧).

ويقول ابن قزمان :

حبيبى كبش العيد أنا حريفك (*) ليس تصطحى تنفر ! إرحم ضعيفك

أش حال جيبينك أش حال صديفك (*) أش حال شوياتك أش حال قديفك!

وفى زجل آخر يقول (٣٢٨) :

كبش باسم الضحية يشتره كل مرثاد فهو ظاهر لله والقصد فرح الأولاد

أش يقاس الإنسان من مرارة الأعياد بالخروج للحصى تنطفى زى الأحرار (٣٢٩)

٣٢٦- عبد العزيز الأهوانى : على هامش ديوان ابن قزمان مجلة المعهد المصرى للدراسات الإسلامية بمدريد ، ٧٦ - ١٩٧٨ م ص ٥٩ .

٣٢٧- عبد العزيز الأهوانى : الزجل فى الأندلس : ص ٧٩ - ص ٨٠ وانظر أزجال ابن قزمان ، زجل رقم ٨ ، ٤٨ ، ٨٢ ، ٨٥ ، ٨٩ ، ٩١ ، ١١٨ .

(*) حريفك أى معاملك كما ورد فى المعاجم العربية .

(*) صديف نطق عامى لكلمة سديف العربية ، وهى اللحم وإن خص بسنام الجمل ، نفس المرجع : ص ٧٨ ص ٧٩ .

٣٢٨- عبد العزيز الأهوانى : نفس المرجع ص ٧٩ .

٣٢٩- عبد العزيز الأهوانى : المرجع السابق ص ٧٨ .

على أن عامة الأسر الأندلسية مهما كان مستواها المعيشي تهتم بشراء كبش الضحية ،
كمظهر من مظاهر اتباع السنة وإدخال الفرح والسرور على أهل البيت (٣٣٠).

أما يوم عاشوراء ، فقد كان الأندلسيون يحتفلون به فى العاشر من المحرم (ذكرى مقتل
الحسين بن على سنة ٦١هـ) وكانوا يتوسعون فى النفقة والعتاء فى هذا اليوم ليكابدوا
الشيعة، يقول الونشريشى أنهم يعدون طعاماً معلوماً لا بد من فعله فى تلك المناسبة (٣٣١).

وقد قال أحد فقهاء الأندلس للأمير عبد الرحمن بن الحكم الثانى (الأوسط) ٢٠٦هـ -
٢٣٨هـ فى ليلة عاشوراء .

لاتنس ، لينسك الرحمن عاشوراء واذكره لازلت فى الأخبار مذكوراً

من بات ليل عاشوراء ذا سعة يكن بعشيته فى الحول مجبوراً

فأرغب فديك فيما فيه رغبتنا خير الورى كلهم حياً ومقبوراً (٣٣٢)

وكانت صلاة الاستسقاء تقام فى الهواء الطلق وتتهياون فى قرطبة لهذه المناسبة (٣٣٣).

خرجوا ليستقوا فقلت لهم دمعى ينوب لكم عن الأنواء

قالوا : حقيق فى دموعك لكنها ممزوجة بدماء

وعلاوة على هذه الاحتفالات ، كان أهل الأندلس يحتفلون بالمولد النبوى الشريف (فى
الثانى عشر من ربيع الأول) والذى لم يبدأ الاحتفال به إلا فى عصر متأخر (حوالى أواخر
القرن السابع هـ / ١٣م) (٣٣٤) ويشير الونشريشى إلى أن هذا الاحتفال لم يسلم من البدع

٣٣٠- كمال السيد مصطفى : مالقة الإسلامية : ص ٨١ .

٣٣١- الونشريشى : المعيار : ج ١١ : ص ٢٨٠ ، محمود على مكى : التشيع فى الأندلس ، مجلة المعهد

المصرى بميدريد، عدد ٢ سنة ١٩٥٤ ، ص ١٧٧-١٧٨ .

٢٣٢- ابن عذارى : البيان المغرب : ج ٢ : ص ١١١ .

٣٣٣- توجد روايات ثرية حول صلاة الاستسقاء هنرى بيرس الشعر الأندلسى : ص ٢٧٣ ، راجع المقري:

نفع الطيب ١٦ : ص ٥٧٢ .

٣٣٤- كمال السيد أبو مصطفى : نفس المرجع : ص ٨١ .

ومنها إعداد أطعمة فى المولد النبوى ، واختلاط الرجال بالنساء واستعمال آلات اللهب والطرب عند الاجتماع فى تلك الليلة ، وإن كان يكثُر فى هذا اليوم تفرق الصدقات على الفقراء والتوسعة على الأبناء فى الطعام (٣٣٥) . كما أن بعض الناس كانوا يوصون بجزء من أملاكهم لإقامة ليلة المولد النبوى (٣٣٦) . وبالإضافة إلى الأعياد والمناسبات الدينية السابقة ، اهتم الأندلسيون بالاحتفال ببعض المناسبات الاجتماعية ومن هذه الاحتفالات عيد العصير (٣٣٧) وهو احتفال شعبي يقام عند جمع محصول العنب وعصره ، فكان الأهالى يغادرون ديارهم وينتقلون إلى حقول الكروم حيث يقيمون عدة أيام لجمع المحصول يقول ابن الخطيب (٣٣٨) «وعادة أهل هذه المدينة- يقصد أهل غرناطة - الانتقال إلى حقل العصير وأن إدراكه بما تشتمل عليه دورهم والبروز إلى الفحوص بأولادهم معلين فى ذلك على شهادتهم وأسلحتهم» ويحصد العنب ويعصر وسط احتفال شعبي يسوده المرح والغناء والرقص ، كما كانت أيام العصير فرصة يعقد فيها الشعراء والأدباء مجالس الأتس يقومون خلالها بإلقاء القصائد الشعرية التى تصف ابتهاج الأهالى بعيد العصير (٣٣٩) .

ولابن قزمان تصوير جميل لنزهات خلوية أيام العصر فكان ابن قزمان يشارك فى تلك

٣٣٥- كمال السيد أبو مصطفى : نفس المرجع والصفحة ، سحر سالم : مظاهر الحضارة فى بطليوس الإسلامية ، ص ٢٥٧ ، ص ٢٥٨ ، العبادى : الإسلام فى أرض الأندلس : ص ٣٩١ ، الونشريشى نفس المصدر : ج ١١ ، ص ٢٧٨ ، - ٢٧٩

٣٣٦- كمال السيد أبو مصطفى : نفس المرجع : ص ٨٢ ، الأعباس فى الأندلس : ص ٥٤ ، يذكر الونشريشى أن أول من أحدث الاحتفال بالمولد النبوى فى الغرب الإسلامى هو أبو القاسم العزفى ، صاحب سبتة فى أواخر القرن السابع الهجرى : الونشريشى : المعيار : ج ١١ ، ص ٢٧٩ .

٣٣٧- يلاحظ أن كلمة عصير لم تطلق على عصير العنب فقط بل على التين الرطب أيضاً راجع : ابن الخطيب : لسان الدين ابن الخطيب فى المغرب والأندلس : ص ٩٣ ، حاشية ٢ ، والعصير هو الذى يسمى بالأسبانية Vendimia ، راجع الأهوانى : الزجل فى الأندلس : ص ٩٩ .

٣٣٨- ابن الخطيب : الإحاطة : ج ١ ص ١٣٨ : اللمعة البدوية ص ٤٠ .

٣٣٩- ابن بسام : الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة : تحقيق إحسان عباس : قسم ١ مجلد ٢ ص ٨٨٢ ، ابن الخطيب : الإحاطة : ج ٢ : ص ٥٠٦ يذكر ابن الخطيب فى ترجمته للفييه أبو الحسين شاعر بن الفخار الملقى أنه كان له موضع يخرج إليه فى فصل العصير ، أحمد مختار العبادى : الإسلام فى أرض الأندلس : ص ٣٩١ ، سالم : قرطبة حاضرة الخلافة : ج ٢ : ص ١١٧ .

الزهاة فيعطينا صورة عن هذا العيد حيث يخرج النساء والرجال ومعهم آلاتهم الموسيقية ،
يغنون ويرقصون ، ويعبثون ويستحمون في النهر وقد ارتدى كل واحد فيهم أجمل ما عنده
يقول (٣٤٠) ابن قزمان وهو يحمل لهذه الأعياد أجمل الذكريات .

عَهْدِ بِالْقَرَى إِذْ كُنَّا خِلاَفَ لَاقَتْنِي وَلا جَاجَ لِمَنْ كُنَّا نَخَافَ
وَنُرُوحَ وَنَغْدُوا فَجُوهَا نَظَافَ كَلَّ يَوْمَ نَرَاهُ وَفَرَحَ جَدِيدَ
أَي دَوِيلَ كَانَتْ لَوْ أَنَّ تَدُومَ مِنْ مَلِيحَ تَجَلِّسَ وَأُخْرَى تَقُومَ
وَرَشِيدَ تَغْطِي وَمَهْتِيجَ تَعُومَ قَبْلَ كَيْحَبِينَ هَرُونَ الرَّشِيدَ

أما أبو بكر بن القوطية فقد أورد لنا أبياتاً من الشعر توجه بها إلى الوزير أبي عامر بن
مسلمة ذكر لنا فيه الأعياد الثلاثة الكبرى في أسبانيا الإسلامية فقال:

دمت للمهرجان والعيد والنيروز ألفنا من الحوادث سالم (٣٤١)

الأعياد المسيحية :

ومن الملاحظ أن المسلمين في الأندلس شاركوا النصارى المستعربين في أعيادهم
واحتفالاتهم، وهذا من دلائل سياسة التسامح التي اتبعتها المسلمون نحو أهل الذمة (٣٤٢) ومن
أهم الأعياد المسيحية : عيد النيروز أو النوروز « عيد الربيع » ويعتبر الأندلسيون الليلة التي
تسبق عيد (٣٤٣) النيروز أنسب وقت للدخلة بالعروس (٣٤٤) ويعدون فيها خبزاً على شكل مدن
تحيط بها أسوار، وقد وصفها أبو عمران موسى الطرياني بقوله (٣٤٥) :

٣٤٠- الأهواني : الزجل في الأندلس : ص ٩٩ .

٣٤١- هنري بيرس : الشعر الأندلسي : ص ٢٧١ .

٣٤٢- العبادي نفس المرجع : ص ٣٩١ . سحر سالم : مظاهر الحضارة في بطليموس : ص ٢٦٢- ص ٢٦٣ .

٣٤٣- عيد النيروز من المؤثرات الفارسية الواضحة في العصر العباسي الأول ويطلق عليه في الفارسية
نوروز وهو عيد قديم من أعياد الفرس ورأس الشمس عندهم كما أنه عيد الربيع لأنه موافق أوله ويحدده هنري
بيرس بأول يناير : راجع :

Levi Provençal ; Histoire ; III . p. 438 .

Henri Peres , la poesie An dalouse , paris, 1953 . p. 303 .

٣٤٤- هنري بيرس : الشعر الأندلسي : ص ٢٧١ .

٣٤٥- هنري بيرس : المرجع السابق : ص ٢٧١ .

مدينة مسورة حار فيها السحرة
 لم تبنيها إلا يد عذراء أو مخدرة
 بدت عروسًا تجتلى من درمك (*) مزعفرة

كما كان الناس يتهادون في عيد النيروز ويتبادلون التهنئة به- أحياناً- عن طريق بعض الأبيات الشعرية التي يبعثون بها إلى الأصدقاء يقول الشاعر عبد المعطى بن محمد وهو من شعراء عصر الطوائف يهنئ أحد أصدقائه بالنيروز :

هو النيروز أمك للتهاننى وللبشرى بمقتبل الزمان
 فهناك المهيمن ما حباه وتحبوه على ناء ودان (٣٤٦)

ومن أعياد النصارى أيضاً في الأندلس عيد العنصرة وكانوا يحتفلون به في المدن وفي الريف فيجرون النيل وتقوم النساء برش بيوتهن ويخرجن ثيابهن إلى الندى بالليل ويفتسلن في ذلك اليوم ويتركن العمل وحتى أصحاب المكاتب يأخذون الهدايا من الصبيان ويصرفونهم أيام هذا العيد ويفيد الجرسفى بأن السفلة والصبيان في الأندلس اعتادوا في هذا اليوم رش الماء في الأسواق والشوارع وتزليق الطرق واللعب بالمقارع والعصى في الشوارع (٣٤٧).

كذلك شارك المسلمون في الأندلس النصارى المستعربين في الاحتفال بيوم ميلاد المسيح عليه السلام (عيد الميلاد) وعيد يناير أو رأس السنة الميلادية وخميس أبريل (خميس العهد) وليلة العجوز (٣٤٨).

هذا وقد أشارت الأمثال الشعبية إلى هذه الأعياد وما يتصل بها من احتفالات فتكون فرصة مناسبة لتبادل الزيارات وسماع الأخبار والروايات وقد عبرت هذه الأمثال عن ضيق

(*) الدرمة : هو الدقيق الفاخر ، راجع السقطى : رسالة من الحسبة ص ٢٨ .

٢٤٦- ابن خاقان : مطعم الأنفس : ص ٩٨ .

٣٤٧- سعد عثمان : المجتمع الإسلامى ص ٣٤٩ ، أحمد بدر تاريخ الأندلس فى القرن الرابع الهجرى :

ص ٢٢٩ .

٢٤٨- كمال السيد أبو مصطفى : نفس المرجع : ص ٨٧ .

الأندلسيين بهذه العادات بالإضافة إلى زيادة نفقات الأسرة التي كانت ترهق كاهل رب الأسرة ومن هذا قولهم :

«جئ العيد بخير البارد وسلام المسوس» (٣٤٩).

وكان عيد الأضحى وما يزال مقرونًا بكبش العيد، وهو كلفه كان ينوء بحملها كثير من الناس يقول المثل :

«سليخة دم، وزيل الهم» (٣٥٠) وتمثلوا أيضًا بالمثل القائل «كباش الضحايا ، ما لهم بقايا» (٣٥١).

أما يوم عاشورا فكان الأندلسيون يعتبرونه عيدًا للفاكهة يقول المثل «أخبار التين باللوز والشريح بالجوز» (٣٥٢).

وقد تمثل الأندلسيون بمثل بمناسبة الاحتفال بشهر شعبان وفيه إشارات إلى مآدب ذلك الشهر الفضيل يقول المثل :

«من يعطيك العيد تفرح به» (٣٥٣).

ويقولون أيضًا «أقل للمحروم أتقصص ، قال بعد الضحية أرخص» (٣٥٤) وهذه الأمثال تشير إلى بؤس الفقراء وحالهم .

وكانت هذه الأعياد سببًا في بعض الأحيان للشقاق والخلاف بين الزوجين فيذكر ابن مسعود القرطبي (*) في قصيدة ما طلبته زوجته من شراء لوازم العيد وتوعدته بالعقاب إن لم يجيء بما طلبته يقول الشاعر (٣٥٥) :

٣٤٩- محمد بن شريفة : مثل رقم (٧٨٤) ص ٢٠٦ .

٣٥٠- محمد بن شريفة : نفس المرجع : ص ٢٠٧ أمثال ابن عاصم رقم (٤٣٩) .

٣٥١- محمد بن شريفة : نفس المرجع : ص ٢٠٧ مثل رقم (١١٥٥) .

٣٥٢- محمد بن شريفة : نفس المرجع : ص ٢٠٧ مثل رقم (٣٦٤) .

٣٥٣- محمد بن شريفة : نفس المرجع : ص ٢٠٩ مثل رقم (١٥٢٩) .

٣٥٤- محمد بن شريفة : نفس المرجع : نفس الصفحة مثل ابن عاصم رقم (٢٣٧) .

(*) كان رحمه الله ظريفًا في أمره ، كثير الهزل في نظمه ونثره . راجع ابن بسام: الذخيرة : ق ١ - ج ٢ :

وَجُزُّ بِالْفَتَى الْجُزَّارُ وَأَخْتِرُهُ هَابِلًا بَقْدُ ابْنِ قُتَيْبٍ أَيْ بِكْرِ الْمُضْنَى
 وَلَا بَدَّ مِنْ أَرْجِهَ صَعْتَرِيهِ وَأَيَّاكَ أَنْ تَنْسَ التَّوَابِلَ وَالْحَنْسَى
 فَكَلْتُ وَأَيْنَ النَّفْذُ يَا ابْنَةَ عَزَّةَ لَقَدْ جِئْتَهَا بِلِقَاءِ مَنَّتِنَا
 فَقَالَتْ أَدَيْبٌ شَاعِرٌ مَتَفَنِّئِن حَوَى مِنْ حَظُوظِ الظَّرْفِ فِي زَعْمِهِ الْأَنْسَى

أما العيد الموسمي وهو عيد العنصرة كما يسميه العامة فليل فيه المثلان التاليان :

«الكبش المصوف ما يكفز العنصرة» (٣٥٦) و«كفزا بحل عنصر» (٣٥٧) وجاء في أمثالهم ما يشير إلى ابتهاجهم لهذا العيد يقول المثل :

«خروجك من ينيبراً خير من خروجك من العنصر» (٣٥٨). ويقول ابن قزمان مؤكداً نفس معنى المثل هذا عنصر قد جاكما رأيت وهذا موسم (٣٥٩).

وسائل اللهو والطرب

لم يكن الاحتفال بالأعياد يتم وفق نظام معين (٣٦٠) فكانت الأعياد الدينية يحتفل بها في المساجد كما سبق أن ذكرنا حيث كانت تتلى آيات من القرآن الكريم وينشد الشعراء القصائد إلى جانب الموشحات الدينية وحلقات الذكر ثم تفرق الحلوى. فقد جرت العادة أن يحتفل الأندلسيون بأعيادهم بوسائل مختلفة أهمها الاحتفالات الدينية والاجتماعية المختلفة وألعاب الفروسية ومصارعة الوحوش وحفلات الصيد والغناء والرقص .

أما ألعاب الفروسية ومصارعة الوحوش ، فكانت منتشرة في المدن الأندلسية فكانت توجد في غرناطة عدة ساحات للمصارعة مثل ساحة باب الرملة (٣٦١) وساحة باب الطوابين (٣٦٢)

٣٥٦- محمد بن شريفة : نفس المرجع : ص ٢٠٨ مثل رقم (٣٧٣) .

٣٥٧- محمد بن شريفة : نفس المرجع والصفحة : مثل رقم (٩١٤) .

٣٥٨- محمد بن شريفة : نفس المرجع والصفحة : مثل رقم (٩١٤) .

٣٥٩- الأهواني : الزجل (زجل رقم ٦٧) .

٣٦٠- D. A. M. El Abdady : El Reino de Granada en le Epoco de Mohammed ., V. p. 157-158 .

٣٦١- العمري : مسالك الأبحار : (وصف أفريقية والأندلس) ص ٤٠ .

٣٦٢- العمري : نفس المصدر والصفحة ، القلقشندى : صبح الأعشى : ج ٥ : ص ٢١٤ .

حيث كانت تقام فى هذه الأماكن دائرة خشبية فى الهواء تسمى الطبلة وبأخذ الفرسان فى قذفها برماحهم أثناء ركضهم بخيولهم (٣٦٣). أما مصارعة الوحوش فكانت تجرى على طريقتين ، الطريقة الأولى كانت حرباً بين الثور والأسد (٣٦٤) والطريقة الثانية بين الثور والإنسان (٣٦٥) وكانت منتشرة بين الخاصة من الناس وهذه اللعبة تقوم على أن يطلق الثور أو بقر الوحش كما يسميه ابن الخطيب ، ثم تطلق عليه كلاب اللان المتوحشة فتأخذ فى نهش جسمه وأذنيه وتتعلق بهما فى صورة القرط من آذانهما (٣٦٧).

وهذا العمل التمهيدي كان الغرض منه هو الحد من قوة الثور وتهذيب حركته وهو ما يقوم مقامه اليوم عمل رماة السهام Banderilleros وطاعن الرمح Picador وذلك تمهيداً للقاء المصارع الذى كان فارساً مغواراً يصارع الثور وهو على فرسه المدرب ثم يقتله فى النهاية برمحه (٣٦٨).

أما الصيد :

يعتبر الصيد والقنص من وسائل التسلية الهامة فى المدن الأندلسية، فلاشك أن طبيعة الأندلس كانت مجالاً مناسباً لصيد العديد من الحيوانات والطيور ومن أهمها الغزلان والأبائل

٣٦٣- أحمد مختار العبادى: الأعياد فى مملكة غرناطة ص ١٤١ . مجلة معهد الدراسات الإسلامية مدريد: المجلد الخامس عشر : ١٩٧٠م «كانت هذه اللعبة تشبه لعبة القيق فى مصر على عهد المماليك : المقرئى : الخطط : ج٢ ص ١١١ ، ابن تفرى بردى : النجوم الزاهرة : ج٨ : ص ١٦ .

٣٦٤- العبادى : الأعياد فى غرناطة : ص ١٤١ .

٣٦٥- العبادى : نفس المرجع والصفحة .

٣٦٦- كلاب اللان هى الكلاب المعروفة فى اللغة الإنجليزية وواضع من اسمها أنها كلاب الثيران Bull-doges .

٣٦٧- ابن الخطيب : مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب : نشر أحمد مختار العبادى : ص ٦ حاشية (١) ، العبادى الأعياد فى مملكة غرناطة : ص ١٤٢ .

٣٦٨- العبادى : المرجع السابق : نفس الصفحة : ما زالت هذه اللعبة موجودة فى أسبانيا إلى اليوم وهو ما تشتهر به أسبانيا ضمن أماكنها السياحية فىأتيها السياح من كافة أنحاء العالم لمشاهدة آثارها ومناظر جنوب أسبانيا الخلابه كان ذلك من رؤيتى الشخصية أثناء زيارة إلى أسبانيا ١٩٨٢ .

والأرانب البرية والشواهين والبزاة والخنزير الجبلى وغير ذلك من الحيوانات والطيور التى اشتهرت بها الأندلس (٣٦٩) .

هذا وقد لاقى الصيد سواء بالكلاب أو الصقور تقديراً كبيراً من الأندلسيين ، وكان الخلفاء الأمويون ومن بعدهم ملوك الطوائف شغوفين بهذا اللون من الصيد (٣٧٠) .

« وكان صاحب البيزرة فى العصر الأموى يهتم بصيد الخليفة فى الفترة التى تكثر فيها الغرائيق فى سهل الوادى الكبير » (٣٧١) .

وقد كان الخاصة من الأندلسيين يجدون فى الصيد متعة لهم أيضاً ووسيلة من وسائل اللهو، فكانوا يخرجون فى نزعات لصيد طير الباز وهو نوع من الصقور فاهتموا به وقاموا بإعداده وتربيته وخاصة حول لشبونة وفى جبال الشرق والجزائر الشرقية ، ويقدم كتاب تقويم قرطبة لعرب بن سعد معلومات جيدة عن تربية الصقور (٣٧٢) .

كذلك تشهد الصور التى تضمنها النقوش والرسوم التى على علب العاج ، وتعود إلى القرن الحادى عشر الميلادى ، بأن الشغف بالصيد فى تلك الأيام ما يزال بالغ القوة وهو ما تؤكد الوثائق المكتوبة، سواء حررها المؤرخون أم قصائد أنشدها الشعراء .

يقول المعتمد طالباً من والده أن يأذن له بالقيام برحلة صيد يصطاد فيها أرانب (٣٧٣) برية وحجلاً :

٣٦٩- المقرئ : نفع الطيب : ج١ : ص ١٨٨ : تحقيق يوسف البقاعى ١٩٨٦ ، تحقيق إحسان عباس : ج١ ص ١٩٨-١٩٩ ، راجع : سالم : صور من المجتمع الأندلسى ، ص ٧٠-٧٢ ، هنرى بيرس : الشعر الأندلسى ص ٣٠٦-٣٠٧ .

٣٧٠- هنرى بيرس : نفس المرجع : ص ٣٠٧ .

٣٧١- هنرى بيرس : نفس المرجع والصفحة .

٣٧٢- هنرى بيرس : نفس المرجع : ص ٣٠٧-٣٠٨ راجع عن تربية الصقور غريب بن سعد القرطبى :

تقويم قرطبة : نشر مع ترجمة فرنسية. دوزى ليدن: أبريل الطبعة الجديدة ١٩٦١ ص ٢٥ شهر يناير ، ص ٤١ شهر مارس ، ص ٥٨ شهر مايو ، ص ٩٢ شهر سبتمبر .

٣٧٣- هنرى بيرس : نفس المرجع : ص ٣٠٧ ، راجع ديوان المعتمد بن عباد ص ٣٢ : ص ٤٢ .

وساعة للزمان مسعفه
قنصت فيها أرانبا وحجل
فلا أراى الإله منك رضا
إن لم أصد من عداك كل بطل (٣٧٤)
ويقول ابن وهبون (٣٧٥) فى وصف البزاة .
للصيد قبلك سنة مأثورة
لكنها بك أبدع الأشياء
تمضى البزاة وكلما أمضيتها
عاطيتها بخواطر الشعراء

أما لعبة الشطرنج ، فتشير بعض المصادر إلى انتشار لعبة الشطرنج بين أهل الأندلس سواء من المسيحيين أو الأندلسيين وكان المعتمد بن عباد يملك شطرنجاً ذا قاعدة بديعة الصنع وأحجاره من العاج وخشب الصندل المطعم بالذهب (٣٧٦) كما يذكر ابن بسام أن أحمد بن عباس (وزير زهير العامرى صاحب المرية فى عصر ملوك الطوائف) كان شغوفاً بلعب الشطرنج مع أصدقائه ويواصل اللعب نهاره كله وبعض ليله لا يرفع رأسه (٣٧٧) وقد نهى ابن عبدون المحتسب عن لعب الشطرنج لأنه من المحرمات ويشغل عن الفرائض (٣٧٨) ويقول شاعر مجهول يشبه مناورات ألفونسو السادس التى مكنته من احتلال طليطلة بمباراة شطرنج :

يا أهل أندلس ردوا المعارف ما
فى العرف عارية إلا مرداتُ
ألم تروا بيدق الكفار فرزته
شاهنا آخر الأبيات شهات (٣٧٩)
ويقول الشاعر ابن اللبانة فى رثاء المعتمد حين توفى فى مناه :
والدهر فى صبغة الحرياء منغمس
ألوان حالاته فيها استحالات
ونحن فى لعب الشطرنج فى يده
ورما قمرت بالبيدق الشاة (٣٨٠)

٣٧٤- ديوان المعتمد بن عباد : ص ٤٤ .

٣٧٥- المقرئ : نفع الطيب : ج٤ : ص ٢٦٠ .

٣٧٦- هنرى بيرس : ص ٣٠٥ .

٣٧٧- ابن بسام : الذخيرة : ق ١ مجلد ٢ ص ٦٧٧ .

٣٧٨- ابن عبدون : رسالة فى القضاء والحسبة : ص ٥٣ .

٣٧٩- المقرئ : نفع الطيب : ج٤ : ص ٣٥٢ .

٣٨٠- عبد الواحد المراكشى : المعجب فى تلخيص أخبار المغرب الأقصى : ص ١٤٧ ، المقرئ : نفع الطيب :

وعلى الرغم من حب الأندلسيين لهذه اللعبة وشغف الأمراء والملوك بها فقد كرهها بعض الأندلسيين واعتبروها تساعد على الكسل وتصرف عن العمل يقول يحيى الغزال يخاطب ابن أخته بقصيدة يذم فيها لعبة الشطرنج.

يقول: (٣٨١)

عمل فى غير بر	واختلاف ولـزوم
إنما أسـمها وبحك	شيطان رجيم
هبك فيها ألعـب الناس	فما زاد يا حكيم
لعبة الشـطرنج شـؤم	فاجتنبها يا شـؤم
إنما هى لأنـاس	شأنهم شأن عظيم
ملك يجـبى إليه	أو وزير أو نديم
أو رجال ورثوا الأمـوال	لدهر سلـوم

هذا وقد ألف الفقيه الورع ابن الفخار المالقي كتاباً أسماه أستواء النهج فى تحريم لعب الشطرنج^(٣٨٢) وقد قبلت عدة أمثال فى ذم الشطرنج وقطعه ومن هذه الأمثال مثل يقول :

أقل للنحس : أين تمشى ؟ قال لشطرنجى إن مورك^(٣٨٣) هذا وقد ألمحت المصادر إلى بعض الألعاب الأخرى التى تسلى بها أهل الأندلس ونستدل من أزجال لابن قزمان على وجود لعبة خيال الظل فى الأندلس وكان يطلق عليها اسم «القليانى» ويشير ابن قزمان إلى ثيابه المهلهلة بما يدل على أن تلك اللعبة كانت تعتمد فى الأندلس على الهزل وإضحاك المشاهدين^(٣٨٤).

٣٨١- ابن حيان : المتقبس : ج٢ : ص ١٨١ : تحقيق محمود على مكى : طبعة بيروت .

٣٨٢- ابن فرحون : الديباج المذهب فى معرفة علماء المذهب : القاهرة ١٣٥١هـ : ص ٣٠٤ .

٣٨٢- محمد بن شريفة : نفس المرجع : ص ٢٢٢ مثل رقم (٧٦) .

٣٨٤- ابن بسام : الذخيرة : ق (١) مجلد ٢ : ص ٦٧٧ ، الأهوانى على هامش ديوان ابن قزمان : ص ٥٥ ؛ سعيد عاشور : الحياة الاجتماعية فى المدينة الإسلامية : مجلد عالم الفكر ، الكويت ، ١٩٨٠ ، ص ٩٩ ، كمال السيد أبو مصطفى : مألقة الإسلامية : ص ٩٤ .

الموسيقى والغناء :

أما الموسيقى والغناء فكانت تمثل عنصراً هاماً فى الحياة الاجتماعية فى الأندلس ومنذ طليعة القرن الثالث الهجرى اعتبر فن الغناء والموسيقى والرقص من أكثر وسائل اللهو شيوعاً وتفشياً فى المجتمع الأندلسى ، ولم تكد مجالس الأُنس التى يعقدها الكبراء والأعيان بقرطبة مجالس حقيقية مالم يصحبها غناء على نغم عود أو مزمار وما يتبع ذلك من حركات إيقاعية راقصة بطبيعة الحال (٣٨٥) ويعتبر عصر دولة بنى أمية فى الأندلس العصر الذهبى لفنون الغناء والموسيقى وما يتبعها من فنون اللهو كالرقص وغيره من الفنون (٣٨٦) ولقد جرى الأمويون منذ قيام دولتهم فى الأندلس على تجديد ما طمس من رسومهم فى المشرق ، فاهتموا بفن الغناء والموسيقى، فبعثوا إلى الحجاز تجاراً يشترون لهم من الجوارى ممن ذاعت شهرتهن فى فن الغناء الموسيقى (٣٨٧) يقول المقرئ : ومنهن فضل المدينة وكانت حاذقة بالغناء كاملة الخصال وأصلها لإحدى بنات هارون الرشيد ، نشأت ببغداد ، ودرجت من هناك إلى المدينة المشرفة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام فأتقنت فن الغناء واشترت هنالك للأمير عبد الرحمن صاحب الأندلس مع صاحبها علم المدينة ... وتضاف إليهن جارية يقال لها قلم وهى ثالثة فضل فى الحظوة عند الأمير المذكور وكانت أندلسية الأصل رومية من سبى البشكنسى وحملت صببة إلى المشرق فوقعت بمدينة النبى صلى الله عليه وسلم ، وتعلمت هناك الغناء فحذقتة (٣٨٨).

ويرجع الفضل الأعظم فى ازدهار فن الغناء والموسيقى فى الأندلس إلى الأمير عبد الرحمن بن الحكم فلقد شغف بفن الألحان والأنغام ، فرفع منزلة المغنين والموسيقيين وأحسن إليهم وأكرم وفادتهم ، وأغدق عليهم العطايا والخلع والأموال، وفتح قرطبة لكل فنان وافد وشجع هذا الوافدين على قصد بلاد الأمير عبد الرحمن ، فأصبحت قرطبة فى عصره محط الرحلة ومقصد أهل الفن (٣٨٩) وأشهر من قدم قرطبة من هؤلاء المغنين المغنى المصرى عبد الواحد

٣٨٥- سالم : قرطبة حاضرة الخلافة الأموية : ج٢ : سنة ١٩٧٢ : دار النهضة العربية : ص ٧٨ .

Levi Provencal : Histoire de L'Espagne Musulmane .

٣٨٦- سالم : المرجع السابق : ج٢ : ص ٨٣ .

٣٨٧- سالم : نفس المرجع : ج٢ : ص ٨٥ .

٣٨٨- المقرئ : نفع الطيب : ج٣ : ص ١٤٠ .

٣٨٩- سالم : نفس المرجع : ص ٨٧ .

الأسكندرى (٣٩٠) والمغنى البغدادي المشهور على بن نافع المعروف بزرياب (٣٩١) وقد أحدث دخول زرياب الأندلس في عهد عبد الرحمن الأوسط ثورة شاملة على المجتمع القرطبي عامة وعلى فنون الموسيقى خاصة (٣٩٢) وقد صنف أسلم بن أحمد بن عبد سعيد بن القاضي ابن عبد العزيز كتاباً في أغاني زرياب وفي طريقة غنائه وأخباره (٣٩٣) وقد ابتكر زرياب وترًا خامسًا متوسطًا للعود، كما اتخذ مضرب للعود من قوادم النسر (٣٩٤)، كذلك قام زرياب بترجمة كتاب الموسيقى لبطليوس، وحفظ عشرة آلاف لحناً، كما قام بتأسيس مدرسة لتعليم الغناء ومعالجة الأصوات واكتشاف الموهوبين (٣٩٥) هذا وقد نبغ من تلاميذ زرياب أبناءه الثمانية (٣٩٦) ستة ذكور وبناتان هما حمدونة وعلياء وكانت حمدونة تفوق أختها في إجادة الغناء وكانت زوجة للوزير هاشم بن عبد العزيز (٣٩٧) هذا وقد ظل المشرق الإسلامي يزود الأندلس بدفعات من المشتغلين بصناعة الغناء (٣٩٨) فهذا إبراهيم بن حجاج اللخمي الذي انتزى بأشبيلية في عهد

٣٩٠- سالم : نفس المرجع : ٨٧ ، ابن حبان : المقتبس : تحقيق محمود على مكى : ص ١٦٩ .

٣٩١- سالم : نفس المرجع : ص ٨٧ ، ٨٨ .

٣٩٢- عن زرياب راجع : المقرئ : نفع الطيب : ج ٣ ، ١٢٢ ، ١٢٣ .

٣٩٣- سالم : نفس المرجع : ص ٨٧ ، ٨٨ « أسلم بن عبد العزيز اسمه كاملاً : أبو الحسن أسلم بن أحمد بن سعيد بن أسلم بن عبد العزيز ، وينتهي نسبه إلى أبان ابن عمر مولى عثمان ابن عفان رضى الله عنه وكان أسلم من كبار فقهاء الأندلس جلس إلى بقى بن مخلد ، رحل إلى المشرق علم ٢٦٠هـ ، ٨٧٣م حاجاً وتوقف في مصر فدرس على أعلام المالكية وتولى فيها قضاء الجماعة مرتين وله كتاب في أغاني زرياب كان مشهوراً على أيامه ولم يصلنا توفي في رجب عام ٣١٩هـ يولية ٩٣١م وهو أخ لهاشم بن عبد العزيز وزير الأمير محمد بن عبد الرحمن .

راجع : ابن حزم : طوق الحمامة : ص ١٥٢ .

٣٩٤- المقرئ : نفع الطيب : ج ٢ : ص ١٢٦ .

٣٩٥- راجع : المقرئ : نفع الطيب : ج ٣ : ص ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٢٨ .

٣٩٦- عنهم راجع المقرئ : نفس المصدر، ج ٣ : ص ١٢٩ سالم : نفس المرجع : ص ٩١ .

٣٩٧- المقرئ : النفع : ج ٣ : ص ١٣١ .

٣٩٨- سالم : نفس المرجع : ص ٩٤ .

الأمير عبد الله يبعث الأموال لشراء جارية من بغداد كان قد بلغه ما حظيت به من شهرة فى الغناء ومعرفة بصوغ الألحان اسمها قمر وقد استقرت فى بلاطه بأشبيلية وقد وصفها ابن عذارى بالبدر المنير (٣٩٩).

أما الخليفة عبد الرحمن الناصر فقد بعث ٣٤٤ هـ سفينة إلى المشرق لشراء عدد من المغنيات من الاسكندرية، وعادت السفينة مشحونة بعدد من الجوارى والمغنيات (٤٠٠) كذلك ذاعت فى عهد الحاجب المنصور شهرة المغنية أنس القلوب حيث غنت له (٤٠١).

قدم اللَّيْلُ سِيرَ النَّهَارِ وبدا البدر مثل نصف سوار

ومن برع فى فن الغناء من أبناء وبنات الأمراء والخلفاء الأمير أبو القاسم المطرف ابن عبدالرحمن الأوسط (٤٠٢) والأميرة ولادة بنت الخليفة المستكفى وكان لها صنعة فى الغناء (٤٠٣) والأمير أبو الأصبح ابن عبد الرحمن الناصر (٤٠٤).

كذلك حفظ لنا التاريخ أسماء بعض الفنانين الذين برعوا فى بلاطات ملوك الطوائف ، ولكنهم أبعد من أن يقتربوا من الشهرة التى نالها زرياب فى القرن الثالث الهجرى التاسع الميلادى (٤٠٥) فكان الصقلبي فى بلاط المعتمد بن عباد (٤٠٦) وأبا يوسف فى بطليوس (٤٠٧)

٣٩٩- ابن عذارى : البيان المغرب ج٢ : ص ١٢٨ ، ١٢٩ .

٤٠٠- سالم : نفس المرجع والصفحة .

٤٠١- المقرئ : نفع الطيب : ج١ : ص ٦١٧ .

٤٠٢- المقرئ : نفس المصدر : ج٢ : ص ٥٧٨ ، يقول ابن الأبار عنه برع فى الشعر وهو ابن عشرين سنة

فى حياة أبيه وهو ابن أربع وعشرين ... كان شاعرا عالمًا بالغناء ، ابن الأبار : الحلة السيرة : ج١ ص ١٢٨ .

٤٠٣- راجع عنها المقرئ : نفس المصدر : ج١ : ص ٤٣٧ ، ٦٣٠ ، ج٣ : ص ٢٠٨ ، ٢٧٥ ، ج٤ ،

ص ٢٠٥ ، ٢١١ ، ٢٧٢ ، ٢٩٣ .

٤٠٤- سالم : نفس المرجع : ص ٩٥ .

٤٠٥- هنرى بيرس : الشعر الأندلسى : ص ٣٣٥ .

٤٠٦- ابن الأبار : الحلة السيرة : ج٢ : ص ٥٤ ويسميه المقرئ بالمغنى السوسى ، المقرئ نفع الطيب : ج٤ :

ص ٩٦ .

٤٠٧- ابن الأبار : المصدر السابق ج٢ : ص ١٠٦ ، المقرئ نفع الطيب : ج١ : ص ٦٦٣ ، الفتح ابن

خاقان : قلائد العقيان : ص ٤٣ .

أما بلاط العلى بالله أمير مالقة فيذكر ابن بسام أن مجلس الخليفة أدريس العالى بالله يضم العديد من الشعراء والأدباء وأصحاب المواهب الفنية ومنهم المغنى محمد بن الحماصى الذى كان يغنى فى المجلس بأشعار فى مدح الخليفة العالى بالله (٤٠٨).

يقول إذا ضاقت بك الدنيا فاخرج نحو أدريساً
إذا لاقيته تلقى رئيساً غير مرؤوساً

كذلك يذكر ابن الأبار أن راقصة بمالقة (القرن السادس الهجرى/ الثانى عشر الميلادى) تدعى نزهة وتعرف بتخط الشوق ، كانت تقوم بالرقص فى مجالس اللهو والطرب وتستحوذ على إعجاب الحضور (٤٠٩).

ومن أشهر الموسيقيين فى غرناطة أبو الحسين على بن الحمارة (٤١٠) وهو ممن برعوا فى علم الألحان واشتهر عنه أنه كان يعمد الشعر (٤١١)، فيقطع العود بيده ثم يصنع منه عوداً للغناء وينظم (٤١٢) الشعر ويلحنه ويغنى به وهذا ظل المعتمد بن عباد يتذكر أيامه فى مجالس اللهو والطرب وهو أسير فى أغمات يقول :

من بعد كل عزيزة روميــــــــــــــــة تخزى الحائم فى ذرى الأغصان (٤١٣)

وكان المذهب المالكى من أشد المذاهب الفقهية تشدداً فى منع وتحريم الآلات الموسيقية (٤١٤)

٤٠٨- ابن بسام الذخيرة : ق ١ مجلد ٢ ص ٨٦٣ ، هنرى بيرس : نفس المرجع : ص ٣٣٥ ، كمال السيد أبو مصطفى : مالقة الإسلامية : ص ٨٩ ، ٩٠ .

٤٠٩- ابن الأبار المقتضب : تحقيق إبراهيم الإيبارى دار الكتاب المصرى: سنة ١٩٨٢: ص ١٤٤ .

٤١٠- ترجم له الضبى فى البغية : ص ٥١٧ ، المقرئ : نفع الطيب : ج ٤ : ص ١٤٠ ، ابن دحية : المطرب فى أشعار أهل المغرب : ص ١٠٩ .

٤١١- ابن سعيد : المغرب : ج ١ : ص ١٢٠ : هامش (١) الشعراء : الروضة ذات الشجر والأرض كثيرة الشجر .

٤١٢- ابن سعيد : نفس المصدر والجزء والصفحة .

٤١٣- ابن بسام : الذخيرة ج ٢ : ص ٧٤ .

٤١٤- يحيى بن عمر : (أحكام السوق) تحقيق محمود على مكى: معهد الدراسات الإسلامية : مدريد العدد ٢-١ : مجلد ٤ ص ١١٩ هامش ٢ .

فيرى ابن عبد الرؤوف « أنه يجب أن يمنع اللهو كله على أنواعه فى الأعراس كالعود وغيره ، إلا ما كان من الدف العربى الذى هو شبه الغربال خاصة وإن اختلف فى الكبير (٤١٥) .

هذا وقد أريد زامر أندلسى على شهادة زور فأبى ، وقال :

لاجمعت النار والعمار فدعنى يا عياض (٤١٦)

وقد تعدد ذكر الزامر فى الأمثال الأندلسية وهو يمثل رأى الأندلسيين فى أهل الغناء والزمير والرقص . يقول المثل : الزامر من أهل النار (٤١٧) ويقول أيضاً ما بين قاضى وزامر (٤١٨) . وهذان المثلان يعبران أيضاً عن رأى أهل الورع والفقه فى الزامر (٤١٩) . أما المثل القائل « دلت زامر فى مكتبة عروس » (٤٢٠) فهو يدل على مدى احتياج الناس لهؤلاء المطربين فى الأعراس والحفلات ، كذلك كانوا يعبرون عن شدة الاحتياج إلى الشئ بقولهم « من يعير بوق فى يوم عرس » (٤٢١) ويذكر محمد بن شريفة أنه ورد مثل واحد فى المغنى وآخر فى الراقص (٤٢٢) .

كذلك يروى الخشنى فى كتابه قضاة قرطبة يصف أحد الناس فشبهه فيما يبدو بلبس الزامرين والراقصين حيث كان متكحل وأثر الحناء فى يديه كما كان يرتدى رداء معصفاً ويبدو ومن هذه الأوصاف أنها كانت خاصة بهؤلاء وكان ممن يحاكيهم يقابل بالزجر (٤٢٤) وعلى الإجمال كان الأندلسيون يعشقون الموسيقى ويميلون إليها (٤٢٥) يقول ابن الخطيب والغناء بمدىنتهم فاش ، حتى فى الدكاكين التى تجمع صنائعها كثيراً من الأحداث كالحفانين وصلهم (٤٢٦) .

٤١٥- ابن عبد الرؤوف ثلاث رسائل فى الحسبة ص ٨٣ .

٤١٦- محمد بن شريفة : نفس المرجع : ص ٢١٨ .

« يقصد » به القاضى عياض : صاحب كتاب ترتيب المدارك .

٤١٧- محمد بن شريفة : نفس المرجع والصفحة : مثل رقم ٣٨٦ .

٤١٨- محمد بن شريفة : نفس المرجع والصفحة : مثل رقم ١٥١٦ .

٤١٩- محمد بن شريفة : نفس المرجع والصفحة .

٤٢٠- محمد بن شريفة نفس المرجع مثل رقم ٩٣٨ ص ٢١٩ .

٤٢١- محمد بن شريفة : نفس المرجع ص ٢١٩ : مثل رقم ١٢٧٥ .

٤٢٢- محمد بن شريفة نفس المرجع : ص ٢٢٠ .

٤٢٣- هنرى بيرس : الشعر الأندلسى : ص ٢٤٣ .

٤٢٤- الخشنى : قضاة قرطبة : ص ٥٢ .

٤٢٥- ابن الخطيب الإحاطة : ج ١ ، ص ١٣٧ ، اللحمة البدرية : ص ٣٨ ، ٣٩ .

٤٢٦- ابن الخطيب : نفس المصدر والصفحة .

الحياة الخاصة للأسر الأندلسية

الزواج :

كان الزواج من المناسبات الهامة والسعيدة التي يحتفل بها الأندلسيون احتفاءً شديداً ، ويذكر ابن عبد الرؤوف أن من شروط الخطبة اختيار الفتى لعروسه ، فالاختيار عادة يتم بواسطة الأهل والأصدقاء أو يكون الفتى قد رأى الفتاة أو شاهدها ، وأحياناً تتدخل الأمهات تدخلاً صريحاً في اختيار العروس لأبنائهن وكان يقابل هذا التدخل أحياناً بعدم الرضى من جانب الشاب (٤٢٧) وقد أشارت كتب الفتاوى والنوازل الفقهية إلى وجود المخاطبة في بلاد الأندلس والمغرب ، فكانت تقوم بالتمهيد للاتفاق بين المتقدم للزواج وأهل العروس ، وعقب ذلك يرسل الخاطب والده وأخوته إلى دار العروس للاتفاق النهائي على ما يتصل بعقد النكاح خاصة من ناحية العروس ومطالب والدها من صداق وهبة وهدية ، ويذكر الونشريشى أن الخطبة كانت تتم - عادة - بالتواعد على الإيجاب والانعقاد بتوقيت زمان يحضره الشهود وينبرم فيه الأمر (٤٢٨) وبعد انتهاء فترة الخطبة يتم عقد القران بكتابة وثيقة نكاح - غالباً - لدى صاحب خطبة المناكح (٤٢٩) .

ويفضل الكثيرون أن يكون عقد الزواج في أحد المساجد جلباً للبركة (٤٣٠) يقول التادلى (٤٣١) « وكانت عامة أهل البلدان يعتقدون أنكحتهم بالمسجد » وكان الزواج يمر بكثير من الإجراءات حتى يتم ، من موجبات صحة النكاح وفي كيفية العقد وشروطه وفي الأولياء وفيمن تؤل إليه الولاية في غياب الولي الشرعى وفي حكم غيبة الأب عن ابنته البكر ثم الصداق وحكمه وقدره وجنسه وتأجيله وما إلى ذلك (٤٣٢) .

٤٢٧- ابن عبد الرؤوف : ثلاث رسائل ص ٧٩ .

٤٢٨- الونشريشى : المعيار المغرب : ج ٣ : ص ١٢١ ، ١٩٠ ، ٢٤٨ .

٤٢٩- يذكر ابن عبدون أن خطة المناكح لاتعطى إلا لرجل فقيه ورع ولا يكون شاباً راجع ابن عبدون : رسالة في القضاء والحسبة : ص ١٣ .

٤٣٠- ابن عبدون : نفس المصدر : ص ١٣ ، سعيد عاشور : الحياة الاجتماعية في المدينة الإسلامية ص ١٠٢ ، كمال السيد أبو مصطفى : نفس المرجع : ص ٦٠ ، ٦١ .

٤٣١- التادلى : (أبو يعقوب يوسف بن يحيى بن عيسى بن عبد الرحمن) . التشوف إلى رجال التصوف ، نشره وصححه أدولف فور ١٩٥٨ الرباط ص ٧٥ .

٤٣٢- ابن رشد القرطبي الأندلسي : بداية المجتهد ونهاية المقتصد : ج ٢ ، تحقيق عبد الحليم محمد عبد الحليم : ص ٣- ٢٥ : طبعة ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م : دار الكتب الإسلامية .

وكانت معظم عقود الزواج مشروطة بشروط خاصة على الزوج إذا أخل بأحدها كان الطلاق حقاً للمرأة تمارسه فى أى وقت شاءت دون الرجوع إلى الإجراءات الكثيرة للإثبات ، كأن يشترط الرجل على نفسه إن غاب عن زوجته مدة يتفقان عليها فلها أن تطلق نفسها (٤٣٣).

كما كان ينص العقد أحياناً على ألا يرحل الزوج زوجته عن دارها إلا بإذنها ورضاها وإن رحلها مكرهه فأمرها بيدها وألا يمنعها عن زيارة جميع أهلها من النساء وذوى محارمها من الرجال وألا يمنعهم من زيارتها وأن يعاملها بالمعروف كما أمره الله تعالى (٤٣٤).

وكان أهل الزوجة فى استطاعتهم فسخ عقد نكاح الفتاة إذا تزوجت من ليس بكفء لها . كذلك كانت الزوجة- خصوصاً إذا كانت تنتمى إلى أسرة ثرية ذات نفوذ- كانت تشتترط أحياناً على زوجها فى عقد النكاح ألا يتزوج عليها ولا يتسرى معها ولا يتخذ أم ولد ، فإن فعل شيئاً من ذلك فأمرها بيدها وقد كان هناك هدية يهديها الأزواج إلى الزوجات قبل البناء بهن (٤٣٧) وذلك جلباً لسورها .

ويذكر ليفى بروفنسال أن فترة الخطبة والزواج كانت مصحوبة بمصروفات كثيرة فكان طالب الزواج يقوم بتأسيس مكونات جهاز العروس وملابسها ثم تحديد ميعاد الزفاف وتستمر احتفالات الزواج أسبوعاً كاملاً فى منزل العروس تتلقى فيه تهانى نساء الأسرة والصدقات والأقرباء (٤٣٨).

وكان مقدار صداق الزوجة الشيب عادة أقل من صداق البكر وكان الزوج - أحياناً- يدفع الصداق لزوجته عيناً بمعنى أن يوفر لها الكسوة اللازمة ويشتري لها بعض الحلى، كما اعتاد

٤٣٣- ابن سهل (أبو الأصبغ عيسى بن سهل بن عبد الله الأندلسى) مخطوط الأعلام بنوازل الأحكام : السفر الأول والثانى : تحقيق نورة محمد عبد العزيز التويجى: رسالة ماجستير : جامعة الملك سعود الرياض ١٤٠١ هـ ص٤٨ والمخطوط رقم ٣١٦ .

٤٣٤- الونشريشى : المعيار المغرب : ج٣ : ص١٠٨ ، ص١٠٩ ابن العطار القرطبى: الوثائق والسجلات: نشر بدرو شالميتا وكورينطى . مدريد ١٩٨٣ م . ص٨ .

٤٣٥- ابن سهل : نفس المصدر : ص٤٥ «مخطوط» ورقة ٣٦٠ .

٤٣٦- الونشريشى : نفس المصدر : ج٣ ص١٧ ، ابن العطار نفس المصدر : ص٧ ، ٨ .

٤٣٧- ابن سهل : نفس المصدر : ص٤٨ المخطوط ص٣١٦ .

٤٣٨- Levi Provençal : L.Esp. Musul. V. III . p. 403 .

معظمهم من ذوى الثراء أن يهب زوجه قبل الزفاف بستائاً أو داراً أو أحد العقارات كل واحد قدر استطاعته^(٤٣٩) وإزاء وفرة الجوارى المسيحيات ورخصهن كان على المسلمين لكى يزوجوا بناتهم أن يتنافسوا فى الترف عند إعداد الجهاز^(٤٤٠).

وكان الزوج كما هو واضح من كتب الحسبة والنوازل - يتكفل بنفقات حفل الزفاف وإعداد وليمة لأهل العروسين لقول النبى صلى الله عليه وسلم أولم ولو بشاة .

وعدنا الونشريشى أيضاً بإشارات قيمة عما يحدث فى حفل الزفاف حيث يحضر المغنيون والراقصات وضاربو الدفوف^(٤٤١) وفى أثناء هذه الحفلات ، كان العامة من المدعويين يضربون البوق والكير والمزهر والطنبور والعود هذا إلى جانب غناء المغنيين والمغنيات الذين كانوا يطلقون حناجرهم بالغناء ابتهاجاً بتلك المناسبة وكان يختلط الرجال بالنساء فى هذه الحفلات مما دعا الجرسفى إلى منع ذلك^(٤٤٢).

وقد أوضحت كتب الحسبة أنه يجب أن يؤخذ سلاح الشبان لدى إقبالهم فى العرس قبل أن يشربوا^(٤٤٣) وذلك منعاً لحدوث أى مشاجرات أو حوادث ، وكان الحواة يتقدمون موكب الزفاف ويرى ابن عبدون أن يمنع ذلك^(٤٤٤).

هذا ويورد الحميدى^(٤٤٥) فى جذوته نصاً طريفاً يصف فيه عرساً بأحد شوارع قرطبة فيذكر أن «النكورى الزامر قاعد فى وسط الحفل وفى رأسه قلنسوة وعليه ثوب خز عبيدى وفرسه بالخلية المحلاة يسكه غلامه وهو يزمر فى البوق وفى أثناء الحفل ينشد الشعر ويغنى المغنى» .

٤٣٩- الونشريشى : نفس المصدر : ج٣ : ص ١١٦ ، ص ١١٧ ، ١٢٥ ، ١٦٦ .

٤٤٠- هنرى بيرس : الشعر الأندلسى : ص ٢٦٥ هامش رقم ١٧ .

٤٤١- الونشريشى : المعيار المغرب : ج٣ : ص ٢٥ .

٤٤٢- الجرسفى : ثلاث رسائل فى الحسبة : ص ١٢١ .

٤٤٣- ابن عبدون : نفس المصدر : ص ٥٤ .

٤٤٤- ابن عبدون : نفس المصدر ص ٥١ .

٤٤٥- الحميدى : جذوة المقتبس : ص ١٤٣ ، ١٤٤ ترجمة رقم ٢٤٤ .

هذا ولم يكن الرجل من الطبقة الوسطى أو العامة يستطيع الزواج بأكثر من واحدة، لأن الزواج بأخرى كان يتطلب نفقات باهظة لا يستطيع أن يقوم بها إلا ذوو الثراء^(٤٤٦) ويذكر ابن عبد الرؤوف أيضاً أنه على الرجل الذى تزوج بأكثر من واحدة أن يسوى بينهما فى الملبس والطعام والمبيت ولا يفضل واحدة منهما على صاحبها إلا ما لا يستطيع العدل فيه مثل الجماع والمحبة وليتق الله فى ذلك^(٤٤٧) ونستنتج من خلال النوازل وكتب الفقه الأندلسية أن السلطة كلها داخل البيت كانت بيد الأب وكانت الزوجة وأطفالها يعاملونه بكل الاحترام والتبجيل^(٤٤٨) فكانت المرأة تشارك زوجها الحياة فى الوسط الاجتماعى الذى يعيشه فالمرأة العامية كانت العلاقة بينها وبين الزوج قائمة على نوع من التعاون والتضامن الذى فرضته ظروف الحياة^(٤٤٩).

هذا ولقد صور لنا الشعر الأندلسى حفلات الزواج فوصفوا زفاف العروس وخروجها من بيت أهلها إلى بيت زوجها وإلى ثوبها الذى ترتديه ومشهد الحفل حيث تكون محل إعجاب الحاضرين من المدعوين^(٤٥٠).

يقول أبو بكر محمد بن رحيم فى قصيدة طويلة:

سكرى تجرُ ذبولها بتبختر	وإليكها مثل العروس زفتها
عذر التأخر ليت لم أتأخر	عذراء إلا أنسى حملتها
	ويقول ابن خفاجة فى وصف مشهد الحفل :
تجلى ونوار الغصون نثار ^(٤٥٢)	زف الزجاج بها عروس مدامه

٤٤٦- كمال السيد أبو مصطفى : مألقة الإسلامية : ص ٦٤ .

٤٤٧- ابن عبد الرؤوف : ثلاث رسائل : ص ٨٠ .

٤٤٨- كمال السيد أبو مصطفى : نفس المرجع : ص ٦٥ .

٤٤٩- الخشنى : قضاة قرطبة : ١٣٩ .

٤٥٠- هنرى بيرس : الشعر الأندلسى : ص ٢٦٤ .

٤٥١- هنرى بيرس : نفس المرجع : ص ٦٤ .

٤٥٢- ابن بسام : الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة ، نشر إحسان عباس فى ٨ مجلدات : ١٩٧٩ : ج ٣ =

كذلك يروى لنا الشاعر والوزير ابن زيدون شعراً بمناسبة زواج المعتضد من ابنة مجاهد العامري أمير دانية ، أن الحفلات استمرت أسبوعاً كاملاً وأن الزوج لم يظهر أمام المدعوين طوال هذه الأيام .

يقول ابن زيدون (٤٥٣) :

أسبوعٌ أنس محدث لى وحشة علما بأنى فيه لست أراكا

وأخيراً فإن الشعر لم يصمت حتى عند الشجار الذى يقع بين الزوجين ، ويقول أبو تمام غالب بن رباح المعروف بالحجام عن عادة تعدد الزوجات :

كأن بلادهم كانت نساء تطالبها الضرائر بالطلاق (٤٥٠)

أما ابن قزمان فقد صور لنا فى عدد من أزجاله بأسلوب ساخر، متاعب الزواج ومطالب النساء فى الأندلس (٤٥٥) وقد قص علينا أنه تزوج مرة ولكنه ضاق بالزواج وبالمرأة وبمسئولية البيت وقد عبر عن هذا أحسن تعبير فى أسلوب يكاد يكون حديثاً صالحاً لكل عصر. يقول ابن قزمان (٤٥٦):

صرت عاذب وكان لعمري صواب ليس تزوج حتى يشيب الغراب

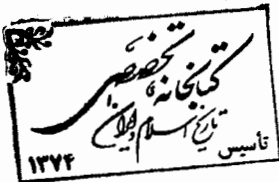
أنا تايب يا له تقول بزواج ولاجلو ولاعروس بتاج

لارياسة غير اللعب بالزجاج والمبيت برا والطعام والشراب

وفى الزجل رقم ١٨ يصرح بأنه تزوج ثم طلق لأن الملالة أصابته من الزواج يقول (٤٥٧) :

= ص ٥٩٦ ، ابن خفاجة : الديوان تحقيق سيد غازى ، منشأة المعارف الإسكندرية : الطبعة الثانية ١٩٧٩م ، هنرى بيرس : نفس المرجع ص ١٤٨ .

٤٥٣- ابن زيدون : الديوان : تحقيق وشرح على عبد العظيم القاهرة ١٩٥٧م : ٤٤٣ ، هنرى بيرس : نفس المرجع ص ٢٦٥ .



٤٥٤- هنرى بيرس : نفس المرجع ص ٩٧ .

٤٥٥- الأهوانى : الزجل فى الأندلس : ص ٧٦-٧٧ .

٤٥٦- الأهوانى : الزجل فى الأندلس : ص ٧٦ .

٤٥٧- الأهوانى : نفس المرجع : ص ٧٦ .

أنفقت فى زواجى وأرفهت وجاتن الملااة وخليت
 وقد فسر هذه الملااة فى قوله يقبل الزوج ولايدر طيب القبل
 لا لن يريح القبل والتعنيق غير العشييق
 هذا وقد سخر يحيى الغزال مراراً من الشيوخ الذين يتزوجون الصغيرات (٤٥٨).
 وصور مشكلة الفتاة التى تخير بين الشيخ الغنى أو الشاب الفقير.
 فقال (٤٥٩):

وخيرها أبوها بين شيخ كثير المال أو حدث فقير
 فقالت خطتنا حَسَفَ وما إن أرى من خطوة للمستخير
 ولكن إن عزمتم فكل شئ أحب إلى من وجه الكبير
 لأن المرء بعد الفقر يثرى وهذا لايعودُ إلى صغير

أما الأمثال الشعبية الأندلسية فقد تناولت الزواج ومشكلاته وما يترتب عليه من زيادة النفقات .

ومن الأمثال التى تناولت ترغيب الفقراء فى الزواج وأنه باب الرزق يقول المثل :
 « تزوجوا يغنكم الله » وقالوا « أزوج يفتح الله عليك » (٤٦٠).

وهذه الأمثلة تعبر عن فكر واقعى يرى أن الزواج لا يكون قبل الاستعداد له والقدرة عليه
 وأن الزواج طيب ولكن نفقته كبيرة ويؤكد هذا المثل القائل :
 « ما أطيب العرس لولا النفاقة » (٤٦١).

٤٥٨- ابن عبد البر : بهجة المجالس : تحقيق محمد مرسى الخولى - ط . دار الكاتب العربى : ج٢

ص٤٢ ، محمد بن شريفة : أمثال أبى يحيى : ص ٢١٢ .

٤٥٩- الحميدى: جذوة المقتبس : ص ٣٧٥ .

٤٦٠- محمد بن شريفة : نفس المرجع ص ٢١٠ مثل رقم ٨٢ .

٤٦١- محمد بن شريفة : نفس المرجع والصفحة مثل ابن عاصم رقم ٧٢٣ .

« وزوجوه حوجوه » (٤٦٢).

« من زوج حوج » (٤٦٣).

وهى أمثال تشير إلى أن الزواج له مطالب كثيرة وأن من يتزوج دون الاستعداد المادى يعيش فى حاجة دائماً ولأن مطالب الزواج عديدة والزوجات لا يرحمن يقول المثل :

« حلىنى وإلا خلىنى » (٤٦٤).

ولأن الزواج فى جملة قسمة ونصيب يقول المثل الأندلسى. « زوجنى واضمن لى البخت » (٤٦٥).

وكانت المرأة الأندلسية لاتقبل أن تكون ضرة لزوجة أخرى وتؤثر الموت على ذلك يقول المثل:

« مشية للحفر ولا مشية لبيت أخرى » (٤٦٦).

كذلك نظر المجتمع الأندلسى إلى الأبناء أو الأخوة غير الأشقاء نظرة يشوبها التحفظ وهو يرى أن الأخوة غير الأشقاء تكثر بينهم الخلافات والشقاق يقول المثل الأندلسى:

« أخو من شتى زيادة فى الأعدى » (٤٦٧).

وكما سخر الشعر الأندلسى من زواج الرجل العجوز بالفتاة الصغيرة سخرت الأمثال الشعبية أيضاً من هذا الزواج غير المتكافئ : يقول المثل « إذا أزوج الشيخ لصبى يفرح صبيان

٤٦٢- محمد بن شريفة : نفس المرجع ص ٢١١ : مثل رقم ١٠٣٥ .

٤٦٣- محمد بن شريفة : نفس المرجع ص ٢١١ : مثل رقم ١٤٧٢ .

٤٦٤- محمد بن شريفة : نفس المرجع والصفحة : مثل رقم ٨١٦ .

٤٦٥- محمد بن شريفة : نفس المصدر ص ٢١٢ مثل رقم ١٠٤٠ وهو يوافق المثل المصرى « الزواج قسمة

ونصيب » .

٤٦٦- محمد بن شريفة : نفس المصدر ص ٢١٢ مثل رقم ١٥٤١ وهو يوافق المثل الشعبى المصرى

« جنازته ولاجوازته » .

٤٦٧- محمد بن شريفة نفس المرجع : مثل رقم (٣) .

لقوى^(٤٦٨)، كذلك وصفت الأمثال الشعبية الزوجة الصغيرة بقولهم «زوجة الشيخ» مدلل^(٤٦٩)، كذلك سخرت الأمثال الشعبية من زواج المرأة العجوز برجل يصغرها بأعوام كثيرة فقالت «وهل يصلح العطار ما أفسده الدهر»^(٤٧٠).

ومن كان قادراً على الزواج وتكاليفه ولم يتزوج نظر له المجتمع بعين الازتياب يقول المثل :
«عازب ومتفتق ثلثي قظيم يفتى فيه»^(٤٧١).

وكانت البنات مصدر هم للآباء فى الحياة وبعد الممات وخاصة إذا كثر عددهن ويتضح من الوثائق الأندلسية أن بعض الآباء كانوا يقومون بحبس الجنان أو البساتين والعقارات على بناتهم لتوفير حياة كريمة لهن بعد وفاتهم ويستعن بعائدها على المعيشة أو تجهيز أنفسهن بها عند الزواج أو فى حالة وفاة الآباء^(٤٧٢).

وقد تعرضت الأمثال الأندلسية لهم البنات وحرص الآباء على تزويجهن فى حياتهم والاطمئنان عليهن يقول المثل الأندلسى:
«هم البنات للممات»^(٤٧٣).

ويقول أيضاً : وى على من مات وخلقى سبع بنات^(٤٧٤). ولهذا نراهم يفكرون فى تزويج

٤٦٨- محمد بن شريفة : نفس المرجع : مثل رقم (٢) .

٤٦٩- محمد بن شريفة : نفس المرجع : مثل رقم ١٠٤٦٠ .

٤٧٠- ابن هشام اللخمى : المدخل إلى تقويم اللسان وتعليم البيان : المعروف بأمشال ابن هشام اللخمى الإشبيلى: المجلد الثانى : تحقيق ودراسة خوسيه بيريث لاثارو: المجلس الأعلى للأبحاث العلمية: معهد التعاون مع العالم العربى: مدريد : ١٩٩٠ : ص٠٦٠٤ .

٤٧١- محمد بن شريفة : نفس المرجع : ص٠٢١١ ، (مثل رقم ١٦٦٤) .

٤٧٢- الونشريشى: المعيار المغرب : ج٠١٠ : ص٠٣٦٩-٣٧٠ ، كمال السيد أبو مصطفى: الأحباس فى الأندلس : ص٠٥٢ ، مألقة الإسلامية ص٠٦٧ .

٤٧٣- محمد بن شريفة : نفس المرجع : ص٠٢١١ ، (مثل ابن عاصم) رقم (٧٧٩) وهو يوافق المثل الشعبى المصرى «يا مخلقة البنات يا شائلة الهم للممات».

٤٧٤- محمد بن شريفة : نفس المرجع : نفس الصفحة (مثل رقم ١٩٦٥) .

البنيت منذ صغرها ويفضلون تزويجها لأول خاطب ، فيقول المثل « إذا قالت البنيت دد ، فكر لها فى مخد » ، « وإن رفعت القدح لئفها ، محتاج ما محتاج أمها » (٤٧٥).

وكذلك يقولون زوج سو خير من فقد (٤٧٦).

وقولهم أيضاً زوج من عود خير من قعود (٤٧٧).

ويعد إتمام الزواج وبناء الأسرة الجديدة تأتي الأحداث السعيدة للأسرة الأندلسية شأنها شأن الأسر الإسلامية والمسيحية على حد سواء بمجئ المولود الأول وتزداد الفرحة من قبل الأسرة إذا كان المولود ذكراً (٤٧٨) وكانت الولادة عادة تتم على أيدى إحدى القوابل (٤٧٩).

وكان المعتاد فى الأندلس فى تلك المناسبة السعيدة إرسال الأصدقاء ببعض القطع الشعرية والشعرية لتهنئة الأسرة بالمولود الجديد (٤٨٠).

يقول محمد بن أحمد الأنصارى الإشبيلي (٤٨١) مهنتاً أحد أصدقائه بمولود طفل له .

أصاحت الخيل أذاتاً لصرخته واهتز كل هزير عندما عطا

تعشق الدرع مذ شدت لفائفه وأبعض المهد لما أبصر الفرسا

وفى اليوم السابع لميلاد الطفل كان يسمى ويكنى ، ويقوم والده بإعداد وليمة فخمة تسمى العقيقة تدعو فيها الأسرة الأهل والأصدقاء ليشاركوهم فرحتهم بمقدم المولود الجديد (٤٨٢).

٤٧٥- محمد بن شريفة : نفس المرجع : والصفحة مثل رقم (٢٧) .

٤٧٦- محمد بن شريفة : نفس المرجع : والصفحة مثل رقم (١٠٠٧) .

٤٧٧- أمثال ابن هشام اللخمي : ص ٤١٤ .

٤٧٨- سعيد عبد الفتاح عاشور : الحياة الاجتماعية فى المدينة الإسلامية : ص ١٠٣ .

Levi Provençal , Histoire , T / II , p. 404 .

كمال السيد أبو مصطفى : مألقة الإسلامية : ص ٦٩ .

٤٧٩- الجرسفى : رسالة فى الحسبة : ص ٢٣ .

٤٨٠- كمال السيد أبو مصطفى : نفس المرجع : ص ٦٩ .

٤٨١- المقرئ : نفع الطيب : ج٤ : ص ٢٧١ ، ص ٤٠٨ .

٤٨٢- كمال السيد أبو مصطفى : نفس المرجع : ص ٧٠ .

وقد سجلت لنا النصوص الشعرية معلومات مفصلة عن الاحتياطات التي تتخذ لحماية الطفل الرضيع والصبي الصغير والغلام البالغ من التأثيرات الضارة، فقد اعتقد الأندلسيون في الحسد فوضعوا للأطفال التمام لحمايتهم من العين والضرر الذي يمكن أن يصيبهم (٤٨٣).

يقول ابن رزين :

ذلك الوفى الذى نيطت قمامه عند الفطام على حلم ابن سرين (٤٧٤)

وكانت التمام والتعاويد تستمر حتى بعد مرحلة الطفولة ، كما تشهد بذلك قصائد الشعراء، فقد كتب المعتصم (٤٨٥) عند وفاة إحدى حظياته :

لما غدا القلب مفجوعاً بأسودة وقلت للسيف كن لى من قمامه (٤٨٦)

هذا وكان الطفل يتم ختانه فى العام السابع من عمره وكان الختان يستهدف الحفاظ على حياة المسلم بطريقة ملموسة وربما تأثر الأندلسيون فى مظاهر الاحتفال به بطقوس التعميد المسيحية وذلك بإقامة احتفال كبير تشترك فيه كل طبقات المجتمع ، وكانت هذه الحفلات تحمل اسم «إعذار» أو صنيع (٤٨٧).

ومن أشهر حفلات الإعذار التى احتفل بها الأمراء تلك التى أقامها المأمون بن ذى النون أمير طليطلة بمناسبة ختان حفيده يحيى (٤٨٨) واعتاد الناس فى الغرب الإسلامى أن يشبهوا

٤٨٣- هنرى بيرس : الشعر الأندلسى : ص ٢٦٣ .

٤٨٤- وابن سيرين كان مشهوراً بتقواه وزهده ومهارته فى تفسير الأحلام ، راجع هنرى بيرس : نفس المرجع : ص ٢٦٣ .

٤٨٥- « هو محمد بن معن صُمّاح التجيبى المعتصم بالله الواثق بفضله، أبو يحيى وأهل بيته التجيبين ولادة سرقطة وأمراتها قبل الفتنة وبعد » عنهم راجع ابن الأبار الحلة السيرة: ج ٢ : ص ٧٨- ٨٨ .

٤٨٦- ابن الأبار : الحلة السيرة : ج ٢ : ص ٨٤ ، راجع هنرى بيرس : نفس المرجع : ص ٢٦٤ .

٤٨٧- المقرئ : نفع الطيب : ج ١ : ص ٥٣٠- ٥٣١ .

٤٨٨- عن تفاصيل حفل إعذار الأمير يحيى حفيد المأمون بن ذى النون راجع : ابن بسام الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة القسم الرابع المجلد الأول ص ٩٩ - ١٠٢ ، راجع أيضاً سالم: قرطبة حاضرة الخلافة فى الأندلس : ج ٢ : ص ١٢١- ١٢٤ .

الحفلات الكبيرة التي تصحبها ولائم فخمة بإعذار ذى النون (٤٨٩).

يقول أبو بكر الجزار السرقطي (٤٩٠) مهنتًا والد طفل تم إعذاره:

طهرته وهو المطهر إذ نشأ لله فعل منك راق كماله

فازداد بالتطهير حسنا مثل ما يزداد ضوء الشمع عند زباله

وقد تناولت الأمثال الشعبية تربية الأولاد وتعليمهم (٤٩١) وتؤكد الأمثال الشعبية الأندلسية على أن تربية الأولاد تكون من الأساس ومن البداية يقول المثل «من أساسه يكون بنيانه» (٤٩٢).

الوفاة :

أما مناسبات الوفاة فكان يغلب عليها البساطة (٤٩٣) ويذكر ابن سهل أنه عند وقوع وفاة فى منزل ما كان أحد أفراد أسرته يخرج مرتديًا الحداد البيضاء - على عادة الأندلسيين - منذرا لجنائزته والاستعداد للصلاة عليه (٤٩٤).

وقد صور لنا الشعر الأندلسى عادة ارتداء الملابس البيضاء بمناسبة الحزن والحداد يقول الشاعر أبو عمر أحمد بن فرج من القرن الرابع الهجرى العاشر الميلادى فى رثاء أخيه (٤٩٥):

٤٨٩- المقرئ نفع الطيب : ج١ : ص ٤٤٠ ، هنرى بيرس : نفس المرجع : ص ٢٦٤ ، يقول المقرئ «ومن أعظم ملوك الطوائف بنى ذى النون ملوك طليطلة من الثغر الجوفى، وكانت لهم دولة كبيرة ، ويلغوا فى البذخ والطرف إلى الغاية ولهم الإعذار المشهور الذى يقال له «الإعذار الذنونى» وبه يضرب المثل عند أهل المغرب وهو عندهم بمثابة عرس يودان عند أهل المشرق» : راجع المقرئ: نفس المصدر ، والجزء والصفحة .

٤٩٠- هنرى بيرس : الشعر الأندلسى: ص ٢٦٤ .

٤٩١- راجع ص ٥٠-٥١ من هذا البحث .

٤٩٢- عبدالله بن بلقين (مذكرات الأمير عبدالله المسماة بكتاب «التبيان» نشر وتحقيق أ. ليشى بروشنسال - دار المعارف بمصر ص ١٣٠ .

٤٩٣- كمال السيد أبو مصطفى : مألقة الإسلامية : ص ٧٠ .

٤٩٤- ابن سهل : وثائق فى أحكام القضاء الجنائى فى الأندلس مستخرجة من الأحكام الكبرى، تحقيق عبد الوهاب خلاف : ص ٩٣ .

٤٩٥- ابن بسام الذخيرة : ج١ : ص ٥٠٦ ، هنرى بيرس : الشعر الأندلسى ص ٢٦٧ .

ونرجس تظرف أجفانه كمنقلة قد دب فيها الوسن
 كأنه من صغره عاشق يلبس للبين ثياب الحزن

ويصف ابن حيان المؤرخ حفل تولية الحكم الثاني (المستنصر) بعد وفاة أبيه الخليفة عبد الرحمن الثالث (الناصر) ٣ رمضان ٣٥٠ هـ ١٥ أكتوبر ٩٦١م فى مدينة الزهراء حيث اصطف الفتيان على جانبى المجلس حيث يجلس الحكم «عليهم الظواهر البيض شعار الحزن» (٤٩٦).

وتكثر الشواهد فى القرن الخامس الهجرى الحادى عشر الميلادى ، على ارتداء البياض شعار الحزن ويروى ابن بسام أن الشاعر ابن برد الأصغر رأى غلاماً يلبس أبيض (٤٩٧) «على عادة أهل أفقنا فى لباس البياض عند الحزن» فقال (٤٩٨) :

أجل جفونك فى ذا المنظر الحسن ولم على على النأى منه حادث الزمن
 وأعجب لضدين فى مرأة قد جمعا شخص السرور عليه لبسة الحزن
 ويكرر أبو عثمان سعيد بن فرج الجياني نفس الفكرة :

لبس البياض لصفرة فى وجه صفة كما وصف الحزين الفاقد
 يقول أبو الحسن الحصرى (وفى رواية ابن بسام أن الحلوانى، تلميذ أبى على بن رشيق) والذى لم يكن قد وطئ أرض أسبانيا فيما يبدو:

لئن كان البياض لباس حزن بأندلس فذاك من الصواب
 الم ترنى لبست بياض شيبى لأنى قد حزنت على الشباب (٥٠٠).

ويشير ابن بشكوال إلى أنه بعد تفصيل جثمان الميت كان يتم تكفينه ببعض الأردية ويوضع فوقها قطن يبخر ببعض البخور ويضيف أن بعض الزهاد والصالحين كانوا أحياناً يوصون

٤٩٦- المقرئ : نفع الطيب : ج٣ : ص٢٨٧ .

٤٩٧- هنرى بيرس : نفس المرجع : ص٥٠٦ .

٤٩٨- ابن بسام : الذخيرة : ج١ : ص٥٠٦ .

٤٩٩- هنرى بيرس : نفس المرجع : ص٢٦٧ .

٥٠٠- المقرئ : نفع الطيب : ج٤ : ص١٠٩ .

ذريتهم بأن يكفونهم دون قطن ، وهذا كان يعتبر على غير عادة الأندلسيين (٥٠١).

وكان يتم دفن المتوفى - غالباً - فى أقرب المقابر إلى داره وفى بعض الأحيان كان المتوفى بوصى قبل وفاته بنحت شاهد من الحجر ينصب فوق قبره وينقش عليه اسمه وبعض الآيات القرآنية أو الأشعار للموعظة والاعتبار ودعوة المارة بالترحم على صاحب القبر، ويتضح مما أورده ابن الخطيب انتشار عادة كتابة بعض الأبيات على القبور بمالقة فى عصر بنى نصر (٥٠٢) من ذلك أن أحمد بن أيوب اللحاني المالقي (كاتب بنى حمود) أمر بأن يكتب على قبره بعض الأبيات وفيها (٥٠٣):

بَنَيْتُ وَلَمْ أُسْكَنْ وَحَصَنْتُ جَاهِداً فلما أتى المقدور صيره قبرى
ولم يكن حظى غير ما أنت مبصر بعينيك ما بين الزراع إلى الشبر
فيا زائراً قبرى أوصيك جاهداً عليك بتقوى الله فى السر والجهر
فلا تحسبن بالدهر ظناً فائماً من الحزم ألا يستتلم إلى الدهر

وهناك أبيات توجه بها ابن شهيد (٥٠٤) قبل موته إلى صديقه ابن حزم يمكن أن نستنتج منها أن أصدقاء المتوفى كانوا يجتمعون حول قبره بعد دفنه ويقومون بتأبينه (٥٠٥):

فلاتنسى تأبينى إذا ما فقدتنى وتذكار أيامى وفضل خلاتقى

٥٠١- يقول ابن بشكوال نقلاً عن ابن حيان فى ترجمته للفقير عمر بن حسين بن محمد ابن ناهل الأمرى «أنه قد عهد إلى ابن ابنه أن يدرجه فى كفن دون قطن للأثر الصالح فى ذلك» راجع : ابن بشكوال : كتاب الصلة : القسم الأول: الدار المصرية للتأليف والترجمة: القاهرة : سنة ١٩٦٦ : ص ٣٩٦ : ترجمة رقم (٨٤٩).

٥٠٢- ابن الخطيب : الإحاطة فى أخبار غرناطة : مجلد ١ ، ص ٢٣٥ ، مجلد ٤ ص ٤٢٦ ، كمال السيد أبو مصطفى: نفس المرجع : ص ٧١ .

٥٠٣- ابن الخطيب : نفس المصدر : الجزء والصفحة .

٥٠٤- هو الوزير أبو عامر بن شهيد الأشجعى عالم بأقسام البلاغة ومعانيها ، لا يشبهه أحد من أهل زمانه راجع : المقري: نفع الطيب ج١ : ص ٦٢١ .

٥٠٥- هنرى بيرس : ص ٢٦٦ .

ويذكر المقرئ شعراً كتب على قبر المنصور بن أبى عامر ينضج زهواً وتعالياً وكبراً
يقول (٥٠٦):

آثاره تنبئك عن أخباره حتى كأنك بالعيان تراه
تالله لا يأتسى الزمان بمثله أبداً ولا يحمى الشفور سواه

ويصور لنا الشاعر عادة حمل النعش على الأكتاف يقول أبو عامر بن شهيد عند وفاة
القاضى ابن زكوان:

ولما أبى إلا التحمل رائحاً منحناه أعناق الكرام وراكائباً
يسير به النعش الأعز وحولـه أباعد كانوا للمصاب أقارباً (٥٠٧)

ويذكر الونشريشى أن من بدع أهل الأندلس والمغرب البكاء على الميت بالصراخ ولطم
الحدود ، واجتمع النساء لذلك ومعهن النوادب والنوائح (٥٠٨) وهى عادة يحرمها الإسلام،
ومع ذلك فهى شائعة على نحو واسع بين شتى طبقات المجتمع الإسلامى وأشار إليها المعتمد
فى قصيدته التى يبكى فيها ولديه العزيزين المأمون والراضى حين ذهباً ضحية هجوم
المرابطين:

يقولون صبراً لاسبيل إلى الصبر سأكبى وأبكى ما تناول بى عمرى
هوى الكوكبان الفتح ثم شقيقه يزيدُ فهل عند الكواكب من خبر
ترى زهرها فى ماتم كل ليلة تخمش لهفأً وسطه صفحة البدر
ينحن على نجمين ائكلت ذا وذا وأصبرُ ما للقلب فى الصبر من عذر (٥٠٩)

٥٠٦- المقرئ نفع الطيب : ج١ : ص٣٩٨ ، ج٣ : ص١٨٩ ، ابن الخطيب : الإحاطة : ج٢ : ص١٠٨ .

٥٠٧- المقرئ: نفع الطيب: ج٣ : ص٣٦٠ .

٥٠٨- الونشريشى: المعيار المغرب: ج٦ : ص٤١٩ ، ابن عبد الرؤوف : رسالة فى الحسبة : ص١٢١ .

السقطى: أدب فى الحسبة : ص٦٨ هامش سنة ٦٨ .

٥٠٩- ابن بسام : الذخيرة : ج٢ : هنرى بيرس : نفس المرجع ص٢٦٦ .

ويشير ابن عبد الصمد في قصيدة له يرثى فيها المعتمد إلى عادة أخرى جاهلية يقول (٥١٠):

شقوا الشياب وجددوا أحزانكم وصلوا التلحف يا بنسى عباد
ولم تترك الأمثال الشعبية الأندلسية هذا الحدث الأخير في حياة الإنسان دون أن تتناوله
ومن أمثالهم في ذلك الموت يغدو ويروح (٥١١).

٥١٠- ابن الخطيب : أعمال الأعلام : ص ١٦٩ .

٥١١- عبدالله بن بلقين : مذكرات الأمير عبدالله (التبيان) ص ٢٨ .

أهل الذمة

عاشت ضمن عناصر المجتمع الإسلامى الأندلسى أقليات غير مسلمة كان أهمها (النصارى واليهود) فاعتبرهم المسلمون أهل ذمة ، ورعوا حقوقهم كاملة، وكان لكل أقلية حياتها الخاصة ضمن إطار المجتمع الإسلامى الأندلسى^(٥١٢).

أولاً : النصارى :

هم نصارى الأسيان الذين كانوا يعاشرون المسلمين ويتكلمون العربية مع احتفاظهم بدينهم ولذلك عرفوا بالمستعربين وكان العرب يسمونهم بعجم الذمة أما من كان لهم عهد منهم فقد سماوا بالمعاهدين^(٥١٣) وكانوا يكونون أقليات كبيرة فى القواعد الأندلسية مثل قرطبة وأشبيلية وطليلة وغرناطة وماردة^(٥١٤) ويتمتعون فى ظل الحكومة الإسلامية باستقلال محلى وكان للنصارى رئيس فى كل مدينة يدعى القومس^(٥١٥) (Coms) وكانوا ينتخبونه بأنفسهم وقومس الأندلس هو القومس الأعلى وقد أوجد هذا المنصب الأمير عبد الرحمن الداخل^(٥١٦) وكان القومس من الشخصيات ذات النفوذ ، وكان له فى معظم الأحيان مكانة خاصة لدى الأمير أو الخليفة إذا كان مستشاره فى كل ما يتعلق بشئون النصارى وأحوالهم^(٥١٧). وقد كفلت الدولة الإسلامية فى الأندلس لعجم الذمة حرية العقيدة فأبقت لهم كنائسهم وأديرتهم وكان لنصارى قرطبة أكثر من كنيسة يؤدون فيها شعائرهم الدينية، كما كان لهم فى ظاهرها

٥١٢- سعد عثمان : المجتمع الإسلامى: ص ١٠٥ .

٥١٣- سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم : ص ١٣٠ .

٥١٤- أحمد بدر : دراسات فى تاريخ الأندلس : ص ١١٠ .

٥١٥- أنشأت الحكومة الأندلسية منصب القومس اعترافاً منها بأهمية الأقلية النصرانية ليكون مرجعها الرئيسى فى شئونها الدينية كان القومس من الشخصيات ذات النفوذ وله فى معظم الأحيان مكانة خاصة لدى الأمير أو الخليفة إذ كان مستشاره فى كل ما يتعلق بشئون النصارى وأحوالهم. راجع ابن الخطيب. الإحاطة: ج١ . ص ١٠٦ .

٥١٦- ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس : ص ٥٨ ، تحقيق ابراهيم الإيبارى. الطبعة الأولى ١٩٨٢ /

١٤٠٢هـ

٥١٧- ابن الخطيب : المصدر السابق : ج١ : ص ١٠٦ : هامش رقم (١) .

أديرة كثيرة (٥١٨) بل أن المسلمين سمحوا للنصارى ببناء كنائس جديدة، وكانوا يقرعون نواقيسهم رغم ما كان يسببه هذا من إزعاج للمسلمين يقول ابن حزم فى إحدى قصائده .

أتيتنى وهلال الجرم مطلق قبيل قرع النصارى للنواقيس (٥١٩).

ونتيجة لهذا التسامح اتخذ المسيحيون العربية لغة لهم وأتقنوها أكثر من لغتهم اللاتينية (٥٢٠)، كما اتخذوا العادات الإسلامية ومارسوا أفكار المسلمين وتقاليدهم فى ملابسهم وطعامهم وشرابهم، وحتى فى أسمائهم، كما أن بعضهم امتنع عن أكل لحم الخنزير ومارس الختان (٥٢١). وقد برز من المستعربين شخصيات لعبت دوراً هاماً فى تاريخ الإسلام بالأندلس مثل الأسقف ربيع بن زيد المعروف فى المدونات الأسبانية برسيموندو Recmundo، ومطران طليطلة عبيدالله بن قاسم، وأسقف قرطبة أصبغ بن عبدالله بن نبيل (٥٢٢) وقد عرف تاريخ العلم فى الأندلس عدداً كبيراً من هؤلاء المستعربين نذكر منهم ابن فرتون الطبيب (٥٢٣) وخالد بن يزيد بن رومان النصرانى، وكان بارعاً فى الطب فى زمن الأمير محمد بن عبد الرحمن الثانى، فكان يصنع بيده الأدوية الشجارية (٥٢٤)، ومحمد بن أبى وكان حازماً مجرباً، نبغ فى أيام الأمير محمد، واليه تنسب بعض السفوفات (٥٢٥) وابن ملوكة النصرانى الذى

٥١٨- لطفى عبد البديع : الإسلام فى أسبانيا : ص ٢٧ .

٥١٩- ابن حزم الأندلسى: طوق الحمامة : ص ١٧٣، الطبعة الخامسة تحقيق الطاهر مكى : ١٩٩٣ م .

٥٢٠- أحمد الشعراوى: الأمويون : ص ٣٠٩ .

Simonet , Historia de los Mozarrabes de Espana p. 190 .

٥٢١- شكيب أرسلان : تاريخ غزوات العرب : ص ٢٣١ ، ص ٢٩١ ، سعد عثمان : نفس المرجع : ص ١٠٧ .

٥٢٢- سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم فى الأندلس: ص ١٣٢ .

٥٢٣- ابن الأبار : التكملة لكتاب الصلة: نشر مكتبة الخانجي والمثنى ببغداد سنة ١٩٥٦ : ج ١ ص ١٢ .

٥٢٤- ابن أبى أصيبعة : (موفق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم الخزرى) : عيون الأثباء فى طبقات الأطباء: نشر دكتور نزار رضا: بيروت ١٩٦٥ : ص ٤٥٨ .

٥٢٥- ابن أبى أصيبعة : نفس المصدر ٤٨٦، ابن جلجل (أبو داود سليمان بن حسان الأندلسى) : طبقات الأطباء والحكماء . تحقيق فؤاد سيد ، القاهرة ١٩٥٥ ص ٩٧ .

اشتهر فى أيام الأمير عبدالله ابن المنذر وأول دولة الناصر ، وكان يصنع الأدوية بنفسه ، ويفصد العروق (٥٢٦) .

وكان من النصارى أيضاً من شارك فى خدمة الخلافة الأندلسية وقام بسفارات إلى الممالك المسيحية فى شمال الأندلس (٥٢٧) كذلك استخدم النصارى كجنود فى جيوش الأمراء (٥٢٨) كما اشتغل كثير منهم بالتجارة فى المدن والشغور وكان لهم دور بارز فى نقل الحضارة الإسلامية إلى أسبانيا النصرانية (٥٣٠) .

وقد زادت الصلة بين العجم والمجتمع الإسلامى الأندلسى فى القرن الرابع الهجرى بتقربهم إلى الخلفاء والأمراء بالمصاهرات (٥٣١) فقد كانت «صيح» زوجة الخليفة الحكم المستنصر نصرانية وهى أم ولده هشام المؤيد ، كما أن المنصور بن أبى عامر تزوج من أميرة نافارية اسمها عيدة (٥٣٢) وظل النصارى يتمتعون بحريتهم الدينية طوال عصرى الخلافة والطوائف ، حتى حد المرابطون منها ، وأخذوا يضطهدونهم (٥٣٣) ، فقد طالب ابن عبدون فى كتابه آداب

٥٢٦- ابن أبى أصيبعة : نفس المصدر والصفحة ، ابن جلجل نفس المصدر : ص ٩٧ ، راجع سالم : حاضرة الخلافة فى الأندلس : ج ٢ : ص ٢١١ .

٥٢٧- ترتون : أهل الذمة فى الإسلام : ص ٣٧ .

٥٢٨- كان فى جيش المعتمد الذى هاجم قرطبة ٤٦١هـ / ١٠٨٦ م ، فرقة من الجنود المسيحيين يقودها عدد من القواد الكبار وربما كانوا من الموالى وأحدهم اسمه أخذ شكلاً عربياً كاملاً: خلف بن نجاح والثانى احتفظ باسمه الأسبانى ابن مرتين وكلاهما اشترك فى المعارك كجنود محترفين ، راجع ابن الخطيب : أعمال الأعلام ص ١٤٩ ، ص ١٥٠ ، ص ١٥٨ ، هنرى بيرس : نفس المرجع : ص ٢٤٨ .

٥٢٩- الشعراوى : الأمويون أمراء الأندلس : ص ٣٠٩ .

٥٣٠- لطفى عبد البديع : الإسلام فى أسبانيا ص ٣٠ .

٥٣١- سعد عثمان : المجتمع الإسلامى : ١٠٨ .

٥٣٢- عن زواج المسلمين بالأسبانيات راجع العبادى الإسلام فى أرض الأندلس مقال فى مجلة الفكر الكويتية المجلد العاشر العدد الثانى : ص ٣٤٦ ، ٣٤٨ ، عام ١٩٧٩ .

٥٣٣- لم يقف المرابطون ومن بعدهم الموحدون موقف العداء من أهل الذمة ولم ينلهم جور أو تعسف وأن ما لحق بأهل الذمة من النصارى واليهود على أيدي المرابطين كان نتيجة لموقف النصارى المعاهدين من المسلمين =

الحسبة ، أنه يجب أن يمنع النساء المسلمات دخول الكنائس المتنوعة فإن القسسين فسقة (٥٣٤) ، كما أمر أن يمنع قرع النواقيس فى بلاد الإسلام ومنع الأطباء واليهود والنصارى من معالجة المسلمين وضرورة مراقبة الكتب التى يبيعها اليهود والنصارى للمسلمين ما عدا كتب أهل ملتهم وضرورة حمل القسيسين على الزواج (٥٣٥) ونستخلص من ذلك أن أهل الذمة من النصارى واليهود عاشوا فى ظل دولتى المرابطين والموحدين وأنهم واجهوا تشدداً لاتهامهم بالتجسس على المسلمين لمصلحة الدول المسيحية فى شمال أسبانيا ، وخاصة بعد حملة ابن رزمير ٥٩٨هـ - ١١٢٥م (٥٣٦) التى اجتاحت فيها بلاد الإسلام حتى أدرك قرطبة وأشبيلية وزاد اضطهاد الموحدين لهم فنفوهم إلى بلاد المغرب حتى يكونوا بعيدين عن مؤازرة الممالك المسيحية فى الشمال، واستطاع عدد كبير من المستعربين التسلل من الأندلس إلى هذه الممالك الشمالية (٥٣٧) . وكان الخليفة أبو يوسف يعقوب المنصور أشد خلفاء الموحدين وطأة على أهل الذمة (٥٣٨) .

= فقد كان هؤلاء النصارى لا يدخرون وسعاً فى الكيد والتآمر على المسلمين وتحريض ملوك النصارى ضدهم ومساعدتهم فى الإيقاع بالمسلمين فى عهد الأمير على بن يوسف بن تاشفين قام النصارى المعاهدة فى غرناطة باستدعاء ابن رزمير عدو المسلمين وزينوا له اقتحام غرناطة فما كان من المرابطين أن قاموا بالتشديد على هؤلاء النصارى حتى يحدوا من مؤامراتهم فكان أن أمر الأمير على بن يوسف بتفريب هؤلاء النصارى وغيرهم مما يتعاونون مع العدو . عن ذلك راجع ابن عذارى: البيان المغرب : ج٤ : ص ٦٩ ، ٧٠ ابن الخطيب الإحاطة : ج١ ص ١٠٨ هامش رقم ٤ .

٥٣٤- ابن عبدون : رسالة فى الحسبة ص ٤٨ .

٥٣٥- ابن عبدون : نفس المصدر : ص ٥٥ - ص ٥٧ .

٥٣٦- Codera (Francisco), De cadadencia Y desaparicion de los Almoravides en Espana, Zaragoza , 1899 . pp. 13-16 .

راجع ابن الخطيب : المصدر السابق : ج١ ص ١٠٨ : هامش رقم ٤ ، سالم : تاريخ المسلمين: ص ١٣٢ .

٥٣٧- سالم : نفس المرجع والصفحة .

٥٣٨- المراكشى : المعجب فى تلخيص أخبار المغرب الأقصى ص ٣٠٥ .

هذا ويقدم لنا الشعراء من خلال قصائدهم معلومات عن النصارى المستعربين أكثر أهمية ، فهم الذين يقدمون لنا فى غيبة المؤرخين الشواهد على حرية المستعربين فى ممارسة طقوسهم الدينية، كما يصورون لنا العلاقات الاجتماعية المتبادلة بين المسلمين والنصارى (٥٣٩).

فوصف لنا الشاعر أبو عامر بن شهيد إحدى الكنائس فقال :

وقد فرشت بأضغاث أسى	وعرشت بسرور واثتناس
وقرع النواقيس بهيج سمعه	ويرق الحيا يسرع لمعه
والقس برز فى عبده المسيح	متوشعًا بالذنانير أبداع توشيح
قد هجروا الأفـراح	وأطرحوا النعم كل إطراح
لا يعمدون إلى مساء بآنية	إلا اعترافًا من الغدر بالراح (٥٤٠)

وقد قدم لنا الشعراء أيضًا صوراً شعرية لحب المسلمين للغلمان النصارى من أبناء المستعربين يقول أبو عمر يوسف بن هارون الرمادى من شعراء عصر الخلافة قوله (٥٤١) :

قبّلتَه قُدامَ قسيـسة	شربت كاسات بتقديسه
يقرع قلبى عند ذكرى لهُ	من خرط شوقى قرع ناقوسه

كما يقدم لنا أبو عبدالله بن الحداد شاعر من المرية وأصله من وادى أش شعراً يصف حبه لفتاة مسيحية يدعوها نورية (٥٤٢) يقول فيها :

وبين المسيحيات لى سامرية	بعيد على الصب الحنيفى أن تدنو
مثلثة قد وحد الله حسنهما	فثنى فى قلبى بها الوجد والحزن (٥٤٣)

٥٣٩- هنرى بيرس : الشعر الأندلسى : ص ٢٥٠ .

٥٤٠- المقرئ : نفع الطيب : ج١ ص ٥٢٥ .

٥٤١- المقرئ نفس المصدر : ج٤ ص ٣٧ .

٥٤٢- راجع ابن بسام النخيرة : ج١ ص ٧٠٤ أيضاً هنرى بيرس : نفس المرجع ص ٥٥٢ .

٥٤٣- راجع ابن بسام النخيرة : ج١ ص ٧٠٨ ، هنرى بيرس : نفس المرجع والصفحة .

وَمِدَحُهَا أَيْضًا بِقَوْلِهِ (٥٤٤):

عَسَا لِكَ بَحْرٍ مَرِيحَةٌ قَلْبِي الشَّاكِي
فَإِنْ الْحَسَنَ قَدْ وَاكَّ إِحْيَائِي وَاهْلَاكِي
وَأَوْلَعْنِي بِصَلْبَانٍ وَرَهْبَانٍ
وَلَمْ آتِ الْكِنَائِسَ عَنْ هَوَى فَيَهِنَ لَوْلَاكَ

وكما تناول الشعراء أهل الذمة تناولت الأمثال الشعبية الأندلسية أيضاً عجم الذمة ويتضح من هذه الأمثال استهزاء الأندلسيين من عجم الذمة يقول المثل :

« ذكرت الخيول ذكر أبو خيل حمار » (٥٤٥)

وكأن فيه تلميحاً إلى أن الخيول للعرب والحمير للعجم وهذا ما أفصح عنه ابن قزمان إذ يقول في الزجاليين الذين يزاحمونهم (٥٤٦) :

ثُمَّ تَعَجَّبَ وَهُوَ كَانَ الْعَجَبُ جَمَعُوا الْجَهْلَ وَسُوءَ الْأَدَبِ
أَنْ نَجْرِي أَنَا خَيْوَلُ الْعَرَبِ قَامُوا مَا عَى حَمِيرِ الظُّلْمِ
وَسَخَرُوا مِنْ كِنَائِسِ الْعَجْمِ فِي الْقَرْيِ وَصَوَرُوا نَوَاقِيسَهَا الْفَقِيرَةَ فَقَالُوا (٥٤٧):
« أَفْقَرُ مِنْ نَاقِوَصِ طَبْلَشِ الَّذِي كَانَ مِنْ قَرَعٍ وَلسَانٍ مِنْ كَمَلَخِ »
وقولهم أيضاً (٥٤٨):

« عَجِينَةَ مَرْتَيْنِ أَخَذَ الْجَوْعَ أَكَلَهُ »

-
- ٥٤٤- ابن بسام : نفس المصدر : ج ١ ص ٧٠٧ ، أحمد ضيف بلاغة العرب في الأندلس : ص ١٨٦ -
١٨٧ ، هنرى بيرس : نفس المرجع : ص ٢٥٢-٢٥٣ .
٥٤٥- محمد بن شريفة : أمثال الزجالى : ص ١٨٣ مثل ابن عاصم رقم ٩٦٥ .
٥٤٦- زجل ٩ .
٥٤٧- محمد بن شريفة : نفس : نفس المرجع ص ١٨٣٦ : مثل رقم ٧٨٦ .
٤٥٨- محمد بن شريفة : نفس المرجع : ص ١٨٣ أمثال ابن عاصم مثل رقم ٥١١ .

ثانياً : اليهود :

عانى اليهود كثيراً من اضطهاد القوط والرومان لهم وقد بلغ هذا الاضطهاد مبلغاً كبيراً فاتخذت الكنيسة قراراً يقضى بتنصير اليهود وتعميد أبنائهم (٥٤٩)، فبدأ اليهود يتآمرون سرّاً ضد القوط (٥٥٠) مما جعل ملوك القوط يستعملون سلطاتهم السياسية فى اتخاذ قرارات تقضى بالمطالبة بإخراج اليهود من أسبانيا (٥٥١).

وكل ما يهمنى هو أن اليهود اشتد بهم الأمر خلال السنوات الأخيرة من حكم القوط .

وبعد الفتح العربى لبلاد الأندلس ، تمتع اليهود بتسامح كبير من جانب العرب لمؤازرة اليهود لهم عند الفتح (٥٥٢) وكافثوهم على ذلك بأن اتخذوا منهم حرساً لما يفتحونه من البلاد إلى جانب الحرس الإسلامى (٥٥٣) ، ولقى اليهود تسامحاً مطلقاً من جانب العرب المسلمين وفى ظلهم بعثت اللغة العبرية والأدب العبرى من جديد (٥٥٤) وكان اليهود قد استعربوا منذ زمن مبكر فأخذوا لغة العرب وعاداتهم واندرجوا فى غمارهم (٥٥٥) وفى ظل هذه الرعاية وقد كثير من العلماء والأدباء اليهود إلى قرطبة فى القرن الرابع الهجرى، وغدت مدرسة قرطبة التلمودية مركز الرياسة والتوجيه للبحث والترجمة فترجم كثير من الكتب العربية إلى اللغة العبرية واللاتينية (٥٥٦)، وعرف اليهود فى الأندلس بإجادتهم لعدة لغات منها الفارسية

٥٤٩- سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم فى الأندلس : ص ١٣٣ .

٥٥٠- سالم : نفس المرجع والصفحة .

٥٥١- أنيس النصولى : الدولة الأموية فى قرطبة : بغداد ١٩٢٦ .

٥٥٢- ابن الخطيب : الإحاطة فى أخبار غرناطة : ج ١ ص ١٠١ .

٥٥٣- مجهول : أخبار مجموعة : ص ١٢ يذكر د. سالم فى كتابه تاريخ المسلمين وآثارهم فى الأندلس ص ١٣٣ أن يهود الأندلس اتصلوا بيهود المغرب يخبرونهم عن حالهم فى ظل القوط، وإذا صح هذا رأى فهو دليل على تسامح المسلمين الذى عرفوا به.

٥٥٤- حسين مؤنس : فجر الأندلس ص ٥٢٣ .

٥٥٥- عنان : دولة الإسلام فى الأندلس : العصر الأول : القسم الثانى ص ٥١٦ .

٥٥٦- عنان : نفس المرجع والجزء والصفحة، موسوعة العلوم الإسلامية والعلماء المسلمين: ج ١: ص ٣٣ .

واليونانية والفرنسية والأسبانية والروسية ونيغ كثير منهم فى علوم الطب والفلسفة والفلك والكيمياء أمثال حسداى بن شبروط^(٥٥٧)، كما كانوا يمتنون تجارة العبيد وبيع أدوات الزينة، وقد ازدهرت جماعات اليهود مالياً وفكرياً ووصلوا إلى ذروة النفوذ والرخاء فى ظل الدولة الأموية^(٥٥٨)، وكانت قرطبة أكبر مدينة أندلسية تضم عدداً من اليهود^(٥٥٩)، كذلك كانت غرناطة تزخر بأكبر جالية يهودية، فسميت غرناطة اليهود^(٥٦٠).

وقد تجاوز نفوذ اليهود فى عصر ملوك الطوائف الحد خاصة فى مملكة غرناطة حتى أنهم أنشأوا مدينة اليسانة الكبرى^(٥٦١)، فكان لابن النفريلة الإسرائيلى كل السلطان فى غرناطة^(٥٦٢) كما التف اليهود فى بطليوس حول المتوكل^(٥٦٣).

٥٥٧- حسداى بن شبروط : اسمه الحقيقى اسحاق بن عذار بن شبروط ولد ٩١٥ م وهاجر مع عائلته صبياً إلى قرطبة ودرس الطب هناك ومارسه : كما تولى الإشراف على الخزانة العامة وكان قبل ذلك قد حظى برعاية الخليفة عبد الرحمن الناصر لخدماته الدبلوماسية وترجمته لكتاب «ديسقوريدس» عن الأعشاب الطبية من اليونانية إلى العربية، وهو الكتاب الذى أهدى قيصر منه نسخة إلى الناصر سنة ٣٣٧ هـ راجع : محمد بن عبد المجيد : اليهود فى الأندلس ص ٢٢ ، على راضى : الأندلس والناصر ص ٧٦ ، عنان : نفس المرجع والصفحة ، سعد عثمان : المجتمع الإسلامى ص ١١٣ .

٥٥٨- أحمد بدر : دراسات فى تاريخ الأندلس : ص ١١٠ .

٥٥٩- سالم : المساجد والقصور فى الأندلس : ص ١٠٧ .

٥٦٠- الحميرى : الروض المعطار : ص ٢٣ .

٥٦١- سالم : تاريخ المسلمين ص ١٣٣ .

Levi Provençal : L'Espagne musulmane au Xe. Siecle, Paris 1932 . p. 38-39 .

٥٦٢- سالم : نفس المرجع والصفحة ، عن نفوذ ابن النفريلة راجع عبدالله بن بلقين: مذكرات الأمير عبدالله (التيبان) ص ٣٨ وما بعدها .

٥٦٣- راجع عن هؤلاء اليهود : المقرى: نفع الطيب ج ٣ : ص ٤٤٧ ، ابن الأبار : الحلة السبراء : ج ٢ :

ص ١٠٦ .

كذلك كان فى بلاط حسام الدولة ابن رزين أمير السهلة وزير كاتب يمكن أن نعتبره يهودياً من اسمه ولو أن المؤرخين لا يذكرون شيئاً عن أصله، وكان يدعى أبو بكر ابن سدرای (٥٦٤).

وعلى الرغم مما يذهب إليه بعض المؤرخين من أن عصر المرابطين والموحدين كان عصر اضطهاد لأهل الذمة (٥٦٥) ولكن مما يدل على تمتع أهل الذمة فى عصر المرابطين بالأمن والطمأنينة أن علماءهم تمتعوا بحرية الكتابة والبحث والتأليف فقد نبغ منهم رجال وصل بعضهم إلى قصور الحكام، فقد ذكر ابن عذارى أن ابا عمر يناله اللمتونى والى المرابطين على غرناطة « كان له كاتب يهودى الأعراق والأخلاق » (٥٦٦).

٥٦٤- المقرئ : نفع الطيب : ج١ : ص ٤٠٧ .

٥٦٥- ذهب بعض الكتاب أمثال فيليب حتى : وكارل بروكلمان إلى القول بأن أهل الذمة قد عاشوا فى كنف المرابطين فى جور وظلم واضطهاد : راجع تاريخ العرب : ٧٠٤ ترجمة مبروك نافع الطبعة الثالثة ١٩٥٢ ، وكارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الإسلامية : ج٢ ص ١٨ ، ترجمة نبيه فارس ، ومنير البعلبكي، أنظر أيضاً :

S. P. Scott: History of the Moorish Empire, P. 247 .

ولكن من الواضح أن دولة المرابطين لم تقف موقف العداة من أهل الذمة ولم ينلهم جور أو تعسف ، فقد حاول المرابطون جاهدين عدم الخروج عن منهج الشريعة الإسلامية ، ولم نجد فى سياستهم ما يشير إلى مثل هذا التعسف وأن ما لحق بأهل الذمة من النصارى واليهود على أيدى المرابطين كان نتيجة موقف أهل الذمة من المسلمين فقد كان هؤلاء النصارى واليهود أيضاً لا يدخرون وسعاً فى الكيد والتآمر على المسلمين كما سبق أن ذكرنا فقد كان أهل الذمة من النصارى واليهود يساعدون نصارى أسبانيا فيتجسسون على المسلمين لحساب ملوك النصارى وكثيراً ما أغروهم بحرب المسلمين وغزؤهم ومن هؤلاء نصارى قرطبة الذين هبأوا لألفنسر السابع ملك قشتالة ، احتلال قرطبة . ٥٤٠ هـ وامتلاك قلعة رباح ٥٤١ وكذلك احتلال ميناء المرية ٥٤١ وذلك قبل أن يتمكن الموحدون من فتح الأندلس ، أما اليهود فقد تآمروا مع ابن هشك على الموحدين ، نضيف إلى ذلك أن الموحدين ظهوروا فى فترة كانت الحروب طاحنة بين الصليبيين والمسلمين وهى فترة الحروب الصليبية. راجع ابن صاحب الصلاة : (عبد الملك: تاريخ المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين- السفر الثانى تحقيق عبد الهادى التازى- بيروت ج١ : ١٩٦٤ الجمهورية العراقية ص ١٨١ . هامش (٥) عن اليهود وموقف الموحدين منهم راجع محمد بحر عبد المجيد : اليهود فى الأندلس : ص ٨٨ المكتبة الثقافية عدد ٢٣٧ . ١٩٧٠ ، حسن على حسن : الحضارة الإسلامية فى المغرب والأندلس : ص ٣٦٨ .

Goitein : Studies in Islamic History and institutions , leiden , Brill. 1968 . p. 311 .

٥٥٦- ابن عذارى : البيان المغرب : ج١ : ص ٦٦ .

ومن الشعراء اليهود الذين نبغوا فى عصر المرابطين الشاعر موسى بن عذرا الهالك ٥٢٢هـ من أهل غرناطة (٥٦٧).

هذا وقد صور لنا الشعر ما كان يتمتع به اليهود فى الأندلس من مكانة اجتماعية . يقول ابن عمار فى قصيدة يمدح فيها المعتضد عدو البربر فى أبيات ذات طابع مميز (٥٦٨).

شقيت بسيفك أمة لم تعتقد إلا اليهود وإن تسمت بربراً (٥٦٩)
ويقول فى قصيدة أخرى فى مدح المعتضد أيضاً :

لك الله إن كانت عداتك بعضها لبعض فكل منهم جميعاً إلى فرد
يهوداً وكانت بربراً فانتفض الظبي وانبتهم منها بألسنة لد (٥٧٠)

هذا وقد عدد الشاعر أحمد بن عبد العزيز بن خيرة القرطبي المعروف باسم المنفلت وكان قد اعتنق اليهودية سرّاً قد مجد فضائلهم يقول (٥٧١) :

ومن يك موسى منهم ثم صنوه فقل فيهم ما شئت لن تبلغ العُشرا
فكم لهم فى الأرض من آية ترى وكم لهم فى الناس من نعمة تترى
أجامع شمل المجد وهو مشتت ومطلق شخص الجود وهو من الأسرى

كذلك أورد ابن بسام أبياتاً أخرى تصور اليهود بعامة وسمويل (*) بن النغزيلة المتسلط على غرناطة فى دولة بنو زبرى يقول (٥٧٢) :

٥٦٧- محمد مجيد السعيد : الشعر فى عصر المرابطين والموحدين بالأندلس : منشورات وزارة الثقافة والأعلام : الجمهورية العراقية : ص ٥٤- ٥٥ .

٥٦٨- هنرى بيرس : نفس المرجع : ص ٢٤٣ .

٥٦٩- هنرى بيرس : نفس المرجع والصفحة .

٥٧٠- هنرى بيرس : نفس المرجع والصفحة .

٥٧١- هنرى بيرس : نفس المرجع والصفحة .

(*) كان صمويل بن النغزيلة يتمتع بمنزلة عالية فى بلاط الأمير حبوس بن ماكنس أمير غرناطة . المسلمين فى بلدتهم : راجع الونشريشى : المعيار المقرب : ج٧ ص ٥٩ . كذلك يشير الونشريشى إلى أن أحد اليهود حبس داراً على أحد مساجد قرطبة ، وإن كان بعض الفقهاء وقد أفتوا بعدم جواز تحبيس اليهود أو النصرارى على مساجد المسلمين. الونشريشى : نفس المصدر : ج٧ : ص ٦٥ .

٥٧٢- ابن بسام : الذخيرة : ج ١ ص ٧٦٥ .

تحكمت اليهود على الفروج وتاهت بالبغال وبالسروج
 وقامت دولة الأتذال فينا وصار الحكم فينا للعلاج
 فقل للأعور الدجال هذا زمانك إن عزمت على الخروج (٥٧٣)

ومن أشهر ما قيل في اليهود قول ابن الزقاق من جزيرة شقر تلك الأبيات (٥٧٤):

وحببت يوم السبت عندي أنسى ينادمنى فيه الذى أحببت
 ومن أعجب الأشياء أنى مسلم حنيف ولكن خير أيامى السبت

أما الأمثال الشعبية الأندلسية فقد سخرت من اليهود وجنائزهم ومقابرهم ومعابدهم ورجال دينهم .

يقول المثل (٥٧٥):

« قير يهودى شط ضيق »

« جنيزة يهودى الجرى والسكات » (٥٧٦)

« بحل ربي فى شنوع يتحرك ويبزق » (٥٧٧)

٥٧٣- راجع ابن بسام الذخيرة : ج١ ص ٥٦٢ ، يقول ابن شهيد فى رسالة إلى الوزير ابن عباس فبحث من طراً عليك من الإنزال (يقصد اليهود) وحل بساحتك من الأعلاج يقصد (النصارى) : ابن بسام الذخيرة ج١ ، ص ٢١٤ .

٥٧٤- المقرئ : نفع الطيب : ت٤ : ص ١٩ ، ص ٣٠٠ ، ابن الأبار الحلة السيرا ج٢ ص ١٠٦ .

٥٧٥- محمد بن شريفة : ص ١٨٧ مثل ابن عاصم ٥٧١ .

٥٧٦- محمد بن شريفة : نفس الصفحة : مثل رقم ٣٦٤ .

٥٧٧- محمد بن شريفة : نفس المرجع والصفحة : مثل رقم ٦٤٢ . يقصد بلفظ «شنوعة» -المذكور بالمتن- بيت عبادتهم وهو منقول عن اللاتينية Sinagoga ومعناه أصلاً مكان الاجتماع ثم خصص المعنى بعد ذلك بمكان اجتماع اليهود للصلاة . أنظر ابن سهل مخطوط الأحكام الكبرى : وثائق فى أحكام قضاء أهل الذمة فى الأندلس: مستخرجة من الأحكام الكبرى: تحقيق عبد الوهاب خلاف ص ٢٥ ، ص ٦٠ ، ص ٦١ ، ص ١٩٨ .

Levi Provençal, Histoire de L'Espagne musulmane, t, III p. 230 .

ومن ناحية أخرى قام بعض اليهود أيضاً بحبس عقارات على أبنائهم وأعقابهم وكانوا يوصون - أحياناً - بأنه فى حالة انقراض ذريتهم يرجع الحبس لفقراء المسلمين .

وهذه الأمثال تصور نظرة الرجل العادي وملاحظته حين رأى أوضاع اليهود تخالف أوضاع المسلمين (٥٧٨). كذلك استعمل المسلمون من الأندلسيين فى أمثالهم فى اليهود الألفاظ القرآنية الواردة فى بنى إسرائيل كاللعنة والشقاء وغضب الله فهم يقولون .

«خادم شنوع شاقى ملعون» (٥٧٩)

«بحل يهودى فى غضب الله» (٥٨٠)

كذلك تشير الأمثال الواردة فى اليهود إلى اشتغالهم بالتجارة واستعمال الحيل فيها فمن ذلك قولهم.

إذا ريت اليهود يذم السلع أدر أن يشتريه ويقولون أيضاً حاج بقطاع يهود يقضيها (٥٨٢):

«إذا أفلس اليهود يفتش دفاتر ولد» (٥٨٣)

ويشير أحد الأمثال إلى اشتغال اليهود بالصاغة وإذا عمل مسلم بهذه الحرفة احتقره الناس وذموه يقول المثل :

«مسلم صاغ يهودى أحسن منه» (٥٨٤)

وهكذا كانت أوضاع أهل الذمة من النصارى واليهود فى ظل المجتمع الأندلسى.

٥٧٨- محمد بن شريفة : نفس المرجع والصفحة .

٥٧٩- محمد بن شريفة نفس المرجع : (مثل ابن عاصم رقم ٣٩٦) .

٥٨٠- محمد بن شريفة : نفس المرجع : (مثل ابن عاصم رقم ٣٩٦) .

٥٨١- محمد بن شريفة نفس المرجع : ص ١٨٦ مثل رقم ٣١ .

٥٨٢- محمد بن شريفة : نفس المرجع والصفحة (مثل رقم ٨٠٥) .

٥٨٣- نفس المرجع والصفحة .

٥٨٤- نفس المرجع والصفحة .

العبيد :

انتشرت تجارة الرقيق فى الدولة الإسلامية، كما انتشرت فى غيرها من الدول وتنوع الأرقاء كذلك، فمنهم السود ومنهم البيض أو المماليك الذين سماهم آدم متز (٥٨٥) «أرستقراطية العبيد» لتفضيلهم على السود (٥٨٦).

وكان الصقالبة والأتراك أشهر أنواع الرقيق الأبيض فى المجتمع الإسلامى إلا أن الصقالبة كانوا موضع التفضيل (٥٨٧) وكان الرقيق الأبيض من الصقالبة يتخذ طريقه الرئيسى إلى العالم الإسلامى من طريق يبدأ من شرق ألمانيا إلى إيطاليا وفرنسا ومنها إلى الأندلس عن طريق نهر الرون وقطلونية حتى ثغر بجانة التى كانت مركزاً لتجمع العبيد الواردين من أوروبا، حيث يستخدمون كبجارة، كما يتم تأهيلهم، أو إجراء عملية الخصاء لهم وكان يقوم بها يهود خارج المدينة (٥٨٨).

أما الرقيق الأسود فكان يجلب من بلاد السودان عبر بلاد المغرب وقد جئ بهم على نحو خاص ابتداء من عهد عبد الرحمن الناصر ليكونوا حرسه الخاص، أما المنصور ابن أبى عامر فقد زاد من عددهم (٥٨٩) على نحو ما فعل مع البربر والصقالبة.

وعندما اندلعت الفتنة فى مطلع القرن الخامس الهجرى / الحادى عشر الميلادى حاولوا القيام ببعض الثورات ولكن البربر ردهم على أعقابهم (٥٩٠).

٥٨٥- متز : الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى ترجمة عبد الهادى أبو ريدة طبعة بيروت : ١٩٧٦م : ج١ ص ٢٩٨ . راجع أيضاً العبادى : الصقالبة فى أسبانيا : ص ٧ .

٥٨٦- استخدم العبيد السود فى القرن الرابع الهجرى مشاة وفرساناً ، كما استخدموا فى تكوين الاستقبالات الرسمية ، وفى حمل البريد وقد زاد عددهم فى عهد المنصور ابن أبى عامر إلى ألفين من المشاة . راجع ابن بسام : الذخيرة قسم ٤ مجلد ١ ص ٥٥ : القاهرة ١٩٤٩م، سعد عثمان : المجتمع الإسلامى : ص ٩١ .

٥٨٧- العبادى : نفس المرجع : ص ٧ .

٥٨٨- أحمد بدر : تاريخ الأندلس : ص ٢٣٥ .

٥٨٩- يقول المقرئ «وجند - أى المنصور- البرابرة والمماليك واستكثر من العبيد والعلاج» المقرئ : نفع الطيب : ج١ : ص ٣٩٨ .

٥٩٠- هنرى بيرس : نفس المرجع : ص ٢٣٧-٢٣٨ .

وفى العصر المرابطى أبلى الجند السودان بلاء حسناً فى معركة الزلاقة ويتحدث المؤرخون عن بطولات الحرس الأسود خلال المعركة فقد استطاع جندى أسود أن يقترب من الملك ألفونسو السادس وأن يجرحه فى فخذه بخنجر^(٥٩١). أما عن الجوارى من النساء فيذكر ابن حزم أن خلفاء بنى مروان فى الأندلس كانوا مجبولين على تفضيل الشقرة وكانوا هم أنفسهم شقراً^(٥٩٢) ومع ذلك كانت الجوارى السوداوات يشكلن جانباً من الحریم الأندلسى كزوجات شرعيات^(٥٩٣) وكعشيقات .

وكانت العلاقة بين رجل أبيض وجارية سوداء ينظر إليها باحتقار ويروى المقرئ ما روى عن ابن غير شرعى فى أسرة بنى ذى النون أمراء طليطلة تلقى ضوءاً على فكر بربر الأندلس فيما يتصل بالأنساب. فقد كان للمأمون بن ذى النون أخ غير شرعى يدعى أرقم كان ابن لأمّة سوداء واقعها أبوه الظافر فى حالة سكر ، وقد تسامح المأمون مع أخيه غير الشرعى ولكن ابنه يحيى القادر جاء على النقيض من أبيه فمال على الأرقم ففر من المملكة وارتحل أبياتاً ذكرها، وهى تظهر رد فعل الإنسان الذى يشعر بأنه إنسان صالح مهما جاء من علاقة غير شرعية وأنه أفضل من أى أمير آخر بربرياً أو مسيحياً معروف النسب^(٥٩٤) يقول^(٥٩٥) :

لئن طبتم نفساً بتركى دياركم فنفس عنكم بالتفرق أطيب
إذا لم يكن لى جانب فى دياركم فما العذر لى أن لا يكون تجنب
زعمتم بأنى لستُ فرعاً لأصلكم فهلاً علمتم أننى عنه أرغبُ

٥٩١- هنرى بيرس : نفس المرجع : ص ٢٣٨ .

Levi Provençal L Histoire de L'Espagne musulmane vol . 3 . p. 129 .

٥٩٢- ابن حزم : طوق الحمامة : ص ٤٩ - ص ٥٠ .

٥٩٣- لم يجد الأمير الأموى حبيب بن الوليد المروانى حرجاً فى أن يتزوج من جارية سوداء من رقيق المدينة حالكة اللون كانت تلمينة الإمام وتأدهت على يديه: راجع المقرئ: نفع الطيب : ج ٣ : ص ١٣٩- ص ١٤٠ .

٥٩٤- هنرى بيرس : نفس المرجع : ص ٢٣٨ ، راجع المقرئ: نفع الطيب : ج ٤ ، ص ١٢٣ .

٥٩٥- المقرئ : نفع الطيب : نفس الجزء والصفحة .

وحسبى إذا ما البيضُ لم ترعَ نسيه بأنى إلى سيفى ورُمحى أنسب
 وإن مُدت الأيام فى عُمرى للعُلا يُشْرِقُ ذكرى فى الورى ويُغربُ

ويظهر لنا الشعر أيضاً موقف النساء الأندلسيات من الحب الذى يمارسه أزواجهن مع السوداوات ، فقد مال ابن زيدون إلى جارية الأميرة ولادة بنت المستكفى وكانت سوداء فكتبت تعاتبه على هذا الهوى تقول (٥٩٦):

لو كنت تُتصف فى الهوى ما بيننا لم تهو جاريتى ولم تتخَّير
 وتركت عصناً مثمراً بجماله وجنحت للغصن الذى لم يُثمر
 ولقد علمت بأننى بدرُ السما لكن ولعت لشقوتى بالمشتري

وفى القرن السادس الهجرى / الثانى عشر الميلادى عبرت حفصة الركونية من شاعرات غرناطة (٥٩٧) عن حزنها لتعلق حبيبها أبى جعفر ابن سعيد بجارية سوداء اعتكف معها أياماً وليالى بظاهر غرناطة : قالت حفصة (٥٩٨):

يا أظرف الناس قبل حال أوقعه نحوه القدر
 عشقت سوداء مثل ليل بدائع الحسن قد ستر
 لا يظهر البشرُ فى دجلها كلا ولا يُبصرُ الخفرُ
 بالله قل لى وأنت أدرى بكل من هام الصور
 من الذى هام فى جنان لانوار فيه ولازهر

وقد أشار ابن حزم فى طوقه إلى فتيتين من الجوارى فئة تتخذ للنسل واللذة والحال الحسنة (٥٩٩) وأخرى تتخذ للخدمة وكان اتخاذ العبيد للخدمة من شارات الكبراء أو ما يحاكيهم كما فى قول شاعر أندلسى (٦٠٠):

٥٩٦- المرقى : نفس المصدر : ج٤ ص ٢٠٥ .

٥٩٧- من أهل غرناطة فريدة فى الحسن والظرف والأدب كانت أديبة نبيلة جيدة البديهة سريعة الشعر تنسب إلى بلدة «ركانة تقع غرب نجر بلنسية» راجع ابن الخطيب: الإحاطة : ج١ : ص ٤٩١ .

٥٩٨- ابن الخطيب : نفس المصدر : ج١ ص ٤٩٢ .

٥٩٩- ابن حزم : طوق الحمامة : ص ١١١ تحقيق الطاهر مكى .

٦٠٠- ابن سعيد : المغرب فى حلى المغرب : ج٢ : ص ٢٩٢ .

أيا حاسداً عبد العزيز وحاكياً له منزعاً قد سار فيه على أصل
 فهبك تحاكيه بعبد وبغلسة فمن لك أن تحكيه فى القول والفعل
 يقول المثل الأندلسى فى نفس المعنى:

«البغل المسمر والعبد المشمر» (٦٠١)

وفهم من بعض الأمثال أنهم كانوا يفضلون العبد الأسود على الأبيض إما لصبره وقوة
 تحمله وطاعته وإخلاصه وإما لأغراض أخرى مبتذلة.

يقول المثل :

«طل ما تجد أسود ، لاتسخر أبيض» (٦٠٢)

ويقولون أيضاً :

«لاتعمل خصل مع أسود» (٦٠٣)

كما جاءت عبارة غلام الخدمة فى المثل التالى:

«غلام الخدم، لايباع ولايرهن» (٦٠٤)

يقولون كذلك :

«السود للسادة والبيض للرمادة»

وتظهر فى الأمثال الأندلسية أيضاً الحث على عدم مخالطة العبيد والامتزاج بهم يقول
 المثل:

«الخدم لا يكون نديم»

«من خالط الخدم ندم» (٦٠٥)

٦٠١- محمد بن شريفة : نفس المرجع : ص ١٨٨ مثل رقم ٤٧٨ .

٦٠٢- محمد بن شريفة : نفس المرجع والصفحة مثل رقم ١٠٦٤ .

٦٠٣- محمد بن شريفة : نفس المرجع والصفحة مثل رقم ٢٠١٣ .

٦٠٤- محمد بن شريفة : نفس المرجع : ص ١٨٨ مثل رقم ١٧٣٤ .

٦٠٥- محمد بن شريفة : نفس المرجع : ص ١٨٩ مثل رقم ١٤٢٠ ورقم ١٠٩ .

وإذا كان تسرى البيض أو زواجهم بالسود شيئاً طبيعياً فإن زواج السود أو الموالي بالبيضاء كان مما يثير الانتقاد والسخرية .

يقول القاضى ابن حمدين فى أسود يخاصم زوجة له بيضاء (٦٠٦) :

رأيت غرباباً على سوسنة فكان بشيراً بسوء السنة

فيا مرو والساج زذ عزة ويا مكمل العاج زد مهونة

ويؤكد المثل الأندلسى هذا المعنى فيقول :

«شوى شوى يطلع ميمون للسري» (٦٠٧)

ومن القضايا التى عرضت على قاضى الجماعة بقرطبة قضية العبد الذى نكح حرة بدون إذن سيده (٦٠٨) فقال القاضى ابن لبابة : بفسخ نكاحه إذا كانت الفتاة لم تعلم أنه عبد ولها أن تطلق نفسها منه متى شاءت (٦٠٩).

وعلى الرغم من مكانة العبيد ونظرة المجتمع الأندلسى لهم إلا أن الجوارى احتلوا مكانة هامة فى المجتمع الأندلسى فيذكر ابن حزم فى كتابه طوق الحمامة (٦١٠) أن سبب جنون يحيى بن محمد بن أحمد بن عباس بن أبى عبدة (٦١١) بيع جارية له كان يجد بها وجداً شديداً ، وكانت أمه قد باعته وذهبت إلى إنكاحه من بعض العامريات .

٦٠٦- محمد بن شريفة : نفس المرجع : ص ١٩١ .

٦٠٧- محمد بن شريفة : نفس المرجع : ص ٤٨٩ مثل رقم ١٩٠٦ «اشتهر ميمون فى عبيد المغرب والأندلس» .

٦٠٨- ابن سهل : ص ٧٨ .

٦٠٩- ابن سهل : ص ٨٢ .

٦١٠- ابن حزم : طوق الحمامة : ص ١٣٩ .

٦١١- بنو عبدة بيت أندلسى عريق، من البيوتات الكبيرة التى لعبت دوراً هاماً فى تاريخ الأندلس على أيام دولة بنى أمية وفى عصر الطوائف وينسبون إلى حسان بن مالك ويوجد أخبار وافرة فى عدد من المصادر والمراجع . عن أسرة بنى عبدة راجع عنهم مثلاً :

كذلك كانت الجارية مرجان من أحب الجوارى إلى قلب الخليفة عبد الرحمن الناصر ، فاستولت على قلبه وأنجبت له ابنه الحكم المستنصر ، فكانت أثيرة الخليفة لا يسلبو بدون رؤيتها ولا يكتم عليها سراً ، وإذا مرض حمل إلى بيتها^(٦١٢) .

ولم تكن هي الأخرى وحيدة في حياة الخليفة ، فقد كان له من الجوارى للتمسرى الكثيرات مثل الزهراء التى بنى الخليفة على اسمها مدينة الزهراء^(٦١٣) ورسيس التى كانت تجاهر بالتكشوف فى وسط قرطبة^(٦١٤) ، أما صبح البشكنسية زوجة الخليفة الحكم المستنصر فكانت هى الأخرى أثيرة عنده وكان لها نفوذ سياسى فى دولته^(٦١٥) ولعلها هى التى جعلته يعهد إلى ابنها هشام المؤيد بالخلافة مع صغر سنه فكانت سبيلاً إلى ضياع الخلافة وسقوطها .

وفى وفاة الجوارى لأسيادهن يذكر ابن حزم فى كتابه^(٦١٦) طوق الحمامة أنه كان فى دار محمد بن أحمد بن وهب المعروف بابن الركيزة من ولد بدر الداخل مع الإمام عبد الرحمن بن معاوية رضى الله عنه جارية رائعة الحسن كان لها مولى فجاءته المنية فبيعت فى تركته ، فأبت أن ترضى بالرجال بعده ، وما جامعها رجل إلى أن لقيت الله عز وجل وكانت تحسن الغناء فأنكرت علمها به ورضيت بالخدمة ، والخروج عن جملة المتخذات للنسل واللذة والحال الحسننة وفاء لمن قد دثر ووارته الأرض .

= ابن الأبار : الحلة السيرة : ج١ ص ٢٤٥ وما بعدها ، ابن حيان المقتبس من أبناء أهل الأندلس : تحقيق محمود على مكى : ص ١٩٦ : ص ١٩ بيروت ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م ، عنان دولة الإسلام فى الأندلس عصر الطوائف : ص ٢٠ وما بعدها .

٦١٢- ابن حيان : المقتبس : ج٥ تحقيق شالميتا ص ١٣٣ .

٦١٣- ابن عربى : (محبى الدين بن عربى) محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار فى الأدبيات والنوادر والأخبار . القاهرة : ١٩٠٦ م . قسم ١ ص ١٤٧ ، ١٤٨ : مطبعة السعادة بالقاهرة .

٦١٤- ابن حزم : نقط العروس فى تواريخ الخلفاء ، تحقيق شوقى ضيف : مجلة كلية الآداب : جامعة القاهرة : ١٩٥١ م .

٦١٥- محمد عبد الله عنان : تراجم شرقية وأندلسية : ص ٢٠٣ ، وحسن ابراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسى : ج٣ ص ٤٤٩ .

٦١٦- ابن حزم : طوق الحمامة : ص ١١١ .

ومع أن الدين الإسلامي أوصى بحسن معاملة الرقيق فإن الواقع فى المجتمع الأندلسى كان غير ذلك يقول المثل الأندلسى (٦١٧):

«أسود بلا سياط بحال جامع بلا حصور»

وهم يعبرون عن الحديث التافه الذى لا يعبأ به ولا يلتفت إليه قولهم (٦١٨):

«سود ذنت ، قال قلة أنكسرت»

والعبد لا يعرف طعم الراحة ، فإذا انتهى من عمل كلف بعمل آخر وهذا ما يشير إليه المثل (٦١٩):

«أطلق الفاس خد المصحا»

وكان الأباق أكبر أمنية لدى العبد يقول المثل (٦٢٠):

«أقل للأسود أشكتمعمل لو كنت سلطان قال ناخذ ألف مثقال ونهرب»

ويشير ابن عذارى إلى أباق العبيد وسجنهم بسبب ذلك أنه لما قامت إمارة مبارك ومظفر العامريين فى شرق الأندلس «انفتح على المسلمين ببلاد الأندلس أمر شديد فى أباقة العبيد إذ نزع إليهم كل شريد طريد وكل عاق مشاق» (٦٢١).

كذلك صورت الأمثال الشعبية الأندلسية شعور العبيد بالحرمان ورأيهم فى سادتهم . ومن هذه الأمثال قولهم (٦٢٢):

«شتمت مولاي تحت كساي»

«لاستى شىء ولا سيدى شىء»

٦١٧- محمد بن شريفة : نفس المرجع : ص ١٩٠ (أمثال ابن عاصم مثل رقم ٢٣٥) .

٦١٨- محمد بن شريفة : نفس المرجع والصفحة (مثل رقم ١٨٣١) .

٦١٩- محمد بن شريفة: نفس المرجع والصفحة (مثل رقم ٤٢٢) .

٦٢٠- محمد بن شريفة : نفس المرجع والصفحة (مثل رقم ١٩) .

٦٢١- ابن عذارى : البيان المغرب ج ٢ ص ١٦٠ .

٦٢٢- محمد بن شريفة : نفس المرجع : ص ١٩١ : (مثل رقم ١٨٨ ومثل رقم ١٩٩٣) .

المرأة

كانت المرأة في الأندلس تمثل صورة من صور حياة المجتمع الأندلسي، وقد استطاعت المرأة رغم كل الضواغط الدينية أن تلعب دوراً رئيسياً في المجتمع الأندلسي.

وحين نتحدث عن المرأة الأندلسية فسيكون الحديث عنها زوجة وربة بيت وصاحبة نفوذ سياسي واجتماعي بالإضافة إلى استحواذها على فكر الرجل الأندلسي^(٦٢٢) وتدر بين الأندلسيين من اعتبار المرأة كائنًا شريكاً يقول ابن الحداد^(٦٢٤):

حُنْ عهدها مثل ما خانتك منتصفاً وامنح هواها بنسيان وسُلوَانِ
فالغيد كالروض في خلق وفي خُلُق إن مرَّ جانٍ أتى من بعده جانٍ
وقال أيضاً منشداً يحيى الغزال^(٦٢٥):

يا راجيا ود الغواني ضلة وفؤاده كلف بهن موكل
إن النساء لنا سروج حقيقة فالسرج سرجك ريشما لاتنزل
فاذا أنزلت فإن غيرك نازل ذاك المكان وفاعل ما تفعل
أو منزل المجتاز أصح غادياً عنه وينزل بعده من ينزل
أو كالشمار مباحة أغصانها تدنو لأول من ير فيأكل
ويقول ابن قزمان^(٦٢٦) أيضاً وقد خبر كل الأذواق الرقيقة في الحب عن المرأة :

النساء كما في علمك الهروب منهم غنيمة
لن نرى الواحد منهم ما بقت في الدنيا قيمة
وسوى تكون في عيني الجديدة والقديمة
والبعيدة والقريبة والسميننة والرقيقة

٦٢٣- هنرى بيرس : الشعر الأندلسي : ص ٣٤٧ .

٦٢٤- المقرئ : نفع الطيب : ج ٣ : ص ٥٠٥ .

٦٢٥- المقرئ : المصدر السابق : ج ٢ : ص ٢٥٩ .

٦٢٦- ابن قزمان : الديوان : زجل رقم ٨٩ وراجع أيضاً هنرى بيرس : نفس المرجع والصفحة .

هذا ولم يكن بين نساء العامة إماء مملوكات إلا نادراً ذلك أن ارتفاع أسعار الجوارى بالنسبة لدخل العامل يجعل هذه الملكية بعيدة المنال. وقد أضفى قلة الجوارى داخل بيوت العامة من الأندلسيين جواً من السعادة فكانت المرأة العامية لا تجد من يشاركها عواطف زوجها ومشاعره (٦٢٧).

ويذكر د. إحسان عباس أن دور المرأة العامية في خدمة المجتمع كان محدوداً فأغفلته الأشعار إلا ما ندر منها (٦٢٨). وإنى لأختلف مع هذا الرأي، فليس معنى إغفال الأشعار لدور المرأة العامية في خدمة مجتمعها أن نهضم حقها فقد كانت المرأة تشارك زوجها الحياة في الوسط الاجتماعي الذي يعيشه وكانت العلاقة بينها وبين الزوج قائمة على نوع من التعاون الذي فرضته الحياة (٦٢٩) فكانت تدير شئون بيتها من تربية الأطفال وتنظيف المسكن وطهي الطعام لأسرتها ولم يكن هذا دور المرأة العامية فقط، فقد عملت في مجالات عديدة، فيذكر ابن بسام أن الشاعر ابن اللبانة كانت أمه امرأة عاملة تستعين على تربية أبنائها ببيع اللبن (٦٣٠). كذلك تذكر كتب الحسبة أن العديد من النساء الأندلسيات كن يشتغلن في غزل الصوف وبيعه في سوق الغزل (٦٣١).

أما المرأة في الفئات الغنية فنجدها ذات مكانة عالية، وكانت نساء الخلفاء أول من حظى بهذه المكانة، فقد كانت فاطمة القرشية (٦٣٢) زوجة الخليفة عبد الرحمن الناصر وأولى نساء

٦٢٧- سعد عثمان : المجتمع الإسلامي في الأندلس : ص ٢٧٤ .

٦٢٨- إحسان عباس وآخرون : دراسات في الأدب الأندلسي : ص ٣٢ : الدار العربية للكتاب ليبيا وتونس : ١٩٧٨ .

٦٢٩- الحشني : قضاء قرطبة : نشر عزت العطار : ص ١٣٩ القاهرة سنة ١٩٥٢ .

٦٣٠- ابن بسام : النخيرة : قسم ٣ : ج ٢ : ص ٦٦٧ .

٦٣١- ابن عبد الرؤوف : رسالة في الحسبة : ص ١١٣ ، الحشني : قضاء قرطبة : ص ٢٥ ، ابن الخطيب : الإحاطة : ج ١ : ص ٣٢٥ .

٦٣٢- هي فاطمة بنت المنذر بن محمد القرشية عاشت في كنف جدّها الأمير عبدالله بعد مهلك والدها ، وتزوجها الخليفة عبد الرحمن الناصر وكان لها من الأبناء المنذر بن عبدالله على اسم جده لأمه، وكان يعرف بابن القرشية، وقد توفيت فاطمة في حياة الناصر، راجع ابن حيان : المقتبس ج ٥ : تحقيق شالميتا : ص ١٣٠٧ .

القصر وكان الخليفة الناصر يفتخر بها لأنها قرشية ، ولأنها من قرابته ، فجعل لها المكان الأول فى الحظوة (٦٣٣) وكانت من الإعجاب بنفسها والزهور لشرفها تفخر على نساء القصر (٦٣٤) فكان يأتين إليها ، ويجلسن إلى جوارها ، إكباراً لها وتعظيمًا لمنزلتها عند الخليفة (٦٣٥).

أما الزلفاء أم عبد الملك المظفر بن أبى عامر فكان لها دور فى سقوط الخلافة فى الأندلس ، فقد قامت ضد أخيه عبد الرحمن شنجول ، بكل الوسائل لخلعه وقتله ظنًا منها أنه اغتال ابنها المظفر ، فداخلت الصقالبة ، وأعطتهم الأموال للإفساد على عبد الرحمن ، والاتصال بالأمويين لاستعادة ملكهم ، حتى كان ذلك على يد محمد بن هشام بن عبد الجبار الأموى الذى قاد الثورة وقتل شنجول وكان على يده إسقاط الخليفة هشام المؤيد ٣٩٩هـ (٦٣٦) .

هذا ولم تكن المرأة الأندلسية منزوية على نفسها فى المجتمع الذى استطاع الإسلام أن يسمه بطابعه فى بعض مظاهره الخارجية دون أن يشكله بعمق (٦٣٧) ، فاستطاعت المرأة رغم كل الضواغط الدينية أن تفلت من بعض الالتزامات الإسلامية مما جعل بعض الذين كتبوا عن تحرير المرأة هناك أرادوا من ذلك خروجها عن الالتزامات الشرعية فوصفت بالتححر فى المغرب (٦٣٨) والأندلس خاصة أكثر من المشرق (٦٣٩) واستدلوا على ذلك بأقوال المؤرخين التى أوردوها للدلالة على هذه الحقيقة التاريخية ولكنهم لم يدركوا أن المرأة الأندلسية التى عاشت فى مجتمع بعيد عن بلاد العرب مهد الرسالة ، تجاورها نساء النصرانية ثمانية قرون قد أوجد لها بعض العذر فى تقصيرها (٦٤٠).

٦٣٣- ابن حيان : المصدر السابق : نفس الجزء : ص ٧ .

٦٣٤- ابن حيان : نفس المصدر والجزء : ص ٨ .

٦٣٥- ابن حيان : نفس المصدر والجزء : ص ١٠ .

٦٣٦- التواتى : مأساة انهيار الوجود العربى فى الأندلس ص ٥٣٨ ، ٥٣٩ .

٦٣٧- هنرى بيبيرس : نفس المرجع : ص ٣٤٧ .

٦٣٨- سامى العانى : دراسات فى الأدب الأندلسى ص ١٠٩ .

٦٣٩- إحسان عباس : تاريخ الأدب الأندلسى : ص ٢٥ .

٦٤٠- سعد عثمان : المجتمع الأندلسى : ص ٢٧٣ .

هذا وقد أثرت الأيام الطويلة مع البعد عن الإسلام فى المرأة الأندلسية ، فظهرت فى العصور المتأخرة ترتدى قبعة مستديرة أشبه بالقلاص ينسدل من تحتها الشعر على الكتفين، وفى نقوش أخرى ظهرت حاسرة الرأس (٦٤١).

يقول ابن الخطيب (٦٤٢) : « وحريرهم ، حريم جميل ، موصوف بالسحر ، وتنعم الجُسوم ، واسترسال الشعور ونقاء الثغور وطيب النشر (*) ، وخفة الحركة ونبيل الكلام وحسن المعاورة ، إلا أن الطول يندر فيهن وقد بلغن فى التفنن فى الزينة لهذا العهد ، والمظاهرة بين المصبغات ، والتنفيس بالذهبيات والديباجيات والتماجُن فى أشكال الحُلَى ، إلى غاية نسأل الله أن يُغضُ عينهن فيها ، عين الدهر ، ويكفكف الخطب ولا يجعل من قبيل الابتلاء والفتنة ».

وثمة وقائع تؤكد ما تمتعت به المرأة الأندلسية من حرية وذلك من خلال أحاسيس الشعراء القوية التى ظهرت فى أشعارهم فالشاعر الرمادى (***) كان يتنزه مجتازاً باب العطارين (٦٤٣) بقرطبة فرأى جارية رائعة الحسن تدعى خلوة أخذت بمجامع قلبه ، وجعل يتبعها يحادثها ولا يدعها تمضى إلا بعد أن حصل منها على وعد بلقاء فى يوم الجمعة التالية (٦٤٤).

٦٤١- محمد عبد العزيز مرزوق : الفنون الزخرفية فى المغرب والأندلس : ص ١١٥ شكل (٦١) ، ص ١١٧ شكل (٦٨) بيروت بدون تاريخ .

٦٤٢- ابن الخطيب : الإحاطة : ج ١ : ص ١٣٩ .

(*) النشر : هو الريح الطيبة .

(**) يوسف بن هارون الرمادى الكندى ، يكنى أبا عمر ، من كبار شعراء الأندلس على أيام المنصور ابن أبى عامر ، توفى ٤١٣ هـ ١٠٢٢ م ، راجع : ابن بشكوال : الصلة : ترجمة رقم ١٤٩١ القاهرة ١٩٦٦ ، ابن سعيد المغربى : المغرب فى حلى المغرب ج ١ : ص ٣٩٢ ، تحقيق شوقى ضيف ، الطبعة الثانية القاهرة سنة ١٩٦٤ م ، ابن حزم : طوق الحمامة : ص ٤٠ : هامش رقم (٣) .

٦٤٣- باب العطارين : أحد أبواب قرطبة السبعة ، ويقع فى الجانب الغربى من المدينة ومنه يبدأ الطريق إلى أشبيلية ، ومن هنا كان يعرف أيضاً باسم باب أشبيلية ، وحوله كانت تقوم تجارة العطور وأدوات الزينة ، فأصبح ملتقى النساء من كل أنحاء المدينة راجع : المغربى : نفع الطيب : ج ٢ : ص ١٣ .

Levi Provencal : L'Espagne musulmane , p. 204 , Paris 1932 .

٦٤٤- ابن حزم : طوق الحمامة : ترجمة الطاهر مكى ص ٤٠ ، ٤١ ، هنرى بيرس : نفس المرجع : ص ٣٤٨ .

وكان شيئاً عادياً أن نرى بين جمهرة الحرفيين والفلاحين من النساء دون خمار وفى أشد الحالات كانت تغطى رأسها بحجاب ووجهها مكشوف . ويذكر المقرئ فى نفعه أنه كان فى أشبيلية منتزه يعرف باسم مرج الفضة أمعن الأمير المعتمد النظر فى امرأة سوف تصبح زوجته الشرعية وتحمل اسم اعتماد^(٦٤٥) وفى جولة أخرى لنفس الأمير فى حى الجباسين والجيارين فى أشبيلية التقى بامرأة ذات جمال مفرط فكشفت وجهها وتكلمت بكلام لا يقتضيه الحياء^(٦٤٦) أما الشاعر ابن السراج المالقى، فكان يوماً يتنزه على نهر مالقة فمر به سرب من الفتيات الملاح فيهن جارية حسناء تأكل الباقلاء، فاعترضها وسألها منه، فدفعته إليه، فقال منشداً^(٦٤٧):

وسرب ملاح مرسى وبصاحبى ونحن على ماء يذكرنا عدنا
ويحملن فولاً عندهن نظيره عوان ولكن نوره عز أن يجبى

لكن المثل الأقوى دلالة على حرية المرأة تقدمه لنا ولادة بنت المستكفى^(*)، فقد انتهزت فرصة موت والدها فى لحظة غير متوقعة خلال الفتنة والاضطراب الذى أدى إلى الفتنة لتعيش حياة متحررة تماماً فأقامت «صالوناً» يجذب إليه أكبر الشخصيات وأعظم الأدباء شهرة، وقد أظهرت بظرفها واحتقارها للحجاب وجرأتها فى الحديث ما يدل على أنها تحررت تماماً فكتبت بالذهب على طرازها الأيمن :

أما والله أصلحُ للمعالي وأمشى مشيتى وأتبهُ تبيها

٦٤٥- المقرئ: نفع الطيب : ج٤ : ص ٢١١ .

٦٤٦- المقرئ : نفس المصدر والجزء : والصفحة .

٦٤٧- هنرى بيرس : نفس المرجع : ص ٣٤٩ .

(*) من أشهر نساء الأندلس وهى بنت المستكفى بالله محمد بن عبد الرحمن ابن عبيد الله بن الناصر وكانت واحدة زمانها ، المشار إليها أو أنها حسنة المحاضرة ، وفيها قال ابن زيدون الوزير والشاعر الأشعار والقصائد : عنها راجع : المقرئ: نفس المصدر ج٤ : ص ٢٠٥ وما بعدها .

٦٤٨- هنرى بيرس : نفس المرجع والصفحة .

وكتبت على الطراز الأيسر (٦٤٩):

وأمكن عاشقى من صحن خدى وأعطى قبلتى من يشتهيها

ومع أن المرأة العادية شاركت زوجها أعباء الحياة والغنية عاشت حياتها على ما تريد من لهو وطرب (٦٥٠) ورغد عيشى، فإن هناك مجموعة من النساء خدمن المجتمع الأندلسى من اللاتى اشتغلن بالعلم والثقافة (٦٥١)، فكان منهن الشاعرة القرطبية المشهورة حسانة التميمية (٦٥٢) أما مزنة كاتبة الخليفة الناصر لدين الله فكانت حاذقة فى الخط (٦٥٣) توفيت سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة. أما لُبَّتَى فكانت كاتبة للخليفة الحكم المستنصر وكانت نحوية شاعرة بصيرة بالحساب عروضية وخطاطة توفيت سنة أربع وسبعين وثلاثمائة (٦٥٤). ومنهن أيضاً فاطمة بنت يحيى بن يوسف المغامى أخت الفقيه يوسف بن يحيى المغامى، كانت خيرة فاضلة توفيت سنة تسع عشر وثلاثمائة (٦٥٥)، وعائشة بنت محمد ابن قادم القرطبية ذكرها ابن حيان وقال: لم يكن فى جزائر الأندلس فى زمانها من يعدلها فهماً وعلماً وأدباً وشعراً وفصاحة وعفة وجزالة وكانت تمدح ملوك زمانها وتخطبهم فيما يعرض لها وقد جمعت لنفسها مكتبة كبيرة ولها غنى وثروة وماتت عذراء لم تنكح قط (٦٥٦)، أما صفية بنت عبدالله الرىي فكانت هى الأخرى أديبة شاعرة موصوفة تحسن الخط (٦٥٧) ومرىم بنت أبى يعقوب الفيصولى

٦٤٩- المقري: نفس المصدر: ج٤: ص ٢٠٥.

٦٥٠- عبد الحليم عويس: ابن حزم الأندلسى وجهوده فى البحث التاريخى والحضارى: دار الاعتصام:

القاهرة: بدون تاريخ: ص ٤٦.

٦٥١- خوليان رابيرا: المكتبات وهواة الكتب فى أسبانيا الإسلامية: ص ٩٣، ٩٤. مقال بمجلة معهد

المخطوطات العربية: مجلة ٥ ج١: سنة ١٩٥٩م.

٦٥٢- جانثالث بالنتيا (أنخل) تاريخ الفكر الأندلسى، ترجمة حسين مؤنس، القاهرة ١٩٥٥: ص ٥٧

غربية غومس (إميليو): الشعر الأندلسى: ترجمة حسين مؤنس، القاهرة سنة ١٩٥٦: ص ٣١.

٦٥٣- ابن بشكوال: الصلة: ص ٦٩٢.

٦٥٤- ابن بشكوال: الصلة فى تاريخ أئمة الأندلس القاهرة سنة ١٩٦٦م: القسم الثانى: ص ٦٩٢.

٦٥٥- ابن بشكوال: نفس المصدر القسم الثانى ص ٦٩١.

٦٥٦- ابن بشكوال: نفس المصدر والقسم ص ٦٩٢، ٦٩٣.

٦٥٧- ابن بشكوال: نفس المصدر والقسم ص ٦٩٣.

الشلبى، كانت أديبة شاعرة جزلة مشهورة ، وكانت تعلم النساء الأدب وتحثهم لدينها وفضلها وعمرت طولاً^(٦٥٨) هذا بالإضافة إلى الشاعرة ولادة بنت المستكفى الشاعرة المعروفة والتي سبق الحديث عنها ومن النساء اللاتي ظهرن فى عصر المرابطين ثم الموحيدين نزّهون القلاعية^(٦٥٩) من أهل غرناطة ومن الشواعر اللاتي ظهرن فى عهد عبد المؤمن بن على الأديبة الشاعرة المربية حفصة بنت الحاج الركونية^(٦٦٠) الغرناطية وقد مدحت الخليفة عبد المؤمن بن على^(٦٦١).

هذا ولم تكن النساء الأندلسيات كلهن سافرات متحركات فقد كان هناك النساء الملتزمات بلبس الحجاب وهذا يدل على أن نساء الأندلس لم يكن فى مستوى واحد فى كل المجتمعات والعصور فكان عدد كبير من النساء الأندلسيات يؤثرن القيم الإسلامية وحتى الجوارى لم يكن كلهن سافرات وإنما كن يتخذن الحجاب والنقاب^(٦٦٢)، وظل الحجاب شائعاً حتى القرن التاسع الهجرى / الخامس عشر الميلادى^(٦٦٣).

أما المرأة الأندلسية ومكانتها من قلب الرجل، فقد احتلت مساحة كبيرة من حياته ويصور لنا الشعر الأندلسى نماذج لاحصر لها من القصائد التى تغنى بها الشعراء فى حب المرأة ولعل

٦٥٨- ابن بشكوال : نفس المصدر والقسم ص ٦٩٤ ، ٦٩٥ .

٦٥٩- نزّهون القلاعية من أهل المائة الخامسة ذكرها الحجارى فى المسهب ووصفها بخفة الروح والانطباع الزائد والحلاوة وحفظ الشعر والمعرفة بضرب الأمثال مع جمال فائق وكان الوزير أبويكر بن سعيد أولع الناس بمحاضرتها ومذاكرتها ومراسلتها: راجع ابن سعيد المغربى: المغرب فى حلى المغرب : ج٢ : ص ١٢١ ، ابن الخطيب : الإحاطة ج١ : ص ٤٢٦ .

٦٦٠- كانت حفصة تشتهر بالجمال والمال وكانت أستاذة بالإضافة إلى شهرتها الأدبية وقد طال عمرها حتى علمت نساء الخليفة يعقوب المنصور حفيد عبد المؤمن ، توفيت بمراكش سنة ٥٨٦هـ، راجع ابن سعيد : المصدر السابق : ج٢ ص ١٣٨ ، ياقوت : معجم الأديباء : ج١ : ص ٣١٩ .

٦٦١- ابن سعيد : المغرب : ج٢ : ص ١٣٨ ، المقربى : نفع الطيب : ج٤ : ص ١٧١ ، ١٧٢ .

٦٦٢- الركايبى: فى الأدب الأندلسى: ص ٤٨ .

٦٦٣- لطفى عبد البديع : الإسلام فى أسبانيا : ص ٩٤ .

من أشهر ما وصل إلينا من هذه النماذج الشعرية كتاب طوق الحمامة للأديب الأندلسي ابن حزم (٦٦٤).

ويروى ابن حزم فى طوق الحمامة أن الشاعر الرمادى أحب الجارية خلوة من أول نظرة وتفزل فيها بأشعاره (٦٦٥) وفى خلوة يقول :

فهذا حماما لأيك يبكى هديله بكائى فليفرغ للوم الجمائم
وما هى إلا فرقة تبعث الأسى إذا نزلت بالناس أو البهائم
خلا ناظرى من نومة بعد «خلوة» متى كان منى النوم ضربة لازم

أما ابن عمار الشاعر (*) فيقدم نصيحة إلى الأمير المعتمد بن عباد وكان عجلا إلى لقاء محبوبته اعتماد يقول (٦٦٦) بعد عودته من إحدى الحملات الحربية :

وقبل خلع نجاد السيف فاسع إلى ذات الوشاح وخذ للحب بالتسار
ضماً ولثماً يُغنى الخلى بينكما كما تاوب أطيبار بأسحار

وعندما خرج المعتمد بن عباد من أشبيلية على رأس حملة حربية فطاف خياله بإحدى نساته، فكتب إليها متشوقاً يقول (٦٦٧) :

فقبلت ما تحت اللثام من اللمسى وعانقت ما فوق الوشاح من العقد

٦٦٤- يصف المستشرق غرسيه غومس كتاب ابن حزم طوق الحمامة بأنه «طاقة زهر أريحة من الأفاصيص ومقطعات الشعر والتحليل النفس الخالقي للحب ، وشعره ينم تارة عن عاطفة حارة مشبوبة وراجع غرسية : الشعر الأندلسي: ص ٤٢ ، ٤٣ ، سالم : قرطبة حاضرة الخلافة : ج ٢ : ص ١٧٦ .

٦٦٥- ابن حزم : طوق الحمامة : ص ٤٢ ، ٤٣ الحميدى: جذوة المقتبس : ص ٣٧١ .

(*) هو محمد عمار بن الحسين بن عمار المهري ذو الوزارتين ، أبو بكر أصله من قرية شلب، ونشأ خاملاً يتتفع بشعره ويطوف على ملوك طوائف عصره .

٦٦٦- ابن الأبار : الحلة السيرة : ج ٢ : ص ١٣٢ .

٦٦٧- هنرى بيرس : نفس المرجع : ص ٣٥٢ .

أما ابن دراج القسطلی (*) فأنشد شعراً يودع زوجته وابنه في المهد حيث يقول (٦٦٨):

ولما تدانت للوداع وقد هفا
بصبري منها أنة وزفيرُ
تناشدني عهد المودّة والهوى
وفي المهد مبغوم النداء صغير
عيبى بمرجوع الخطاب ولفظة
بموقع أهواء النفوس خبيرُ

وإذا كان الشعر قد تغنى حباً في المرأة وجمالها ولوعة المحب من فراق أو هجران محبوبته له فقد جاءت الأمثال الشعبية الأندلسية على النقيض فهي تسيء بها الظن وتوصى بعدم الثقة بها وتنسب إليها الكيد ونكران الخير مهما كثر ومن هذه الأمثال على سبيل المثال ، يقول المثل:

«لاتثق ولو كانت أمك»

«ومن معها تابعة لاتببت شابعة»

«ومن عند ولى عند بلى»

و«تفرع من بق يق ولسن تفرع من فك عنق»

ويقول المثل أيضاً:

«إذا ريت أعجوز أذكر الله وجور»

والمثل أيضاً يقول : «ولا يوم الطين» (٦٦٩)

(*) هو أحمد بن دراج القسطلی وأصل ابن دراج بهري، إذ ينتسب إلى بنى دراج الصنهاجيين الذين دخلوا الأندلس مع طارق بن زياد في سنة ٩٢هـ وقد تداولت أسرته على رئاسة بلدة قسطلة من عمل جيان ، لذلك نسب إليها ، وعلى هذا الأساس فابن دراج يعتبر أندلسياً خالصاً ، فهو لم يشعر قط بعصبية لنسبه الصنهاجى البهري ، راجع محمود على مكى: ديوان ابن دراج القسطلی: دمشق : سنة ١٩٦١ ، ص ٢٢ ، ٢٥ من المقدمة .

٦٦٨- ديوان ابن دراج القسطلی : ص ٢٩٨ .

٦٦٩- محمد بن شريفة: نفس المرجع : ص ٢١ . أمثال رقم (٢٠٢٧) (رقم ١٢٥٣) (رقم ١٢٥٤) ، ومثل

(رقم ٧٠٨) (مثل رقم ٣٧) (ومثل رقم ١٩٥٠) .

أهم الفئات والطوائف الاجتماعية

فى المجتمع الأندلسى

من الطبيعى أن يذخر المجتمع الأندلسى بكثير من الفئات والطوائف الاجتماعية التى لكل منها نشاطها سواء السياسى أو الثقافى أو الاجتماعى أو الاقتصادى. وعلى رأس هذا المجتمع الأمير أو السلطان :

الأمراء :

من الثابت أن الأمراء الأمويين بالأندلس فى عصرهم الأول ١٣٨هـ - ٣١٦هـ ، (٧٥٥م- ٩١٢م) ، لم يعلنوا الخلافة ولم يتخذوا ألقابها منذ قيام دولتهم سنة ١٣٨هـ - ٧٥٥م وحتى ٣١٦هـ - ٩١٢م، رغم أنهم أحفاد خلفاء دمشق- فذكرت المصادر الإسلامية أن عبد الرحمن الأول مؤسس الدولة الأموية بالأندلس ومن جاء بعده من الأمراء لم يتخذوا لقب الخلافة بل (٦٧٠) تحفظ هو وأحفاده فى ذلك واتخذوا لقب أمير أو سلطان أو إمام (٦٧١) كما حرصوا على استعمال لقب ابن الخلائف (٦٧٢) ولكن فى أواخر القرن الثالث الهجرى الميلادى ، تغير هذا المفهوم بعد أن تعددت أشكال الخلافة ، فقامت الخلافة الفاطمية فى بلاد المغرب ٢٩٧هـ / ٩٠٩م (٦٧٣) ، وأصبحت منافساً خطيراً للخلافة الأموية فى الأندلس (٦٧٤) بالإضافة إلى ما

٦٧٠- ابن خلدون : المقدمة : ص ٢١٩ ، المقرئ : نفع الطيب : ج ١ ص ٣٣ يقول المقرئ : وكان يسمى بالأمير وعليه جرى بنوه من بعده ، فلم يدع أحد منهم بأمير المؤمنين تادباً مع الخلافة مقر الإسلام ومنتدى العرب «راجع المقرئ : المصدر السابق : نفس الجزء والصفحة» .

٦٧١- ابن حيان : المقتبس : تحقيق محمود على مكى : ص ١٤٤ ، ١٤٧ ، ١٦٥ ، ابن عذارى : البيان المغرب : ج ٢ : ص ٥٣ ، ص ٥٤ ، ٥٥ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٧٢ ، ٨١ ، ٨٥ ، ١٠١ ، ١٢٦ ، ١٣١ ، ١٣٣ ، ١٤٠ ، ١٤٥ ، ابن الخطيب : أعمال الأعلام ص ٢٠ ، ٢١ ، ٢٣ ، ٢٦ .

٦٧٢- المسعودى : (أبو الحسن على بن الحسن بن على) مروج الذهب ومعادن الجوهر: طبعة مصر ١٣٠٦هـ ص ١٠٠ .

٦٧٣- ابن الأبار : الحلة السيرة : ج ١ ص ١٩٨ ، الحميدى : جنوة المقتبس : ص ١٣ ، ابن سعيد المغربى المغرب فى حلى المغرب : ج ١ ص ١٨٢ .

آلت إليه الخلافة في ذلك الوقت من الضعف والانحلال^(٦٧٥)، فكان طبيعياً أن يتلقب عبد الرحمن الثالث (٣١٦ هـ - ٩٢٨ م) وتلقب بألقاب الخلافة وتسمى بأمر المؤمنين الناصر لدين الله^(٦٧٦)، هذا وقد عرفت الأندلس خلال عصر الدولة الأموية ١٣٨ هـ - ٤٢٢ هـ، ٧٥٥ م - ١٠٢٩ م عدداً كبيراً من الأمراء بالإضافة إلى عدد من الخلفاء الأمويين وكان لكل منهم صفاته التي تميزه .

وأول أمراء بنى أمية بالأندلس عبد الرحمن بن معاوية، بن هشام بن عبد الملك بن مروان ، يكنى أبا المطرف ، وأمه أم ولد اسمها راح ، وكان عبد الرحمن بن معاوية من أهل العلم وعلى سيرة جميلة وله أدب وشعر^(٦٧٧) .

وكان عبد الرحمن يقعد للعامة ويسمع منهم وينظر بنفسه فيما بينهم ويتوصل إليه من أراده من الناس ، فيصل الضعيف منهم إلى رفع ظلامته إليه دون مشقة وكان من عاداته أن يأكل معه أصحابه من إدراك وقت طعامه ومن وافق ذلك من طلاب الحوائج أكل معه^(٦٧٨) وكان الأمير عبد الرحمن محباً للمزاح مستظرفاً له^(٦٧٩)، كما كان الإمام عبد الرحمن فصيحاً بليغاً، حسن التوقيع ، جيد الفصول ، مطبوع الشعر^(٦٨٠) ، أما ابنه الأمير هشام الرضى «فيكنى أبا الوليد واتصلت ولايته سبع أعوام إلى أن مات في صفر سنة ثمانية ومائة وكان حسن السيرة متحيزاً للعدل يعود المرضى ويشهد الجنائز»^(٦٨١) وكان الأمير هشام أبيض

٦٧٥- ابن الأبار : الحلة السراء : ج١ ص١٩٨ ، الضى : ج٢ ص١٥٧ .

٦٧٦- ابن عذارى : نفس المصدر : ج٢ : ص١٥٧ ، ابن أبي دينار القيرواني : المؤنس في تاريخ أفريقيا وتونس ، ص٤٢-٤٣ .

Levi Provençal : una cronica Anonima de Abd al Rahaman III . p. 79 .

٦٧٧- الحميدى : جذوة المقتبس : ص٨ ، ٩ ، ابن الفرضى تاريخ علماء الأندلس : ص٤ .

٦٧٨- المقرئ نفع الطيب : ج١ ص٣٣٢ .

٦٧٩- عن حب الأمير عبد الرحمن الداخل للمزاح راجع قصته مع تكفات البربرية زوجة أبو قررة وانسوس البربرى : المقرئ : نفس المصدر والجزء ص٣٣٣ .

٦٨٠- ابن عذارى : البيان المغرب : ج٢ ص٥٨ ، راجع شعر الأمير عبد الرحمن في هذا من البحث .

٦٨١- الحميدى : نفس المصدر : ص١٠ .

مشرب بحمرة وبعينيه حول ويذكر ابن عذارى أنه « كان فصيح اللسان وحاكماً بالسنة والكتاب » وكان الأمير هشام يبعث إلى الكور قومًا عدولاً يسألون الناس عن سير العمالة (٦٨٢) وكان رحمه الله كما يقول ابن عذارى « كريماً عادلاً ، فاضلاً ، متواضعاً ، عاقلاً لم تعرف منه هفوة فى حدائته ، ولازلة فى أيام صباه من كرمه أنه كان يَصُرُّ أموالاً فى صرر ويخرج بها بين المغرب والعشاء يتفقده المسجد ، فإذا وجد واحداً صلى فى مسجد أو لا يصلى ، وضع بين يديه صرة حتى كثرت عمارة المساجد (٦٨٣) » أما الأمير الحكم ابن هشام فيكنى أبا العاصى وكان طاغياً مسرفاً وله آثار سوء قبيحة وهو الذى أوقع بأهل الرىض فقتلهم وهدم ديارهم ومساجدهم ، وكان الرىض محلة متصلة بقصره فاتهم فى بعض أمره ففعل بهم ذلك ، فسمى الحكم الرىضى لذلك (٦٨٤) ومن شعره قوله (٦٨٥) :

فُضِبَ من البان ماست فوق كَثبان وليين عنى وقد أزمعن هجرانسى
ومن قوله أيضاً :

من لى بمقتضيات الروح من بدنسى يغصبنى فى الهوى عزى وسلطانى

أما الخليفة عبد الرحمن الناصر فقد عرف بالحكم الطويل والملك العظيم والنصر المستديم ، والحضارة الراقية والبناء الكثير كما عرف بالخليفة الحكم المستنصر بالهدوء والعلم والنضج والعدل، أما هشام ابن الحكم فعرف بضعفه السياسى وتغلب رجال دولته عليه وانقطاعه للعبادة فكأنه لم يُخلق للملك والولاية (٦٨٦) وحين قامت الفتنة فى قرطبة تسابق الأمراء

- ٦٨٢- ابن عذارى: نفس المصدر جـ ٢ ص ٦١ وما بعدها وفى وجوده راجع قصة الكنانى مع الأمير هشام : ابن عذارى: نفس المصدر والجزء : ص ٦٧ ، المقرى نفس المصدر : ج ١ ص ٣٣٦ - ٣٣٨ .
- ٦٨٣- ابن عذارى نفس المصدر والجزء ص ٦٦ .
- ٦٨٤- الحميدى: نفس المصدر ص ١٠ ، راجع تفاصيل هيج أهل الرىض، فى ابن عذارى : نفس المصدر ج ٢ ص ٧١-٧٧ ، ابن القوطية تاريخ افتتاح الأندلس: ص ٦٨ ، تحقيق إبراهيم الإيبارى .
- ٦٨٥- المقرى : نفس المصدر ج ١ ص ٣٤٢-٣٤٣ ، ابن عذارى: نفس المصدر والجزء ص ٧٩ .
- ٦٨٦- الحميدى: نفس المصدر : ص ١٢-١٧ ، الضبى : بغية الملتبس ص ١٧-٢١ : «نقل ابن سعيد عن ابن حيان فى المقتبس والحجارى فى المسهب لهُو هشام وغفلته ، وتخلف عقله كثيراً مما يشر غرابة فى سيطرة المنصور بن أبى عامر عليه وأخذ الحكم من يده» راجع ابن سعيد : المغرب : ج ١ : ص ١٩٣-١٩٦ ، كذلك راجع ابن بسام : الذخيرة القسم الرابع المجلد الأول : ص ٨٣ .

الأمويون إلى كرسى الخلافة وتقاتلوا من أجلها كل يريد أن يرضى نفسه بما حرم منه (٦٨٧) إلا أن الوقت قد فات بانحلال عقد الدولة وتفرق رجالها .

أما الأمراء فهم أعمام الخليفة وأعمام أبيه وإخوته وأبناؤه وأحفاده، وقد عاشوا فى ظل الدولة الأموية منعمين فى قصور خاصة وكانوا يعرفون بالشرفاء (٦٨٨) ولم يكن لهم دور سياسى أو حضارى ولم تحدثنا المصادر عن تولى أحد منهم الولاية أو الوزارة ، بل اكتفى كل من ابن حيان (٦٨٩) وابن عذارى (٦٩٠) بذكر أسمائهم والإشارة إلى حضورهم فى المناسبات إلى جوار الخليفة (٦٩١) ومع هذا فلا يوجد ما يبرر إجماع الخلفاء عن الاستعانة بالأمراء فى أعمال الدولة وإسناد مناصب هامة إليهم ، بل عطلوهم واكتفوا بالجرابات عليهم وتفقد أموالهم (٦٩٢) .

والأمراء هم أول من تؤخذ منهم البيعة وبشاركون الخليفة أفراحه فى المناسبات واستقبال الوفود فيكونون أول الجالسين فى مجلسه وأقرب الصفوف إليه (٦٩٣) ، هذا وقد انشغل الأمراء بحياتهم الخاصة ، أما من ولى العهد منهم ارتفعت مكانته وقرب الخليفة إليه وعرف فى الغالب باسم الولد (٦٩٤) هذا ولم تذكر لنا المصادر- الوظائف أو المناصب التى أسندت إلى

٦٨٧- يؤكد هذا ما ذكره القرماني: عن أحد خلفاء الفتنة والذي قال له أهل قرطبة نخشى عليك أن تقتل فإن السعادة قد ولت عنكم يا بنى أمية ، فقال : «بايعونى اليوم واقتلونى غداً . أنظر القرماني : (أحمد بن يوسف) أخبار الدول وآثار الأول: مخطوط مكتبة البلدية بالإسكندرية تحت رقم ٥٤١ ورقة رقم ٧٢ .

٦٨٨- ابن سعيد : المغرب فى حلى المغرب : ج١ ص ١٨٧ .

٦٨٩- ابن حيان المقتبس : تحقيق الحجى : ص ٢٨ ، ٢٩ ، ٥٩ ، ١٠٩ ، ١٣٦ .

٦٩٠- ابن عذارى : البيان المغرب : ج٢ ص ١٥٨ ، ٢٤٩ ، ٢٥٤ .

٦٩١- سعد عثمان : المجتمع الإسلامى : ص ١١٩ .

٦٩٢- ابن حيان : المقتبس : تحقيق الحجى : ص ٩٢ ، سعد عثمان : نفس المرجع : ص ١٢٠ .

٦٩٣- ابن حيان : المقتبس : نفس الصفحات ، ابن عذارى : البيان : ج٢ نفس الصفحات ، المقرئ :

أزهار الرياض فى أخبار القاضى عياض ، تحقيق مصطفى السقا وآخرون : القاهرة ١٩٤٠ : ج٢ ص ٢٥٩ .

٦٩٤- الولد مصطلح أندلسى لا يطلق إلا على الأفراد وكثيراً ما يختص به ولى العهد . راجع ابن الأبار :

الحلة السيرة ج١ : ص ٢٠١ .

الأمراء (٦٩٥) وإنما بينت اهتمامهم بالشعر واللهو والترف (٦٩٦)، ومن هؤلاء الأمرء عبد الملك بن بشر بن مروان بن الحكم (٦٩٧) يقول فى مقتل أبيه (٦٩٨):

لست أنسى مصرعاً من والدِ سيد ضخم وعم مفتقد
غارته الخيل فى معترك بين عم وأب ذاك وجد

أما الأمير عبدالله بن عبد الرحمن الناصر ، أبو محمد فمن شعره (٦٩٩) :

أما فؤادى فكاتم ألمه لو لم يبح ناظرى بما كتمه
ما أوضح فى ملاحظ من يهوى ، وإن كان كائناً سقمه

أما الأمير مروان بن عبد الرحمن بن مروان بن عبد الرحمن الناصر، أبو عبد الملك (٧٠٠)،

٦٩٥- كان الأمرء الأمويون ثم الخلفاء فى الأندلس لا يرغبون فى مشاركة أقرانهم لهم فى الحكم لعدم صلاح النية فى المشاركة ، فنجد الأمير عبدالله (٢٧٥هـ - ٣٣٠هـ) قتل ابنه حمد بإيعاز من المطرف ثم قتل المطرف لشكه فى تدبير ثورة ضده، كذلك قتل الأمير عبد الرحمن الناصر الأمير العاصى بن الإمام عبدالله ومحمد بن عبد الجبار بن الإمام محمد إذ شهد كل واحد منهما على صاحبه بظالمة الخلالة ونقض البيعة أما هشام المؤيد فقد قُتل عمه المغيرة فى عهده حين خاف رجال القصر من توليه للحكم ، راجع : ابن خلدون : العبر : ج٤ : ص ١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٤٣ ، ١٤٧ . ابن عذارى : البيان المغرب ج٢ : ص ١٥٠ وما بعدها ، ص ١٨١ ، ١٨٢ .

٦٩٦- ابن الأبار: الحلة السيرة : ص ٢٠٦-٢٢٥ ، ابن سعيد : المغرب فى حلى المغرب : ج١ ص ١٨٧ ، ١٩٢ .

٦٩٧- كان أبوه بشر من أمرء الأمويين ، فقتله أبو جعفر المنصور ونجا عبد الملك هذا ففر إلى المغرب وقصد الأندلس ، ودخلها فى صدر أيام الأمير عبد الرحمن ابن معاوية ، مع ابن عمه جزى بن عبد عمر بن عبد العزيز ولكن جواره بقرطبة ويعرف بالبشرى راجع ابن الأبار : المصدر السابق : ج١ : ص ٥٨ .

٦٩٨- قتله أبوه عبد الرحمن لمنافسة أخيه الحكم ولوى عهده وكان من نجباء أولاد الخلفاء، محباً فى العلم والعلماء وله تواليف تدل على علمه وفهمه . راجع ابن الأبار : نفس المصدر ، ج١ ص ٢٠٦ .

٦٩٩- ابن الأبار : نفس المصدر والجزء والصفحة .

٧٠٠- يعرف بالطليق ، وقيل له ذلك لأنه سجن فى أيام المنصور محمد بن أبى عامر مدة طويلة ثم أطلق بعد ذلك فسمى «الطليق» .

وكان - فما- قبل يهوى جارية رباها أبوه معه وذكرها له سيف، وانتهاز فرصة فى بعض خلوات أبيه معها فقتله فسجن وهو ابن ستة عشرة سنة ، راجع ابن الأبار : نفس المصدر ج١ ص ٢٢١ .

فكان أديباً شاعراً مكثراً عرف باسم الطليق ومن شعره فى معتقله (٧٠١):

ألا إن دهرًا هادمًا كل ما نبسى سيبلى كما يبلى ، ويغنى كما يغنى
وما الفوز فى الدنيا هو الفوز ، وإنما يفوز الفتى بالريح فيها مع الغبن

هذا وقد شغف ملوك الطوائف بالشعر أكثر من تذوقهم الحقيقى له، وكان المظفر صاحب بظليوس لا يرضى بشعراء دون المتنبى والمعرى مكانة (٧٠٢).

وقد أحاط الأمراء أنفسهم بالشعراء يدحونهم فيجدلون لهم العطاء من ذلك يقول ابن زيدون وهو يتغنى (٧٠٣) بانتصارات بنى جهور على بنى زكوان وبنى حذام :

هم الملوك ملوك الأرض دونهم كمثل بيض الليالى دونها الدرع
مهذب أخلفته أوليته كالسيف باغ فى أخلاصه الصنع

وحين لا ينال الشعراء ما كانوا يتوقعون فى مديحهم للأمراء فكانوا يتجرأون ويهاجمون أمراءهم ، فقد جرؤ عبد الجليل بن وهبون أن يقول عن المعتمد ابن عباد قوله (٧٠٤):

قل الوفاء فما تلقاه فى أحد ولا يمر لمخلوق على بال
وصار عندهم عنقاء مغربة أو مثل ما حدثوا عن ألف مثقال
كذلك وجه أبو مروان بن الغصن الهجاء اللاذع إلى المأمون أمير طليطلة قائلاً (٧٠٥):

٧٠١- ابن الأبار : نفس المصدر والجزء والصفحة .

٧٠٢- ابن الخطيب : أعمال الأعلام : ص ١٨٣-١٨٤ ، المقرئ : نفع الطيب : ج ١ : ص ٦٤٣ ، راجع هنرى بيرس : ص ٦٢ .

٧٠٣- ابن زيدون : الديوان : ص ٩٣ .

٧٠٤- هنرى بيرس : الشعر الأندلسى ص ٣٨٧ كان الشعراء يتجرأون على الأمراء وكبار القواد بالهجاء دون أن يخشوا شيئاً فقد وصف إبراهيم بن إدريس الحسنى فى أبيات له المنصور ابن أبى عامر بالأحذب والقرد الأشهب كما وصفه بأنه ثعلب ماكر .

راجع ابن الأبار : الحلة السيرة : ج ١ ص ٢٢٧ ، ابن عذارى : البيان المغرب : ج ١ : ص ٢٨١ .

٧٠٥- المقرئ : نفع الطيب : ج ٣ : ص ٣٦٣ .

تلقبت بالمأمون ظلماً وإننى لأمن كلباً حيث لست مؤمنه
حرام عليه أن يجود ببشره وأما الندى فأندب هنالك مدفنه
سطور المخازى دون أبواب قصره بحجابه به للقاصدين معنونه

وكان الأمراء يحبون أن ينافقهم الناس وكان المنصور بن أبى عامر قد سأل الشاعر المشهور ابن عمر يوسف الرمادى : كيف حالك معى؟ فقال: فوق قدرى ودون قدرك ، فأطرق المنصور كالغضبان ، فأنسل الرمادى وخرج وقد ندم على ما بدر منه ، وجعل يقول أخطأت ، لا والله ما يفلح مع الملوك من يعاملهم بالحق ، ما كان ضرئى لو قلت له : إنى بلغت السماء ، وتمنطقت بالجوزاء ، وأنشدته :

متى يأت هذا الموت لا يلفُ حاجة لنفس إلا قد قضيت قضاها

وقد كانت هذه القصة فرصة للحاسدين أن يوقعوا بين الرجلين (٧٠٦).

وإذا كان الشعر الأندلسى قد تناول مدح الخلفاء والأمراء ووصل الشعراء إلى مكانة عالية لدى الأمراء فما كان موقف العامة من أهل الأندلس من ملوكهم ، لقد صورت الأمثال الشعبية الأندلسية صلة الأمير بالرعية أنها صلة تقوم على أن سعادة الأمير تكون على حساب شقاء الرعية يقول المثل الشعبى الأندلسى .

«إذا سمعت الأمير يغنى أدر أن همومى تبكى» (٧٠٧) كما تذكر بعض الأمثال أن سياسة الرعية لا تستقيم إلا بالشدة : يقول المثل :

«السياط للسيف سلامة» (٧٠٨).

كذلك حذرت الأمثال الشعبية من معرفة السلطان ومخالطته يقول المثل «السلطان من لا يعرفه السلطان» (٧٠٩) وجاءت بعض الأمثال الأخرى عكس المثل السابق فهى تشجع على

٧٠٦- المقرى : المصدر السابق : ج٣ : ص٣٦٤ - ٣٦٥ .

٧٠٧- محمد بن شريفة : نفس المرجع : ص١٩٢ (مثل رقم ٣٢) .

٧٠٨- محمد بن شريفة : نفس المرجع : ص١٩٢ (ابن عاصم مثل رقم ١٧٨) .

٧٠٩- محمد بن شريفة : نفس المرجع : ص١٩٣ (مثل رقم ٣٨٥) .

التقرب من السلطان والسير فى ركابه يقول المثل «الكبار ولو كانت حصارم» (٧١٠).

هذا وقد عرفت العامة فى الأندلس بروح الثورة والانتقاد يقول ابن سعيد متحدثاً عن أهل قرطبة (٧١١) «ألا أن عامتها أكثر فضولاً ، وأشدهم تشنيعاً وتشغيباً ويضرب بهم المثل ما بين أهل الأندلس فى القيام على الملوك والتشنيع على الولاة وقلة الرضى بأمرهم ، حتى إن السيد أبا يحيى بن أبى يعقوب بن عبد المؤمن لما انفصل عن ولايتها قيل له : كيف وجدت أهل قرطبة ؟ قال مثل الجمل إن خفت عنه الحمل صاح ، وإن أثقلته به صاح ، ما ندرى أين رضاهم فنقصده ، ولا أين سخطهم فنتجنبه ، وسلط الله عليهم حجاج الفتنة حتى كان عامتها شراً من عامة العراق ، وأن العزل عنها لما قاسيت من أهلها عندى ولاية ، وإنى أن كلفت العود إليها لقائل : لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين».

كذلك وصف ابن الخطيب الأندلسيين بشموخ الأنوف وقلة الاحتمال لثقل الطاعة فهم يأنفون الخضوع والإذعان (٧١٢).

وكان عامة الأندلس يلقبون ملوكهم بالألقاب فقد لقبوا الأمير عبد الرحمن بن الحكم (الأوسط) بأبى الغرائيق يقول المثل «أيام أبو الغرائيق» (٧١٣).

أما المهدي بن عبد الجبار فلقبوه بالمنقش يقول ابن عذارى (٧١٤) «ولقبته العامة المنقش لهشاشته وطيشه وخفته وهو كان باب الفتنة وسبب الشقاق والنفاق».

وكان المهدي مشتهراً بالفسق مظهراً للخلاعة حتى قال بعضهم عنه (٧١٥):

أشأم خلق على العباد والناس من حاضر وباد

٧١٠- محمد بن شريف : نفس المرجع : ص ١٩٣ (مثل رقم ١٥١) .

٧١١- المقرئ : نفع الطيب : ج ١ ص ٤٦٢ .

٧١٢- ابن الخطيب : أعمال الأعلام : ص ٤١ .

٧١٣- محمد بن شريفة : نفس المرجع : ص ١٩٤ مثل رقم ٣٢٦ .

٧١٤- ابن عذارى : نفس المصدر : ج ٣ : ص ٥٠ .

٧١٥- ابن عذارى : نفس المصدر : ج ٣ : ص ٨٠ .

أبو الوليد الذي اقشعرت لنحسه شعره البلاد
 كان على قومه جميعاً مزار عاد لقوم عاد
 كما لقبوا المنصور بن أبي عامر بالأحذب^(٧١٦) يقول المثل^(٧١٧) «أرم أحذب تجد أحذب». ويقولون أيضاً^(٧١٨) :

«إذا رأيت أحذب يصلب زيد شداً»

يقول^(٧١٩) إبراهيم بن إدريس الحسنى فى أبيات يصف فيها المنصور بن أبى عامر بالأحذب ويعيب عليه تغلبه على هشام المؤيد واستبداده بالأمر دونه:

فيما أرى عجب لمن يتعجب جلت مصيبتنا وضاق المذهب
 إنى لأكذب مقلتى فيما أرى حتى أقول غلظت فيما أحسب
 أيكون حيا من أمية واحد ويسوس ضخم الملك هذا الأحذب
 تمشى عساكرهم حوالى هودج أعواده فيهن قرد أشهب

ويذكر ابن سعيد إن إظهار الهيبة كان من قواعد الحكم فى عهد أموى الأندلس، فقال^(٧٢٠) «وكان خلفاء بنى أمية يظهرون للناس فى الأحيان على أبهة الخلافة وقانون لهم فى ذلك معروف إلى إن كانت الفتنة، فازدرت العيون ذلك الناموس واستخفت به» .

وتأكيداً لقول ابن سعيد يشير المثل الأندلسى إلى الباب السلطانى وحجابه فيقولون^(٧٢١) «جلوس القطم لباب جهنم» أما فى عصر ملوك الطوائف فقد تغيرت الأحوال يقول ابن سعيد^(٧٢٢)

٧١٦- راجع ص ١٦٧ من البحث هامش رقم ٧٠٤ .

٧١٧- محمد بن شريفة : نفس المرجع : ص ١٩٥ (مثل ابن عاصم رقم ٢٥٢) .

٧١٨- محمد بن شريفة : نفس المرجع والصفحة (مثل ابن عاصم رقم ٤٣) .

٧١٩- ابن الأبار : الحلة السبراء : ج ١ ص ٢٢٧ ، ابن عذارى : البيان المغرب : ج ٣ ص ٢٨١ .

٧٢٠- المقرئ : نفع الطيب : ج ١ ص ٢١٤ .

٧٢١- محمد بن شريفة : نفس المرجع ص ١٩٢ (مثل رقم ٧٨٧) .

٧٢٢- المقرئ : نفس المصدر والجزء ص ٢١٥ .

«ولما جاء ملوك الطوائف صاروا يتبسطون للخاصة وكثير من العامة ، ويظهرون مداراة الجند وعوام البلاد وكان أكثرهم يحاضر العلماء والأدباء ويحب أن يشهر عنه ذلك عند مجيئه في الرياسة».

وقال أيضاً في ابن هود الثائر على الموحدين : «وكان مع العامة كأنه صاحب شعوذة ، يمشى في الأسواق ويضحك في وجوههم ويبادرهم بالسؤال وجاء للناس منه ما لم يعتادوه من سلطان» (٧٢٣) وإذا كان الأمويون قد أبعدوا الأمراء عن شئون الحكم والسياسة فجاء المرابطون والموحدون على عكس ذلك تماماً ، يقول ابن خلدون «ثم اقتسم - أي يوسف ابن تاشفين - المغرب عمالات على بنيه وأمراء قومه وذويه» (٧٢٤).

فكان ينوب في أغلب الأحيان عن أمير المسلمين في الأندلس أمير من الأسرة المالكة أو من لتونة عام ، فقد تولى حكم غرناطة من الأسرة الحاكمة ، تميم بن يوسف بن تاشفين وتاشفين بن علي بن يوسف وسير بن الحاج (٧٢٥) وعبدالله بن مزدلي (٧٢٦).

واتبع الموحدون نفس السياسة حيث استأثر بنو عبد المؤمن بالخلافة وشغل بعض أفراد الأسرة منصب الوزارة (٧٢٧).

ومع اتساع رقعة الدولة المرابطية والموحدية وزيادة مواردها بدأ الأمراء والسادة ينفقون عن سعة إذا تغلبت الحياة الأندلسية بمتعتها وبهجتها ومسراتها ، ولم يكن من الممكن أن يقاوم المرابطون هذه المتع طويلاً ، فقد عاشوا في ظلها وأنغمسوا في حياتها واضطروا أن يعيشوا في الأندلس ، فكانوا يحيون حياة لا تختلف عن الحياة التي كان ملوك الطوائف (٧٢٨) يحيونها

٧٢٣- المقرئ : نفس المصدر والجزء والصفحة .

٧٢٤- ابن خلدون : العبر : ج٦ ص ١٨٥ .

٧٢٥- مجهول : نبذة تاريخية في أخبار البربر : ص ٨٢ ، ابن عذارى : البيان المغرب: ج٤ ، ص ٤٨ ،

٤٩ .

٧٢٦- ابن عذارى : نفس المصدر : ج٤ ص ٥٦ .

٧٢٧- حسن علي : الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس : ص ٣٣ ، «اتخذ عبد المؤمن بن علي ابنه

عمر وزيراً له» راجع المراكشي : المعجب في تلخيص أخبار المغرب: ص ٢٦٧ .

٧٢٨- حسن أحمد محمود : قيام دولة المرابطين : ص ٤٢١-٤٢٢ .

وفى العصر الموحدى نجد السادة الموحدين يحيون حياة اللهو والترف فيها هو السيد أبو سعيد عثمان بن عبد المؤمن صاحب غرناطة يحيى حياة الترف واللهو^(٧٢٩)، فقد تنافس مع أبى جعفر ابن سعيد من أمراء قلعة يحصب فى غرناطة على حب الشاعرة الغرناطية حفصة الركونية^(٧٣٠) هذا وكانت حوادث القصور والأمراء يهتز لها الناس ويشغلون بها كما يدل على ذلك المثلان الآتيان يقول المثل^(٧٣١) : « صفا زيت الفقراء فى ذكر الأمراء » ، ويقولون أيضاً « حمى القصر ترعد الطواجن فى الفرن ».

وإذا أعطى السلطان شيئاً فإنه يسترده أضعافاً مضاعفة يقول المثل^(٧٣٢) : « من أكل بيض الملوك » ويقول المثل الأندلسى^(٧٣٣) أيضاً : « بنت السلطان لاتعرف معنى الجوع » وهو يعبر عن حياة القصور وما فيها من نعم وترف وعدم إحساس الحكام بمعاناة العامة من الفقراء. هذا وقد عانى أمراء الأندلس من كثرة الثورات والفتن حتى قال أحدهم^(٧٣٤) « لا إله إلا الله نغص علينا كل شئ حتى الموت » ونجد صدى هذا فى أمثالهم إذ يقولون^(٧٣٥) « من ملك هلك » .

كذلك قالوا^(٧٣٦) فيمن يذهب عنهم الملك السلطان « ولد ملوكى أن ضايح، صفا وبقت الطبايع ».

٧٢٩-المقرئ: نفع الطيب : ج٢ : ص٣٨٥ .

٧٣٠-المقرئ: نفس المصدر : ج٤ : ص١٧٣ ، ابن سعيد : المغرب فى حلى المغرب : ج١ :

ص١٣٨-١٣٩ ، ابن الخطيب : الإحاطة ج١ : ص٢١٤-٢١٨ .

٧٣١-محمد بن شريفة : نفس المرجع : ص١٩٣ (مثل رقم ١٥٩٦) و(مثل رقم ٨٥٢) .

٧٣٢-محمد بن شريفة : نفس المرجع والصفحة (مثل رقم ١٤٢٩) .

٧٣٣-محمد بن شريفة : نفس المرجع : ص١٩٤ .

٧٣٣-ابن بسام : الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة : ج١ ص٢ ، ص٢٤٠ .

٧٣٥-محمد بن شريفة : نفس المرجع ص١٩٤ (مثل رقم ١٤٦٠) .

٧٣٦-محمد بن شريفة : نفس المرجع : ص١٩٦ : (١٩٤٥) .

الكتاب :

وصف ابن سعيد نظرة أهل الأندلس إلى كاتب الرسائل في ديوان السلطان بقوله (٧٣٧) «وأهل الأندلس كثيرو الانتقاد على صاحب هذه السمة لا يكادون يغفلون عن عثراته لحظة، فإن كان ناقصاً عن درجات الكمال لم ينفعه جاهه ولا مكانه من سلطانه من تسلط الألسن في المحافل والطنن عليه وعلى صاحبه»، فقد كانت سمعة الدولة نفسها ترتبط بما تتصف بها مكاتباتها الرسمية من فن أدبي، حتى أن هذه الدقة في اتباع قواعد اللغة صارت أول ما يطلب من مؤهلات عند من يتطلعون إلى مثل ذلك المنصب، فكان الوزير أبو عمر بن حزم يقول (٧٣٨) «إنى لأعجب ممن يلحن في مخاطبته أو يجيء بلفظة قلقة في مكاتبته لأنه لا ينبغي له إذا شك في شيء إلا أن يتركه، ويطلب غيره فالكلام أوسع من هذا» فزلة قدم واحدة في رسالة من رسائل الدولة أو مرسوم من مراسيمها تنقص من قدرة الخلافة الأندلسية، فقد كان رئيس المكاتب الرئيسية للخليفة في قرطبة شخصية مرموقة (٧٣٩) وكان يختار من أرفع طبقات الناس وأهل المروءة والحشمة المتخلفين بالفضائل المتبحرين في العلم والواقفين على البلاغة وأسرارها (٧٤٠) والكاتب من أكبر أعوان الخليفة وأمين سره، والكتابة كما يقول ابن سعيد (٧٤١) «الكتابة على درين أعلاهما كاتب الرسائل وهو كاتب أديب يتولى الكتابة الرسمية وغيرها وله حظ في القلوب والعيون عند أهل الأندلس» وأشرف أسمائه، أما الكاتب الآخر فهو كاتب الزمام (٧٤٢). هذا وقد تعدت أنواع الكتابة فحتمها: كاتب الجند، وكاتب الشرطة وكاتب القاضى (٧٤٣):

٧٣٧- المقرئ : نفع الطيب : ج١ ص ٢١٧ .

٧٣٨- الضبي : بغية الملتبس : ص ١٨٢ ، الحميدى : جذوة المقتبس : ص ١٢٦ .

٧٣٩- هشام سليم عبد الرحمن أبو ربيعة : نظم الحكم في الأندلس في عصر الخلافة : رسالة ماجستير : آداب القاهرة : ١٩٧٥ غير منشورة : ص ١٦٢ .

٧٤٠- نفس المرجع والصفحة .

٧٤١- المقرئ : نفع الطيب : ج١ : ص ٢١٧ .

٧٤٢- راجع عن هذه الوظيفة : شكيب أرسلان : الحلل السندسية في الآثار والأخبار الأندلسية : بيروت بدون تاريخ : ج١ : ص ٢٥٢ .

٧٤٣- حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسي : ج١ : ص ٤٤٢ .

وكان الأمير عبد الرحمن الثاني (الأوسط) أول من اتخذ كاتباً خاصاً له (٧٤٤) وسار الأمراء والخلفاء من بعده على هذا النظام حتى سقوط الخلافة (٧٤٥) وكان يطلق على الكاتب اسم صاحب (٧٤٦) الإنشاء ومن أشهر كتّاب عصر الخلافة الكاتب عبدالله بن محمد الزجالى وكان يلى خطة الكتابة منذ أيام الأمير عبدالله فأبقاه الخليفة عبد الرحمن الناصر على نفس الخطة (٧٤٧). وإسماعيل بن بدر وكان كاتباً خاصاً للخليفة عبد الرحمن الناصر (٧٤٨) وعبد الملك بن جهور (٧٤٩).

هذا وقد تولى هذا المنصب أيضاً بعض النساء أشهرهن مزنة كاتبة الخليفة عبد الرحمن الناصر، فقد كانت أديبة حسنة الخط توفيت ٣٥٨هـ / ٩٦٩م (٧٥٠) كذلك لبنى كاتبة الخليفة الحكم المستنصر، فقد كانت هى الأخرى حاذقة فى الكتابة، نحوية شاعرة، بصيرة بالحساب، عروضية حسنة الخط جداً توفيت ٣٧٤هـ / ٩٨٤م (٧٥١). هذا وقد حفل النصف الثانى من القرن الرابع الهجرى بعدد من الكتاب البلغاء ومن أشهرهم الحاجب جعفر المصحفى، فقد كان أديباً شاعراً وكان مقدماً فى صناعة الكتابة وهو القائل فى رثاء الخليفة عبد الرحمن الناصر (٧٥٢) :

ألا أن أياماً هفت بإمامها لجائرة مشتبطة باحتكامها
تأمل: فهل من طالع غير أفل بهن وهل من قاعد لقيامها

٧٤٤- ابن حيان : المتقبس : تحقيق محمود على مكى : ص ١٧٣ .

٧٤٥- نفس المصدر والصفحة .

٧٤٦- ابن سعيد : المغرب فى حلى المغرب : ج ١ : ص ٢٠٤ .

٧٤٧- بن عذارى: البيان المغرب : ج ٢ : ص ١٥٨ .

٧٤٨- « هو أحد موالى الأمويين وكان من الشعراء وقد توفى فى أول ولاية الحكم المستنصر » راجع ابن

الفرضى: تاريخ علماء الأندلس: ص ٦٦ ، ابن عذارى : نفس المصدر : ج ٢ : ص ١٥٩ .

٧٤٩- عبد الملك بن جهور : وزير جليل وأديب شاعر وكاتب روى عنه أشعار كثيرة (الضبى : بغية

الملتبس) ص ٣٧٦ ، ابن عذارى : نفس المصدر : ج ٢ ص ١٥٨ .

٧٥٠- ابن شكوال : الصلة : ج ٢ : ص ٦٥٣ ، الضبى : بغية الملتبس ص ٥٣٠ .

٧٥١- ابن بشكوال نفس المصدر والجزء والصفحة ، والضبى : نفس المصدر : ص ٥٣١ .

٧٥٢- ابن الأبار : الحلة السيرة : ج ١ : ص ٢٦٤ .

وله فى نكته :

تأملت صرف الحادثات فلم أزل أراها توافى عند مقصدها الحرا
فأله أيام مضت لسبيلها فإنى لا أنس لها أبداً ذكرا

وله يستعطف المنصور ابن أبى عامر من سجنه

هبنى أسأت فأين العفو والكرم إذ قادنى نحوك إلا عانُ والندم (٧٥٣)

أما كتاب الدولة العامرية فكاتبهم عيسى بن سعيد المعروف بـ (ابن القطاع) فكان قيم دولة بنى عامر وحامل لوائها (٧٥٤) ، أما الكاتب عبد الملك بن إدريس الجزيرى ، فكان غاية فى البيان والخطابة ، عتب عليه المنصور ابن أبى عامر فعزله وسجنه ، ولكنه عفا عنه حين استعطفه ، فأعيد ولم يزل يتولى ديوان الرسائل إلى أن هلك المنصور (٧٥٥) . لكنه قتل فى عهد ابنه المظفر ٣٩٤هـ (٧٥٦) ومن شعره بعد عفو المنصور عنه يقول (٧٥٧) :

عجبت من عفو أبى عامر لا بد أن تتبعه سننة

كذلك الله إذا ما عفا عن عبده أدخله الجنة

هذا وقد استخدم المرابطون والموحدون الكتاب الأندلسيين وقربوهم إليهم ونبغ منهم فى تلك الفترة الكاتب والشاعر على بن عبد العزيز بن الأمام الأنصارى ، سرقسطى الأصل سكن غرناطة وعاش بها وكان من أهل البلاغة والفصاحة وزر للأمير أبى طاهر ثم ابنه يوسف أيام ولايته لغرناطة ثم كتب من بعده لأخيه الأمير على بن يوسف (٧٥٨) أما أبو بكر بن قزمان أمير

٧٥٣- ابن الأبار : نفس المصدر : والجزء : ص٢٦٤- ص٢٦٥ ابن بسام : الذخيرة : قسم ٤ مجلد ١ :

ص ٥١ .

٧٥٤- ابن الخطيب : أعمال الأعلام : ص ٧٥ .

٧٥٥- ابن الأبار : الحلة السيرة : ج ١ : ص ١٩٣- ص ١٩٤ .

٧٥٦- ابن بسام : الذخيرة : قسم ٤ مجلد ١ : ص ٣١ - ص ٣٢ .

٧٥٧- ابن بسام : المصدر السابق : نفس الجزء : ص ٣٢ .

٧٥٨- ابن سعيد : المغرب : ج ١ : ص ١١٨- ص ١١٩ .

زجل الأندلس^(٧٥٩) فقد خدم فى شبابه المتوكل ابن الأفتس صاحب بطليوس ونال لديه حظوة فلما انتهت دولتهم عاد إلى قرطبة وتردد بينها وبين غرناطة توفى ٥٥٥هـ / ١١٦٠م^(٧٦٠) هذا وقد حوت الأمثال الشعبية الأندلسية أمثالاً أطلقتها عامة الأندلس على من يرتقى هذه الوظيفة يقول المثل^(٧٦١):

«الكاتب المنحوس يلقى الرق من عند»

«بقية خليع أخير من بقية كاتب»

القضاء والفقهاء:

كانت للقضاء أهمية خاصة فى الأندلس ، وربما لم يبلغ فى بلد من بلاد الإسلام ما بلغه القضاء فى الأندلس من علو المكانة ووفرة السلطان، بعد الجاه ، وخطة القضاء فى الأندلس أعظم الخطط عند الخاصة والعامة ، لتعلقها بأمور الدين، واحترام الناس - حتى الخلفاء - لمن تقلدها^(٧٦٢).

وكان يشترط أن يتمتع القاضى ببصيرة نافذة ، وأن يكون ذا شخصية قوية حتى يتمكن من فرض احترامه على عامة الناس وخاصتهم وأن يكون محترماً من قبل الخليفة^(٧٦٣)

٧٥٩- «يقول عنه ابن سعيد أنه كان فى أول شأنه مشتغلاً بالنظم العرب، فرأى نفسه تقصر عن أفراد عصره، كاهن خفاجة وغيره فعمد إلى طريقة لا يضارعه فيها أحد منهم فصار إمام أهل الزجل المنظوم بكلام عامة الأندلس» راجع ابن سعيد : المغرب : ج٢ : ص ١٠٠ ، ١٦٧ ، أنظر : الأهوانى : الزجل فى الأندلس : ص ٦٦ .

٧٦٠- ابن سعيد : نفس المصدر والجزء والصفحات ، الأهوانى : نفس المرجع والصفحة .

٧٦١- محمد بن شريفة : نفس المرجع : ص ١٩٧ (مثل رقم ٣٠٣ ، ٥٧٥) .

٧٦٢- المقرئ : نفس المصدر : ج١ : ص ٢١٧ ، ٢١٨ .

٧٦٣- أشادت المصادر يمثل هذه الصفات حين تعرضت لسير بعض الفقهاء أنظر : البناهى : (أبو الحسن عبدالله بن الحسن) قضاة الأندلس المعروف بالمرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا: تحقيق ليفى بروفنسال سنة ١٩٣٧ ص ٥٣ ، ٥٩ ، ٧٧ ، ٨٨ .

لأن واجبه حماية الضعيف من القوى وإعطاء كل ذي حق حقه ، كما يجب أن يكون غزير العلم متبحراً في الفقه عالماً بكتاب الله وسنة رسوله وما وقع عليه إجماع الأئمة والاجتهاد وعارفاً بأركان القضاء^(٧٦٤) . والأهم من ذلك يجب أن يكون صفاته الخلقية قدوة للغير وعلى قدر كبير من المثالية فيكون معروفاً بالفضل والورع ويخاف الله ويسعى لمرضاته ، عازفاً عن متاع الدنيا ، فميزاته الأمانة والاستقامة وعزة النفس والكرامة ويجب أن يكون في الأحكام التي يصدرها شفيقاً رحيماً بالمسلمين^(٧٦٥) كثير الزهد والتصوف كالقاضي منذر بن سعيد^(٧٦٦) البلوطي والقاضي يونس بن عبدالله بن معتب^(٧٦٧) ومن أشهر كتب القضاء التي وصلت إلينا كتابان أحدهما للخشني^(٧٦٨) والثاني للنباهي^(٧٦٩) هذا وقد وجد في الأندلس عدد من الأسر التي اشتهرت بإحجاب أعلام في القضاء مثل آل الليثي وآل بقي وبنى فطيس وبنى مغيث وبنى رشد حمدين في قرطبة وبنى حجان وآل عبد العزيز وبنى المناصف في بلنسية وبنى ابن جزى وبنى عاصم وآل النباهي في غرناطة وآل الوقشي في طليطلة وعديد من هذه الأسر منهم قاضي

٧٦٤- الماوردى : (أبو الحسن على بن محمد بن حبيب البصرى) : الأحكام السلطانية ص ١٦ : مصر ١٦٩٨ هـ البغدادى .

٧٦٥- ابن عبدون : ثلاث رسائل أندلسية : ص ٩٠٨ .

٧٦٦- النباهي : المصدر السابق : ص ٦٦ ، ٧١ الخشني قضاة قرطبة : ص ١٧٥ ، ١٧٦ .

٧٦٧- ابن خاقان : (الفتح بن خاقان) مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس:

طبعة القسطنطينية سنة ١٣٠٢ هـ ص ٥٩ . ص ٢٣٧ تحقيق محمد على شوابكة ١٤٠٣ - ١٤٨٣ .

٧٦٨- هو أبو عبدالله محمد بن الحارث الخشني، استوطن قرطبة وكان حافظاً للفقه عالماً بالفتيا وكان مقرباً من الخليفة الحكم المستنصر فطلب منه أن يؤلف كتاباً عن قضاة قرطبة فأخرج كتاب قضاة قرطبة وقد نال مكانة علمية ممتازة وعد من أهم الوثائق التي تتحدث عن الحياة الاجتماعية في الأندلس في عهد الإمارة والخلافة وعليه كان اعتمادنا راجع الحميدي: جذوة المقتبس : ص ٥٣ ، مقدمة كتاب قضاة قرطبة نشر وتحقيق عزت العطار : ص ٦ ، ٧ .

٧٦٩- هو أبو الحسن على عبدالله بن محمد بن الحسن الجذامي المالقي النباهي من أسرة كان قاضياً للجماعة في عهد بنى نصر ، وله عدة مؤلفات منها كتاب المراقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا وهو تاريخ لقضاة الأندلس راجع ابن الخطيب : الإحاطة : ج ١ : ٤٦٥ - ٤٧٦ .

الجماعة مثل بنى فطيس وبنى رشد وآل البناهي. وكم من هؤلاء كانوا صورا في المجتمع ووجها لها ، وقاموا بدور في أمور الناس، والوقوف على أحداث الأندلس ، موقف الصدارة والمشاركة في حلها وتوجيهها (٧٧٠).

ولم يمنع مركز القضاء هذا أن يهجوهم الشعراء .

يقول ابن خفاجة (٧٧١):

درسوا العلوم ليملكوا بجدا لهم فيها صدور مراتب ومجالس

وتزهّدوا حتى أصابوا فرصة في أخذ مال مساجد وكنائس

أما الأمثال فقد تناولت هي الأخرى القاضي وظلمه في بعض الأحيان يقول المثل (٧٧٣):

« إذا كان القاضي خصيمك لمن تشتكى »

« إش يسمع القضاى من ساكت »

« إش تيجى عزيز من القاضى »

« بحل مظلوم لباب قاضى »

« ما بين قاضى وزامر »

« افتنا يا قاضى يرحمك الله »

الفقهاء :

أما الفقهاء فكان لهم مكانة خاصة في المجتمع الأندلسي إذ كانوا رجال دين وقضاء فمنهم الأئمة والخطباء والقضاة والمشاورون والعدول ، وقد استمدوا مكانتهم ونفوذهم من المجتمع الذى كان يجعلهم فكانت الدولة الأموية تظهر احترامهم والتزول على رأيهم حفاظاً على تقليد معين .

٧٧- الحجى : القضاء ودراسته فى الأندلس : ص ٢١٢ .

٧٧١- المقرئ: نفع الطيب : ج١ : ص ٣٠٣ .

٧٧٢- محمد بن شريفة : نفس المرجع ص ١٩٦ ، ١٩٧ « أمثال ابن عاصم ص رقم ٣١ ، ١٢٢ ، ٦٧ ،

وأمثال رقم ٦٠٩ ، ١٥١٦ ، ٤٠١ . »

- وهو احترام رأى الفقهاء - واستمر حتى نهاية الأندلس .

ولهذا كانت سوق الفقه بالأندلس نافقة والإقبال عليها كبيراً ويرجع ذلك إلى وحدة المذهب المالكي وطابعه ، وكذلك كان الصراع بين الإسلام والمسيحية من العوامل التى ساعدت على علو مكانة الفقهاء فكثيراً ما كانوا يتولون زمام الأمور (٧٧٣) يقول (٧٧٤) ابن سعيد : « وسمة الفقيه عندهم جليلية حتى أن المثلثين كانوا يسمون الأمير العظيم منهم الذى يريدون تنويبه بالفقيه ، وهى الآن بالمغرب بمنزلة القاضى فى المشرق ، وقد يقولون للكاتب والنحوى واللغوى فقيه ، لأنها عندهم أرفع سمات » وكان الأمير هشام بن عبد الرحمن بن معاوية (الرضا) ١٧٢هـ - ١٨٠هـ ، ٧٨٩م - ٧٩٦م قد قرب الفقهاء وأصبح لهم مكانة عظيمة وقضى الأمير هشام حياته خاضعاً لأحكامهم ، فقد كان بطبعه تقياً ورعاً (٧٧٥) ، فلما تولى الحكم بن هشام (١٨٠هـ - ٢٠٦هـ / ٧٩٦م - ٨٢٢م) أراد أن ينتزع من الفقهاء سلطتهم وما كانوا يتمتعون به فى عهد أبيه ويكف أيديهم عن التدخل فى شئون دولته فانتقلوا عليه وسخطوا من تصرفاته واستغلوا نفوذهم الروحى فى إثارة الناس على الأمير وحاول بعض الفقهاء أن يغدروا به سنة ١٨٩هـ فأنكشف أمرهم وقبض عليهم الأمير وصلبهم ، وكانوا ٧٢ رجلاً بقرطبة منهم الفقيه أبو زكريا يحيى بن مضر القيسى ، وكان قدوة فى الدين والورع ، ومنهم أبو كعب بن عبد البر ومصرور الخادم ، وموسى بن سالم الخولانى وولده وغيره (٧٧٦) ومن ذلك نرى أن الفقهاء لعبوا دوراً مهماً وخطيراً فى معظم فترات التاريخ الإسلامى فى الأندلس . وكذلك تذكر المصادر أن بعضهم كان يتمتع بالثراء والحياة الرغدة ويشير ابن الخطيب إلى أحد الفقهاء وهو الفقيه ابن لب الذى كان يتمتع بالثراء وأوقف معظم ما كتبه على جامع مالقة وكان كثير التصرف على

٧٧٣- محمد بن شريفة : نفس المرجع : ص ١٩٨ .

٧٧٤- المقرئ : نفع الطيب : ج ١ : ص ٢٢١ .

٧٧٥- ابن عذارى : البيان المغرب : ج ١ ، ص ٦١ وما بعدها ، المقرئ : نفس المصدر : ج ١ : ص ٣٣٤ ،

٣٣٥ .

٧٧٦- ابن عذارى : نفس المصدر والجزء : ص ٦٨ ، ٧٢ المقرئ : نفس المصدر والجزء ص ٣٣٨ ، ١٣٣٩ ،

ابن القوطية : تاريخ الأندلس ، ابن الخطيب : أعمال الأعلام : ص ١٥ ، سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم :

ص ٢١٣ ، ٢٢٣ .

الفقراء والمحتاجين (٧٧٧) كذلك يذكر لنا الحشنى فى كتابه قضاة قرطبة أن القاضى مصعب بن عمران الهمذانى كان يمتلك ضيعة وكان يباشرها يومى السبت والأحد من كل أسبوع (٧٧٨)، أما الفقيه محمد بن الحسين الجذامى (قاضى مالقة فى عصر ملوك الطوائف) النباهى المالىقى هذا الفقيه كان يقيم فى أحد القصور ويتفرغ يومين فى الأسبوع أيضاً لتفقد أملاكه والنظر فى مصالحه الخاصة وكان محمد بن الحسين ممن اشتهروا بالعدل والحزم والكرم ولم يكن يأخذ على القضاء رزقاً من بيت المال طوال حياته لكثرة ماله (٧٧٩) وفى عصرى المرابطين والموحدين، احتل الفقهاء مكانة رفيعة فى المجتمع الأندلسى، فالدولة المرابطية قامت على دعوة عبدالله بن ياسين الإصلاحية (٧٨٠)، كما قامت الدولة الموحدية على أكتاف داعية دينى هو المهدي بين تومرت الذى احتلت تعاليمه ركنًا هاماً فى حياة الموحدين (٧٨١)، فكان يوسف بن تاشفين - محباً للفقهاء والعلماء مقرباً لهم صادراً عن رأيهم متكرماً لهم أجرى عليهم الأرزاق من بيت المال طوال حياته (٧٨٢).

وفى عهد الأمير على بن يوسف زادت منزلة الفقهاء والعلماء فى الدولة واشتد إيثاره لأهل الفقه والدين وكان لا يقطع أمراً فى جميع مملكته دون مشاورة الفقهاء (٧٨٣).

-
- ٧٧٧- ابن الخطيب: الإحاطة: مجلد ٣ ص ٨٠، ٨١، ريبيرا: المكتبات وهواة الكتب فى أسبانيا، الإسلامية قسم ٢ ص ٩١.
- ٧٧٨- الحشنى: قضاة قرطبة: ص ٢٥.
- ٧٧٩- النباهى المالىقى: المرقبة العليا المعروف باسم قضاة الأندلس ص ٩٠، ٩٣.
- ٧٨٠- القيروانى: المؤنس فى أخبار أفريقية وتونس: ص ١٠٢، ١٠٣، ١٠٦، ابن الخطيب: أعمال الأعلام: قسم ٣ ص ٢٢٨.
- ٧٨١- هو أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن تومرت المسمى بالمهدى مؤسس دولة الموحدين عنه راجع: ابن القطان (أبو على حسن بن على القطان) نظم الجُمان: ص ١١، المراكشى المعجب: ص ٢٤٦، ٢٥٥، النويرى: نهاية الأرب: ج ٤ ص ٢٧٧، ٢٨٩.
- ٧٨٢- ابن القاضى: (أحمد بن القاضى الكناس): جنة الاقتباس: الرباط سنة ١٩٧٤ م.
- ٧٨٣- المراكشى: المعجب: ص ٢٣٥.

وفى عهد الموحدين تمتع الفقهاء كذلك بمنزلة سامية فكان الخلفاء الموحدون يكرمون العلماء والفقهاء ويقدرونهم^(٧٨٤)، هذا وقد أثارت مكانة الفقهاء هذه هجاء بعض الشعراء، ويقول الأبيض^(٧٨٥):

أهل الرباء لبستم ناموسكم كالذئب أدلج يخل فى الظلام العاتم
فملكتموا الدنيا بمذهب مالك وقسمتموا الأموال بابن القاسم
وركبتما شهب بأشهب ركبتم وبأصبع صبغات لكم فى العالم
أما ابن قزمان فيذكر الفقهاء بقوله^(٧٨٦):
عهدى بالقرى إذ كنا خلاف لافقى ولاحاج لمن كنا نخاف
وقوله أيضاً^(٧٨٧):

والريض لاشيوخ ولاحجاج وأرامل ملاح بلا أزواج
أما الشاعر ابن الطراوة الملقى من عصر ملوك الطوائف فقد هجا الفقهاء من ضعاف النفوس واتهمهم بالرشوة يقول^(٧٨٨):
رأوا حجلاً يأتى على بعد مدوا إليه جميعاً كف مقتنص
إن جثتهم فارعاً لزوك فى قرن وإن رأوا رشوة أفتوك بالرخص
هذا وقد وردت أمثال عديدة فى نقض الفقهاء ومن هذه الأمثال يقول المثل^(٧٨٩):

٧٨٤- ابن أبى زرع : (أبو الحسن على بن عبدالله) الأتيس المطرب بروض القرطاس فى أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس : طبعة دار المنصور : الرباط سنة ١٩٧٢ ص ٢٠٤ .

٧٨٥- المراكشى : المعجب : ص ٢٣٥- ٢٣٦ .

٧٨٦- الأهوانى : الزجل فى الأندلس : ص ٩٩ .

٧٨٧- الأهوانى : نفس المرجع : ص ٧١ .

٧٨٨- ابن الأبار : المقتضب : تحقيق إبراهيم الإبيارى : دار الكتاب المصرى ١٩٧٣ م : ص ٦٤ .

٧٨٩- محمد بن شريفة : نفس المرجع : ص ١٩٩ (مثل رقم ٩٢٤) .

«خاف الله واتقيه ، وتعامل الفقيه»

كما تصور الأمثال الشعبية تهافت الفقهاء على المال كقولهم «(٧٩٠):

«أسرع من يد فقى إذ أقل خذ»

أما المثل القائل (٧٩١) :

«حظ فى فقى، أخير من الحظ فى أرحى»

فلعل معناه لأن يكون لك نصيب فى فقيه ، خير من أن يكون ذلك نصيب فى روحى .

وبالغوا فى بعضهم فذهبوا مذهب الهجاء كقولهم (٧٩٢):

«ففى فجر (فاجر) كلب أحسن من»

كما أشاروا إلى مهارة الفقهاء فى البيع والشراء ومحاباة الناس إياهم كقولهم (٧٩٣):

«شر فقى جيد ورخيص»

صاحب المدينة والشرطة :

يقول ابن سعيد عن خطة الشرطة بالأندلس «وأما خطة الشرطة بالأندلس فإنها مضبوطة إلى الآن معروفة بهذه السمة ويعرف صاحبها فى ألسن العامة بصاحب المدينة وصاحب الليل» (٧٩٤).

هذا ويرجع الفضل إلى الأمير عبد الرحمن الثانى الأوسط لإدخاله هذه الخطة ، وجعل لصاحبها رزقاً شهرياً قدره مائة دينار (٧٩٥) وإليه يرجع الفضل حين وزع اختصاصات الشرطة وجعلها قسمين : شرطة عليا ، وشرطة صفرى (٧٩٦).

٧٩٠- محمد بن شريفة : نفس المرجع والصفحة (مثل رقم ٥٠٩) .

٧٩١- نفس المرجع : نفس الصفحة : (مثل رقم ٨٣٢) .

٧٩٢- نفس المرجع والصفحة : (مثل ابن عاصم رقم ٥٤٩) .

٧٩٣- نفس المرجع والصفحة : (مثل رقم ١٨٧٦) .

٧٩٤- المقرئ : نفس المصدر : ج١ : ص ٢١٨ .

٧٩٥- ابن سعيد : المغرب : ج١ : ص ٤٦ .

٧٩٦- ابن حبان : المتبسن : تحقيق محمود على مكى : ص ٢٨٦ .

وفى عصر الخلافة وفى ٣١٧هـ (٩٢٩م) ظهرت شرطة ثالثة أطلق عليها اسم الشرطة الوسطى، وكان أول من وليها سعيد بن حدير^(٧٩٧) وقد حاول ليفى بروفنسال^(٧٩٨) أن يعطل ظهور الشرطة الوسطى فى ذلك الوقت وبين اختصاصاتها فقال : بأن كل نوع من أنواع الشرطة الثلاث المذكورة ، كان يختص بطبقة معينة من الناس ، فكان لصاحب الشرطة الكبرى الحق فى التصرف فى الشئون التى يتورط فيها الشخصيات الكبرى فى الدولة، ولصاحب الشرطة الصغرى السلطة على طبقة العامة من الناس وبين هاتين الطبقتين كانت الشرطة الوسطى وهى خاصة بالنظر فى أمور التجار وصغار الموظفين ، فرأى الأمير عبد الرحمن الناصر ضرورة إنشاء هذا النوع من الشرطة الوسطى « لتلائم هذه الطبقة الجديدة من الناس ويختتم قوله بأنه لا يوجد أى نص تاريخى يؤكد أو يصدق على هذا التفسير » ويبدو أن هذا التفسير لا يخلو من وجهة^(٧٩٩).

وكان لصاحب الشرطة سلطة النظر فى الجرائم وإقامة الحدود وفرض العقوبات ومباشرة القمع والقصاص حيث يتعين، فكان يحكم بموجب السياسة دون مراجعة الأحكام الشرعية^(٨٠٠).

هذا ولم يكن يتم اختيار القائم على وظيفة صاحب الشرطة من الشعراء مثل الوظائف الأخرى ولكن نجد المنصور بن أبى عامر يعين على الشرطة الشاعر أبا مروان عبد الملك بن إدريس الجزيرى لارتجاله أبيات من الشعر أعجبت المنصور بن^(٨٠١) أبى عامر .
هذا وقد تعددت الأمثال التى تدم صاحب الشرطة أو صاحب المدينة ويبدو أن صاحب هذه الوظيفة كان مكروها من العامة يقول المثل:

« صاحب مدينة فتشنى عندك أحد »

٧٩٧- ابن عذارى : البيان المغرب : ج٢ : ص ٢٠٢ .

٧٩٨- Levi Provencel : L'Espagne musulmane T. III, pp. 156 - 157 .

٧٩٩- هشام أبو رميلة : نظم الحكم فى الأندلس : ص ٢٨٩ .

٨٠٠- ابن خلدون : المقدمة : ص ١٨٥ ، ١٨٦ .

٨٠١- هنرى بيرس : الشعر الأندلسى : ص ٨٢ .

ويقولون أيضاً (٨٠٢):

«شرطة بياسة يقتنع بالزز»

كما قالوا (٨٠٣):

«رضى الشرطى بالشرطنة ولم يرضى بالفرصنة (الفرسنة)»

كما وصفوا أخلاق رجال الشرطة وما كانوا عليه من سوء الأدب والمعاملة فقالوا (٨٠٤):

«بحال شرطى يأكل معك ويكسر الصحفا فى رأسك»

المحتسب :

يقول ابن سعيد أما خطة الاحتساب فإنها عندهم موضوعة فى أهل العلم والفتنة وكان صاحبها قاضى والعادة فيه أن يمشى فيه بنفسه راكباً على الأسواق وأعوانه معه (٨٠٥).

والمقصود بالحسبة عند الفقهاء المسلمين هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (٨٠٦) فكان عليه أن يدعو الناس إلى قمع الظلم والجور والسعى إلى العدل والتعلق به كما كان عليه أن يأمر الناس بإقامة الصلوات الخمس وصلاة الجمعة (٨٠٧) ، كما ينظر المحتسب فى مراعاة الأحكام الشرعية ويسهر على إقامة الحدود وتمتد سلطته إلى الإشراف على الأسواق (٨٠٨).

٨٠٢- محمد بن شريفة : ص ١٩٧ (مثل رقم ١٨٨٧) .

٨٠٣- نفس المرجع والصفحة (مثل بن عاصم رقم ١٦) .

٨٠٤- نفس المرجع والصفحة (مثل بن عاصم رقم ٢٨٥) .

٨٠٥- المقرئ : نفس المصدر : ج ١ : ص ٢١٨ .

٨٠٦- الماوردى: الأحكام السلطانية : ص ٢٧٧ ، الباز العرنى : كتاب عن الحسبة: فصله من مجلة كلية

الآداب . ١٩م : ج ١ مايو سنة ١٩٥٧ : ص ١٣٥ .

٨٠٧- ابن تيمية : الحسبة فى الإسلام ، دمشق ١٩٦٧ ص ٩ ، ١٠ ، ١١ .

٨٠٨- صبحى الصالح : النظم الإسلامية : ص ٣٣٠ «تدور رسائل كل من السقطى وابن عبدون والجرفسى

وابن عبد الرؤوف طوال العصر المرابطى والموحدى- حول واجبات المحتسب وسلطاته- . راجع ابن عبدون :

رسالة فى الحسبة ص ٢٠ ، ٢١ ، ٤٣ ، السقطى: أدب الحسبة : ص ٢ ، ١٢ وما بعدها .

هذا وقد اشتهر المحتسب بالشدة على الأسواق وذكر بعضهم أنه كان يضرب الباعة ضرباً شديداً
ميرحاً (٨٠٩).

ولهذا كان المثل الأندلسي (٨١٠):

«بحل محتسب يضرب ويطوف»

التجار :

شاركت التجارة الداخلية والخارجية في ازدهار الحياة الاقتصادية في المجتمع الأندلسي
وانعكس هذا الازدهار على فئة التجار الذين ازدحمت بهم المدن الأندلسية فكان لهم مكانة
اجتماعية راقية ، مما جعل الخليفة يستشيرهم في عزل قاضي الجماعة أو تشييته إذا رآوا
ذلك (٨١١).

ولقد تمتع التجار بالشراء والحياة الرغدة فامتلكوا البيوت والضياع الواسعة والخدم، واهتموا
بما يهتم به الملوك من اللهو والطرب ، فاقتنوا المغنيات ، وكان يشار إلى التاجر بما لديه من
مغنيات ، فالعذري يبين لنا حال التجار في مدينة بلنسية فيقول (٨١٢) : «وقد استعمل أكثر
تجارها لأنفسهم أسباب الراحة ، والفرج ، ولاتكاد تجد فيها من يستطيع على شئ من دنياه،
إلا وقد اتخذ عند نفسه مغنية أو أكثر من ذلك» .

ولشرف مهنة التجارة فقد اشتغل بها الفقهاء والقضاة، فكان الفقيه محمد بن فيصل بن
هذيل يعمل بالتجارة في سوق الحدادين بقرطبة (٨١٣)، كذلك عمل القاضي محمد بن حارث
الحشني في التجارة وكان له دكان في قرطبة (٨١٤).

٨٠٩- المقرئ: نفع الطيب : ج١ : ص٢١٩ .

٨١٠- محمد بن شريفة : نفس المرجع : ص٩٨ (مثل رقم ٦٨) .

٨١١- الحشني : قضاة قرطبة ص٧٣ .

٨١٢- العذاري: نصوص عن الأندلس : ص١٤ .

٨١٣- ابن حبان : المقتبس : تحقيق شالميتا : ص٤٤ .

٨١٤- الحشني : قضاة قرطبة : ص٧ نشر عزت العطار ، طبعة ١٩٦٤ مقدمة عن المؤلف «ه» .

وقد كان للتجار أسواق منظمة ومرتبطة داخل المدن الأندلسية ، فى قرطبة خصص لكل سوق بضاعة معينة (٨١٥).

أما أشبيلية فيوضح الحميرى أهميتها للتجارة يقول (٨١٦): «وهى كبيرة عامرة لها أسوار حصينة وأسواقها عامرة وأهلها مياسير وجل تجارتهم الزيت يتجهزون به إلى المشرق والمغرب براً وبحراً كذلك كان تجار أشبيلية يصدرون القطن إلى أفريقية وسجلماسة» (٨١٧).

ولم يكن تجار المدن الساحلية بأقل جاهاً وغنى من غيرهم ، فقد اشتهر تجار بجانة والمرية لأنها أصبحت مركزاً تجارياً هاماً، يقول ياقوت (٨١٨) فهى «باب المشرق منها يركب التجار وفيها تحمل مراكب التجار ، وفيها مرفأ ومرسى للسفن والمراكب» .

أما مالقة فقد كانت من أكبر مراكز تجارة الرقيق الأندلسى والذين يجلبون من أوروبا المسيحية (٨١٩) ، وبلاد المغرب والسودان ، وكان سوق الرقيق يخضع لإشراف ومراقبة المحتسب وأعوانه، ورغم هذا فقد كان تجار الرقيق يقدمون على ارتكاب الغش والتدليس ومن وسائلهم فى ذلك : تحمير خدود الجوارى، وتغيير لون البشرة وإخفاء النمش والوشم ونحو ذلك وتطبيب رائحة الفم وجلاء الأسنان ، كما أن بعضهم من أهل الفساد يبعث بالجوارى إلى منازل أصحاب الثراء للخلوة بهن نظير مبلغ من المال (٨٢٠).

هذا وقد تناولت الأمثال الشعبية الأندلسية التجارة والتجار والأسواق والغش والكساد وما إلى ذلك فيقولون فى مدح التجارة وأنها مصدر للخير والبركة :

«صاحب دكان ما يحتاج بستان» (٨٢١)

٨١٥- حسين مؤنس : وصف جديد لقرطبة الإسلامية : ص ١٧٠ .

٨١٦- الحميرى : الروض المعطار .

٨١٧- الحميرى : نفس المصدر : والصفحات ، ابن غالب فرحة الأنفس : ص ٢٩٢ .

٨١٨- ياقوت : معجم البلدان : ج ٥ : ص ١١٩ .

٨١٩- المقدسى : أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم ص ٤٤٢ ، ٤٤٣ .

٨٢٠- السقطى : فى أدب الحسبة : ٤٨-٤٩ .

٨٢١- محمد بن شريفة : أمثال أبى يحيى الزجالى ص ٢١٣ (مثل رقم ١٦٠٢) .

وفى أن التجارة خيرة تكتسب بالممارسة والتعليم يقول المثل (٨٢٢):

«الشرى يعلم البيع»

«ما يشعر بالردى إلا المدلس» :

والتجارة مرغوب فيها حتى ولو لم يكن فيها ربح لأنها حركة على كل حال يقول

المثل (٨٢٣):

«لن تبيع البيض كما تشتريه ؟ قال يعجبني جريه»

وحين تسوء الأحوال الاقتصادية ، ثمة أمثال تدم التجارة وتحذر منها: يقول المثل (٨٢٤):

«لاسلع فى الحانوت ، ولاقطاع فى التابوت»

ويقولون أيضاً :

«قد تريح لا تفتح»

ويقولون أيضاً :

«جالس فى الدكان ، يشرى الدبان»

وعن الإنصاف فى المعاملة كوسيلة لكسب العملاء يقول المثل (٨٢٥):

«أنصف الناس وشاركهم فى أموالهم»

وفى أن الشركة المثالية هى التى تقوم على اقتسام المكسب والخسارة يقول المثل (٨٢٦):

«بالبرك أشريكى ، قال لى ولك»

٨٢٢- محمد بن شريفة : نفس المرجع : ص ٢١٣ : (مثل رقم ١٣٥٤) .

٨٢٣- نفس المرجع والصفحة : (مثل رقم ١٢٢٤) .

٨٢٤- نفس المرجع والصفحة (مثل رقم ١٩٨٩) ، ومثل ابن عاصم رقم ٣٤٦ ، ومثل رقم ٧٧١) .

٨٢٥- نفس المرجع والصفحة : (مثل رقم ٤٥٢) .

٨٢٦- نفس المرجع والصفحة (أمثال ابن عاصم رقم ٥٧٢) .

الآفات الاجتماعية

بلغت الأندلس منذ عصر الخلافة وحتى خروج المسلمين منها قمة الازدهار الحضارى وغلب على أهلها الترف فعمدوا إلى الاستمتاع بالحياة وملذاتها ، فاستغرقوا فى الترف واللهو واستناموا إلى كل مظاهر الرفاهية، وكان ذلك الإسراف فى حياة المتع وشهوات النفس عاملاً رئيسياً من عوامل التفتت السياسى الذى منيت به الأندلس منذ عصر ملوك الطوائف وحتى سقوط غرناطة (٨٣٠) ٧٩٨ هـ / ١٤٩٢ م هذا ولقد أشار ابن خلدون إلى أهمية الجانب الأخلاقى وأثره على سقوط الدول وإنهيار الحضارات يقول (٨٣١) « وإذا فسد الإنسان فى قدرته على أخلاقه ودينه فقد فسدت إنسانيته وصار مسخاً على الحقيقة » .

وفى نفس المعنى يقول (٨٣٢) « ومن مفاصد الحضارة الانهماك فى الشهوات والاسترسال فيها لكثرة الترف فيقع التفتن فى شهوات البطن من المأكول ويتبع ذلك التفتن فى شهوات الفرج بأنواع المناكح من الزنا واللواط » .

هذا وقد وجدت فى الأندلس الكثير من الأمراض الاجتماعية وخاصة عندما شاع الغناء واللهو وغرق الناس فى الملذات وكثر الفراغ لديهم (٨٣٣) .
ومن هذه الأمراض عادة :-

شرب الخمر :

وكانت منتشرة بين جميع فئات المجتمع ولم تخل مجالس اللهو والطرب من شرب الخمر حيث كان الفتيان الصغار يطوفون بأكواب الخمر على الحاضرين ، كان هذا مدعاة لقول الشاعر والتغزل بهؤلاء الغلمان (٨٣٤) وتشير المصادر إلى شغف الأندلسيين بهذه المجالس ولعهم

٨٣ - سالم : صور من المجتمع الأندلسى : مجلة معهد الدراسات الإسلامية مدريد : مجلد ١٩ مدريد سنة

١٩٧٦ - ١٩٧٨ .

٨٣١ - ابن خلدون : المقدمة : بيروت سنة ١٩٧٩ : دار الكتب العلمية : ص ٣١٣ .

٨٣٢ - نفس المصدر : ص ٢١٢ .

٨٣٣ - سعد عثمان : المجتمع الإسلامى ص ٢٨٤ .

٨٣٤ - ابن سعيد : المغرب فى حلى المغرب : ج ١ ص ٩٩ ، ٢٦٧ ، ٢٦٧ ، ٢٦٧ ، ص ٢٩٤ .

بالطرب والغناء وشرب الخمر وما يجرى فيها من مجون وخلاعة^(٨٣٥) فلم يكن لأفراد طبقة الخاصة من المترفين من شاغل سوى كل ما يرضى الشباب ويمتغ مجالس اللهو والغناء^(٨٣٦). ويذكر ابن سعيد في كتابه المغرب أنهم كانوا يخرجون إلى كروم العنب والتين في مالقة يفرحون فيها ويمرحون هناك^(٨٣٧).

ومن أمثلة هذه المجالس مجلس أنس أعده الحاجب المنصور محمد بن أبى عامر للهو، حضره الوزير أحمد بن عبد الملك بن شهيد فى محفة بسبب نقرس كان يعانى منه ويذكر ابن بسام أن الطرب طما وسما حتى تصايح القوم، ثم انتهى إلى الوزير ابن شهيد فأقامه الوزير أبو عبدالله بن عياش، فجعل ابن شهيد يرقص وهو يتوكأ عليه ونسى أوجاع النقرس، وارتحل الشيخ أبياتاً وجهها إلى المنصور منها^(٨٣٨):

هاك شيخ قادة عذر لكا	قام فى رقصته مستهلكا
لم يُطف يرقصها مستثبِتًا	فأنثنى يرقصها مستمسكا
عاقه من هزها مُعتدلا	نقرس أنحى عليه فاتكا
طرب اللهو وقد حق له طربا	أرمضه حتى اشتكى
من وزير فيهم رقاصَة	قام من طيب يناغى ملكا

وكان أمراء الأندلس وملوكها يعقدون مجالس الطرب فى ظاهر المدن أو فى البساتين والمنيات وأبهاء القصور والمنتزهات يفترشون الوسائد والطنافس يأكلون ويشربون على إيقاع الدفوف والمزامير، يصف ابن بسام حفلاً أقامه المأمون بن ذى النون فى مجلس خلوته بقصر الناعورة أحضر فيه عدداً من المغنين وجميع آلات الطرب^(٨٣٩)، وبالغ فى تأنيس الحاضرين

٨٣٥- حكمة على الآوسى : الأدب فى عصر الموحدين ، مكتبة الخانكى : القاهرة .

٨٣٦- ابن سعيد : المغرب : ج١ ص٤٢٨ .

٨٣٧- ابن سعيد : نفس المصدر والصفحة .

٨٣٨- ابن بسام : الذخيرة : قسم (٤) : مجلد (١) : ص١٧ ، المقرئ : نفع الطيب ج٣ : ص٢٦١ .

٨٣٩- سالم : صور من المجتمع الأندلسى : ص٦٤ .

بالنبيذ^(٨٤٠)، يقول أحد أمراء بنى أمية وهو المطرف بن عبد الرحمن الأوسط^(٨٤١):

أفنيْتُ عمريَ في الشرِّ ب والوجوه المـِـسـلـاح
ولم أضيِّع أصيلاً ولا أطلع صباح
أحى الليالى سُهداً فى نشوة الفلاح

وكان الشراب يكثر ليلاً، علانية أو سراً حيث يطلق الشاربون العنان لأهوائهم وقد وصف لنا الشاعر ما تصنعه الخمر فى الكأس الشفافة والسراج ليل الشاربين حتى عندما تكون المصابيح منطفئة ، يقول أبو عيسى ابن لبون^(٨٤٢):

يا ربُّ ليل شرينا فيه صافية حمراء فى لونها تنفى التباريح
ترى الفراش على الأكواس ساقطة كأنما أبصرت منها مصابيحاً

والأندلسى يحب أن يشرب الخمر مع رفيقات من النساء وندامى مبتهجين يطلق عليهم الشعراء «الفتيان الكرام» يقول ابن مقان الإشبوي^(٨٤٣):

مع فتیان كرام نجب يتهدون رياحين المجون
شربوا الراح على خد رشا نور الورد به الياسمين
وجلت أبياته عامدة سببخ الشعر على عاج الجبين

وكان لكأس الصباح مذاق خاص عند شاربه وفى ذلك يقول المعتضد^(٨٤٤):

اشرب على وجه الصباح وانظر إلى نور الأقاح
واعلم بأنك جاهل ما لم تقل بالإصطباح
فالدهر شئ بارد إن لم تسخنه براح

٨٤٠- ابن بسام : نفس المصدر والجزء : ص ١٠٦ .

٨٤١- المقرئ : نفس المصدر : ج ٣ ص ٥٧٨ .

٨٤٢- ابن الأثير : الحلة السيرة : ج ٢ : ص ١٧٠ .

٨٤٣- المقرئ : نفس المصدر : ج ١ : ص ٤٣٣ .

٨٤٤- ابن بسام : النخبة : ج ٢ : ص ٣٠ .

ويحدد ابن مقانا (٨٤٥) فى قصيدته التى يمدح بها إدرىس بن يحيى الحمودى أن الخمر يجب أن تشرب فى الصباح قبل أن ينادى المؤذن للصلاة ، ويؤكد فى الوقت نفسه على الصفات الثلاثة التى يجب أن تقدر فى الخمر الجيدة:

قد بدا لى وضح الصبح المبين فاسقنيها قبل تكبير الأذنين

استقنيها مُزة مشمولة لبثت دنهها بضع سنين

وتذكرنا هذه الأبيات بتعليق عبد الرحمن شنجول ابن المنصور بن أبى عامر عندما سمع المؤذن ينادى ذات يوم من فوق المنذنة «حى على الصلاة» فقال «لو قلت حى على الكأس لكان خيراً لك» (٨٤٦) ويقول أبو مروان عبد الملك بن غصن (٨٤٧):

وقام داعى السرور يدعـو حى على الدين وانتهائه

وتاه فيه النديم مـمـا يزدهم الناس عند بابـه

هذا ولم يكتف الشعراء بوصف الخمر وإنما جاوزوا ذلك إلى وصف كؤوسها وزجاجتها ومجالس شرابها كما هو مبين فى أشعارهم وقد امتزج شعرهم هذا بوصف الرياض والمنتزهات فهذا ابن جودى يصف لنا لهوه بين الحدائق والأزهار ثم يصف الخمرة وأبريقها يقول (٨٤٨):

شرينا ويرد الليل يطول صحبه وأردية الشمس المنيرة تنتشر

وقد هتفت ورق الحمام بدوحها وكف الصبا زهر الحدائق تنتشر

مشعشعة رقت وراقت كأنمـا يصاغ لها من صنعه المزج جوهر

إذ قهقهة الأبريق قالوا تكلمت كما أنها عن أعين المزج تنتظر

وكان بعض شاربى الخمر أنهم يكادوا لا يفيقون منها ، فأبو الحسن رضى بن رضا المالقى

٨٤٥- المقري : نفس المصدر : ج١ : ص ٤٣٣ ، هنرى بيرس : الشعر الأندلسى : ص ٣٣٠ .

٨٤٦- هنرى بيرس : نفس المرجع والصفحة .

٨٤٧- المقري : نفع الطيب : ج٣ : ص ٤٢٣ .

٨٤٨ ابن سعيد : المغرب ج٢ : ص ١١٠ .

(٩٥٠هـ - ١١٥٣م) كان ينهمك فى شرب الخمر حتى أنه لا يكاد يصحو منها وكان يقول «إنى أمحق العمر سكرآ» (٨٤٩).

أما المرابطين فقد أثبتت النصوص التاريخية انحراف الأمراء المرابطين الأواخر فى الترف وأصبح بلاط الأمير قبلة للشعراء (٨٥٠) والمغنيين الذين امتلأت بهم جوانبه وفى هذا الجو المملوء بوسائل المتعة أقبل بعض الأمراء على معاقره الخمر فالأمير ابن يتفلوت صاحب سرقسطة تعود على منادمة أبى بكر بن باجة فكانت تطربهما قنية من القنيات المجيدات للشعر والغناء (٨٥١)، كما أن الشاعر أبو بكر بن الروح كان ينادم الأمير إبراهيم بن يوسف بن تاشفين (٨٥٢) كذلك فقد جبل الأمير أبو بكر بن إبراهيم على تعاطى الخمر والسهر مع جواريه فضلاً عن تبذير الأموال (٨٥٣).

وهكذا لم يجد الأمراء المرابطون أدنى حرج فى قضاء الليالى بين الغناء واللهو ومعاقره الخمر بين جواريتهم وندمائهم .

وفى العصر الموحدى كان بعض السادة الموحدين لا يكتفون بالمجاهرة بشرب الخمر فحسب ، بل يجبرون من يستحرم ذلك على شربها كالذى حدث للأديب الرحالة محمد بن جبير الذى استدعاه السيد أبو سعيد بن عبد المؤمن صاحب غرناطة لأن يكتب كتاباً عنده وهو على شربه، فمد يده إليه بكأس ، فأظهر الانتقباض وقال يا سيدى ما شربتها قط ، فقال والله لتشرين

٨٤٩- ابن سعيد : نفس المصدر : ج١ : ص ٤٢٦ .

٨٥٠- راجع ديوان الأعمى التطيلى بيروت سنة ١٩٦٣ تحقيق إحسان عباس دار الثقافة ١٦ ، ص ١٠٠ ،

١١٣ ، ٢٠٠ وراجع أيضاً ديوان ابن خفاجة دار صادر بيروت سنة ١٩٦١ ص ٤٥ ، ١٢٦ ، ١٣٠ ، وما بعدها فقد امتلأ هذين الديوانين بمديح الأمراء المرابطين .

٨٥١- ابن سعيد : المقتطف من أزاهر الطرف : القاهرة ١٩٨٣م تحقيق سيد حنفى حسين : ص ٢٥٧ .

٨٥٢- المقرئ : نفع الطيب : ج٤ : ص ٧٢ .

يقول ابن الروح مادحاً الأمير المرابطى:

فما لى لايسرى إلى سرورها

أنا شاعر وأنت أميرها

٨٥٣- ابن سعيد : المقتطف : نفس الصفحة .

منها سبعاً . فلما رأى العزيمة شرب سبع كؤوس فملاً له السيد الكأس من دنانير سبع مرات وصب ذلك فى حجره (٨٥٤).

هذا وينتقد لسان الدين ابن الخطيب (٨٥٥) «الانهماك فى البطالة والإقبال على شرب الخمر ويبدو هذا عند حديثه عن الكاتب محمد بن محمد بن على بن العابد الأنصارى، الكاتب بالدار السلطانية، والمتوفى فى حدود التسعين وستمائة ١٢٩١م، يقول عنه: تولى كتابة الإنشاء لثانى الملوك النصريين، واستمر قيامه بها على ضجر شديد من السلطان محمد، لملازمته المعاقرة وانهماكه فى البطالة، واستعمال الخمر».

وإذا كانت الخمر قد انتشرت هذا الانتشار الواسع بين فئات الخاصة، فقد انتشرت بين فئات العامة من الأندلسيين أيضاً يشربونها فى المنتزهات والأماكن العامة يقول الشقندى فى رسالته عن فضل الأندلس وانتشار أماكن اللهو والطرب وشرب الخمر على الوادى الكبير بأشبيلية فقال (٨٥٦) «وقد سعد هذا الوادى بكونه لا يخلو من مسرة وأن جميع أدوات الطرب وشرب الخمر فيه غير منكر ولا ناه عن ذلك ولا منتقد، ما لم يؤد السكر إلى شر وعريضة وقد رام من ليها من الولاية المظهرين للدين قطع ذلك فلم يستطيعوا إزالته».

وعلى هذا كان الحصول على النبيذ والشراب حتى السكر ميسوراً، فمنذ القرن الثانى الهجرى وأوائل القرن الثالث (التاسع الميلادى) أصبح رضى شقندة يضم سوقاً للخمر يستأجرها أحد المستعربين، وقد أغلق هذا السوق فى أوائل عصر الأمير عبد الرحمن الأوسط (٨٥٧)، ولكنه لم يلبث أن أعيد فتحه لما يدره على الخزانة العامة للدولة من عائد

٨٥٤- هو صاحب الرحلة المشهور، ولد ٤٥٠ هـ ودرس الفقه والحديث بشاطة ويقال إنه اضطر وهو يعمل مع عثمان بن عبد المؤمن إلى شرب الخمر فأزمع الحج إلى بيت الله الحرام ليكفر عن خطيئته: راجع ابن سعيد: المغرب ج٢: ص ٣٨٤ هامش رقم ١، وراجع ترجمة ابن جبير أيضاً فى ابن الأبار التكملة لكتاب الصلة: ص ٥٩٨ طبعة مصر.

٨٥٥- ابن الخطيب: الإحاطة: مجلد ٢ ص ٢٨١-٢٨٢.

٨٥٦- رسالة فى فضل الأندلس: ص ٥١: تحقيق صلاح المنجد.

٨٥٧- ابن سعيد: المغرب: ج١: ص ٤٦.

لابأس به، وكانت هذه السوق تمد الحانات العديدة سواء المرخصة أو السرية بما تحتاج إليه من أنواع الخمر المختلفة .

وكان يتردد على هذه الحانات المستعربون من النصارى والمسلمون على حد سواء ، كما كانت تلك الحانات تنتشر بصفة خاصة بالقرب من الأديرة المسيحية الواقعة خارج قرطبة (٨٥٨) ويشير ابن شهيد فى رسالته التوابع والزوابع إلى تلك الحانات والتي كان يقدم فيها نوع من الخمر يسمى خمر الدير (٨٥٩) ، وفى أغلب الأحيان كان يدير هذه الحانات بعض النسوة كما يذكر ذلك يحيى السرقسطى حيث (٨٦٠) يقول :

ربّ خمارة سريتُ إليها والدجى فى ثيابه الزنجية
كم عقار بدلته بعقار وثياب صبفتها خمرية
إن خير البيوع ما كان نقداً ليس ما كان أجلاً بنسيه

وكان من الشائع أن يتردد على هذه الحانات المخثون والنساء من ذوات السمعة السيئة وكان ذلك موضع هجوم دائم من الفقهاء وملاحقة مستمرة من الشرطة، فلما ولى عبد الله بن حسين الشرطة بقرطبة، فمر يوماً بفتى يترنح سكرًا فأمر بجلده (٨٦١) كذلك روى عن القاضى أبو عبد الله بن أبى عيسى أنه كان يسير فى قرطبة فى موكب حافل ، فعرض له فتى سكران يتمايل ، فلما رأى القاضى هابه وأراد الفرار ، فخانته قدماه فلما اقترب منه القاضى أنشأ يقول (٨٦٢):

Levi Provencal : Op. Cit. p. 447 .

-٨٥٨

حمدى عبد المنعم : مجتمع قرطبة : ص ٥٢٩ .

٨٥٩- راجع المقرئ: نفس المصدر : ج١ : ص ٥٢٥ ، ٥٤٤ ، ابن خلكان : مطعم الأنفس ومسرح التأنس

فى ملح أهل الأندلس: ص ١٩٤-١٩٥ ، أحمد حنيف: بلاغة العرب فى الأندلس : ص ٥٢-٥٣ .

٨٦٠- المقرئ : نفس المصدر : ج٤ : ص ١٥٨ .

٨٦١- ابن حيان : المقتبس: تحقيق محمود على مكى : ص ١٨٧ .

٨٦٢- المقرئ : نفس المصدر : ج٢ ص ٢٢١-٢٢٢ .

ألا أيها القاضى الذى عم عدله فأضحى به بين الأنام فريداً
 قرأت كتاب الله تسعين مرة فلم أر فيه للشراب حدودا
 فإن شئت جلدًا إلى فدونك منكبًا صبوراً على ريب الزمان جليداً
 وإن شئت تعفو تكن لك منة تروح بها فى العالمين حميدا
 وإن أنت تختار الحديد فإن لى لسانا على هجو الزمان حديداً

ويذكر ابن سعيد (٨٦٣) فى كتابه المغرب أن الخليفة الحكم المستنصر حاول قطع الخمر من الأندلس فشاور فى استئصال شجرة العنب ، فقبل أنهم يعملونها من التين وغير ذلك فوقف عما هم به.

كذلك كان بعض الفقهاء أو العامة يقومون بإنكارها وكسر أو انيها إلا أن هذا قليل بالنسبة لما تراه فى تاريخهم إذ كان التسامح فى الشراب والإعفاء عنه غالباً عليهم يذكر ابن عبدون (٨٦٤) فى كتابه « كان الصبيان إذا أقبلوا على الأعراس أخذت أسلحتهم قبل أن يشربوا ويعريدوا » .

أما أمثال الأندلسيين الشعبية فجاءت من واقع حياتهم ففيها نصح بالشراب ولكن فى الستر أو الخلاء وفى تفضيل الخمر على الرب (٨٦٥).

٨٦٣- ابن سعيد : المغرب فى حلى المغرب : ج١ ص ١٨١ .

٨٦٤- ابن عبدون : أدب الحسبة : ج١ .

٨٦٥- من الأشربة المشهورة التى اتخذها البربر وخاصة قبائل المصامدة شراباً لهم الخاتر من العنب وقد كان شربه معهوداً أول الأمر إلى أن تنبهوا إلى أن مفعوله لا يختلف عن مفعول الخمر الحرام ، فأصدر أمراء الموحديين والأوامر بمنعه ، كان الرب يباع فى مكان خاص فى مراکش يعرف بباب والرب معروف فى أسبانيا إلى اليوم باسم « Apport » راجع ابن صاحب الصلاة : الإمامة : ص ١٧١ - ١٧٢ ، مجهول : الاستبصار فى عجائب الأمصار : تحقيق سعد زغلول عبد الحميد الإسكندرية ص ٢١١ ، ومجهول : الطبيع فى المغرب والأندلس : مجلة معهد الدراسات الإسلامية مدرية : ص ٢٥٥ .

ومن أمثالهم المعبرة عن هذا الواقع يقول المثل (٨٦٦) «القطاع والقراع ويجى الشراب من ساع».

و «شرب الخل خير من العطانة»

ويقولون أيضاً : «شين يشين لشراب أرشد»

كذلك استطاع ابن الخطيب أن يكشف عن إحدى الآفات الاجتماعية التي ابتليت بها غرناطة في القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي)، وهي انتشار الحشيش بها (٨٦٧)، وتؤيد النصوص الشعرية التي دارت بين شعراء غرناطة في تلك الفترة تفضيل الحشيش على الخمر (٨٦٨) ومن ذلك قول الشاعر الغرناطي ابن الوحيد (ت ٧١١) (٨٦٩):

وخضراء بل لاتفعل الخمر فعلها لها ثبات في الحشا وثبات

تؤجج ناراً في الحشا وهي جنّة وتبدي لذيد العيش وهي نبات

وهناك أبيات أخرى قيلت في هذا المضمار تنبهنا المراجع المغربية إلى الشاعر الغرناطي محمد الحجر الرعين المعروف بابن خميس (ت ٥٠٨هـ) (٨٧٠) جاء فيها :

دع الخمر واشرب مدامه حيدر معتقة خضراء لون الزبرجد

هي البكر لم تنكح بما سحابة ولا عصرت بالرجل يوماً ولا اليد

ولاعبث القسيس يوماً بكأسها ولا قريوا من دنها نفس ملحد

٨٦٦- محمد بن شريفة : نفس المرجع : ص ٢٢٦ ، الأمثال رقم ٢٣٧ ، ١٨٨٦ ، ١٩١٢ .

٨٦٧- ابن الخطيب : نفاضة الجراب في علالة الاغتراب : نشر أحمد مختار العبادي : ص ١٨٣ .

٨٦٨- أنظر مقدمة ديوان ابن الخطيب : تحقيق محمد مفتاح ضمن المجلد الأول من الديوان : ص ٨٣ ،

مقدمة : كتاب نفاضة الجراب : ص ٢ ، ٢١ .

٨٦٩- ابن القاضي : (أحمد بن محمد بن أحمد) : درة المجال في غرة أسماء الرجال جزمان : نشر علوش

(الرباط ١٩٣٤) ، ج١ : ص ٣٠٥ ، ٣٠٦ .

٨٧٠- ابن القاضي : نفس المصدر : ج١ : ص ١٦٣-١٦٤ ، راجع أيضاً أحمد الطوخى : قيام دولة بني

الأحمر في غرناطة : رسالة ماجستير غير منشورة : آداب الإسكندرية ١٩٧٤ . ص ١٧٦-١٧٧ .

ولاقول فى تحريمها عند مالك ولاحد عند الشافعى وأحمد
 ولاثبت النعمان تنجيس عينها فخذها بحد مشرفى مهنـد
 وفيها معان ليس للخمر مثلها فلا تستمع فيها كلام المفنـد
 ستبدى لك الأيام ما كنت جاهلاً ويأتيك بالأخبار من لم تزود

ولاشك أن الحشيش بدأ انتشاره فى المشرق، ثم انتقل إلى بلاد الأندلس بعد ذلك ويبدو أن بلاد المغرب والأندلس كانا فى مأمن من تلك الآفة حتى القرن السابع الهجرى، والدليل على ذلك تلك الملاحظة التى أبدأها الرحالة الفرناطى ابن سعيد المغربى حين زار مصر خلال القرن السابع الهجرى (٨٧١)، إذ عاب على المصرين أكلهم للحشيشة مبيئاً أن أمثال هذه العادات القبيحة لا توجد فى بلاده (٨٧٢).

ويؤكد الجرسفى (٨٧٣) أيضاً انتشار تلك الآفة حيث أهاب بالمحتسب أن يضرب على أيدي الحشاشين .

يقول : «وجب عليه أن يمنع أهل الأذىة جُملة ، كالحشاشين المنتحلين لذوات السموم لاختلاف أنواعها خيف الأذىة وعدم معرفتهم بالترىقات» .

التغزل بالغلمان «المذكر» التشبيبي:

كانت عادة التغزل بالغلمان (التشبيبي) ظاهر اجتماعية متفشية فى المجتمع الأندلسى وتخلو المصادر التاريخية من النصوص التى تشير إلى أحداث وقعت من العامة وهو أمر طبيعى فالمؤلفات التاريخية، قلما تتوقف أمام هذه الطبقة من المجتمع وعلى النقيض تقدم لنا الكتب التاريخية الكثير من الأمثلة على انتشار تلك الظاهرة الاجتماعية بين طبقة الخاصة (٨٧٤)

٨٧١- أحمد الطوضى : نفس المرجع : ص ١٧٧ .

٨٧٢- ابن الخطيب : نفاضة الجراب: ص ٢١ ، المرقى نفس المصدر : ج ٢ ص ٣٤٨ .

٨٧٣- الجرسفى: رسالة فى الحسبة ضمن ثلاثة رسائل أندلسية عن الحسبة نشر ليفى بروفنسال : القاهرة

سنة ١٩٥٥ ص ١٢٣ .

٨٧٤- حمدى عبد المنعم : مجتمع قرطبة : ص ٥٢٥ .

فى المجتمع الأندلسى، وتدل على ذلك أخبارهم وأشعارهم فتجاوزت شهرتهم حدود الأندلس، حتى أن ابن دقيق العيد قال لابن حيان النحوى: «أنتم يا أهل الأندلس فيكم خصلتان: محبتكم الشباب وشربكم الخمر» (٨٧٥) يقول أبو الحسن على بن موسى بن سعيد، متم كتاب المغرب فى حلى المغرب متغزلاً فى غلام جميل، الصورة (٨٧٦):

ناب ما أهديت عن عـــــــ
 رف وعن ريبـــــــق وخذ
 حبذا تفاحــــة قد
 أشبهت أوصاف مهدي
 بت منها فى سرور
 فكأن قد بت عندي

أما الأمير هشام بن عبد الرحمن الأوسط فقد أولع بحب غلام له يسمى ريحان فأنشده متغزلاً (٨٧٧):

أحبك يا ريحان ما عشت دائماً
 ولولاك لم أهو الظلام وسهده
 ولولا فى حبك الأتس والجبان
 ولا حبيت لى فى زر الدار غريان
 وما أعشق الريحان إلا لأنه
 شريكك فى اسم فيه قلبى هيمان
 على أنه لم يكمل الظرف مجلس
 إذا لم يكن فيه مع الراح ريحان

ويبدو أن هوى الغلمان واللواط بهم كان منتشرًا بين أوساط الطلبة فى الكتاتيب وأماكن العلم.

فهناك المؤدب أبو عبد الملك بن عثمان بن المثنى القيسى القرطبى الذى أدب أولاد الأمير عبد الرحمن الأوسط وأولاد ولده الأمير محمد، وكان قد زاره بعض إخوانه فى مكتبته بقصر قرطبة، وهو يعلم ولذا للأمير محمد جميل الصورة، قال: كيف حالك مع هذا الرشأ؟ فقال: لا أزال أشرب خمر عينيه فلا أروى وهو يسقيها دائماً وأنشأ يقول (٨٧٨):

٨٧٥- الأدفوى: الطالع السعيد: تحقيق سعد محمد حسن: الدار المصرية للتأليف والترجمة: عام ١٩٦٦: ص ٥٨٤.

٨٧٦- المقرئ: نفس المصدر: ج ٢: ص ٢٦٧-٢٦٨.

٨٧٧- المقرئ: نفس المصدر: ج ٣: ص ٥٧٩.

٨٧٨- ابن سعيد: المغرب: ج ١: ص ١١٣ «هو أبو عبد الملك عثمان بن المثنى القيسى القرطبى وصفه =

صناعة عيني السُّهاد وإنما
صناعة عينيه الخلابه والسحر
ولو بغناء الدهر أرجو نواله
إذا لوددنا أنه فنسى الدهر

كما اشتهر عن مؤدب أولاد الأمير عبد الرحمن بن الحكم أبو محمد عبد الله بن بكر بن سابق الكلاعى حبه وولعه بالفلمان وهو القائل (٨٧٩):

صبرت ومالى بالتصبر طاقة
فيا ليت قلبى مثل قلبك صابر

كما ينقل لنا ابن سعيد المغربى عن الحميدى أن عبدالله بن حسين بن عاصم الثقفى القرطبى كان من جلساء الأمير محمد بن عبد الرحمن وأنه شرب معه يوماً وغلّام جميل الصورة يسقيهم، فألم الأمير على الغلام فى سقى عبدالله ، فقال (٨٨٠):

يا حسن الوجه لا تكن صلفاً
ما الحسان الوجهة والصلف
يحسن أن تحسن القبيح ول
ترثى للصب متيم دنف

فخيره الأمير محمد بن عبد الرحمن بين بدرة من المال والغلام، فاختر البدرة خوفاً من الفتنة .

وقد أورد ابن حزم فى كتابه طوق الحمامة الكثير من أمثلة الانحلال الخلقى فى الأندلس فيذكر أن الكاتب ابن قزمان(*) امتحن بمحبة أسلم بن عبد

= ابن حيان بمعرفة اللغة والتجويد فى الشعر، كان شجاعاً مكثراً للغزو فى الشفور وأدب أولاد عبد الرحمن بن الحكم سلطان الأندلس وولد فى صدر دولة هشام الرضا، فأدرك أربعة سلاطين من المروانية آخرهم محمد، توفى سنة ثلاث وسبعين ومائتين عن أربع وتسعين سنة ، ترجم له ابن الفرضى فى كتابه تاريخ علماء الأندلس: ص ٣٠٢-٣٠٣ ، وابن الأبار : التكملة ص ٤٣٤ .

٨٧٩- ابن سعيد : نفس المصدر والجزء والصفحة « كان مؤدباً بالنحو عالماً باللسان ، مبرزاً فى الشعر ، أديباً بليغاً ترجم له ابن الأبار فى التكملة : ص ٤٣٤ ، وكذلك ابن الفرضى فى كتابه تاريخ علماء الأندلس : ص ٩٤ .

٨٨٠- ابن سعيد : المغرب : ج ١ ص ١٠١ .

(*) هو أحمد بن قزمان الكاتب الشهير باهن كليب ، كان شاعراً أندلسياً نحوياً متفققاً قد أحب أسلم وأوقف شعره عليه حتى فشت أخباره وجرت بها الألسنة ، ومات بسبب حبه هذا كما فى رواية ابن حزم ، ويظن أنه من أسلاف الشاعر الزجال ابن قزمان الذى عاش فى القرن الثانى عشر الميلادى وقد اختصر ابن حزم هذه =

العزیز(*) ، أضى الحاجب هاشم بن عبد العزيز وكان أسلم غاية فى الجمال، حتى قيل أن ابن قزمان قد بلغ من حبه لأسلم بن عبد العزيز وولعه به أن أصابه المرض ، فكان أسلم كثير الزيارة له دون أن يعلم أنه السبب وراء مرض ابن قزمان ، فلما توفى ابن قزمان ، وعلم أسلم بسبب علته وموته فتأسف عليه، وقال لمن أخبره لماذا لم تخبرنى بسبب مرض ابن قزمان، حتى كنت أزيد صلتى به وزيارته . ومن بين ما قاله فى أسلم وتغنى به النكورى الزامر فى حفلة من حفلات الأعراس قوله :

أسلمنى فى هواه أسلم هذا الرشا(٨٨٢) غزال له مقلّة يصيب بها من يشا
ولو شاء أن يرتششى على الوصل روحى ارتششا

كذلك يروى ابن حزم قصة موت أبى عبدالله محمد بن يحيى بن محمد بن الحسين التميمى المعروف بابن الطنبى نقلاً عن أبى بكر المصعب بن عبد الله الأزدي قال سألت ابن الطنبى عن سبب علته ونحوه وظهور علامات الشيخوخة عليه على الرغم مما كان يشتهر به من الحسن والجمال، فقال ابن الطنبى لقد كنت واقفاً بباب دارى حين دخول على بن حمود قرطبة بجيوشه،

= الرواية ولكن الضبى ذكرها بالتفصيل فى كتابه «البنية» كذلك أوردتها الحميدى ، القاهرة ١٣٣٨ هـ : ص١٦٢ ، راجع أيضاً ابن الأبار : الحلة السيرة ج١ : ص١٣٧ وما بعدها ، ابن سعيد المغرب : ج٢ ، ص٩٤ ، راجع : ابن حزم : طوق الحمامة: تحقيق الطاهر مكى: طبعة ١٩٩٣: ص١٥٢ ، ص١٥٣ . هذا وقد أخطأ د. حمدى عبد المنعم فى كتابه مجتمع قرطبة حين اعتبر أحمد بن قزمان غير أحمد ابن كليب فكلاهما واحد .

(*) أسلم ابن عبد العزيز اسمه كاملاً أبو الحسن أسلم بن أحمد بن سعيد بن أسلم بن عبد العزيز ويتنهى نسبه إلى إبان بن عمرو ، مولى عثمان بن عفان رضى الله عنه، وكان أسلم من كبار فقهاء الأندلس جلس إلى بكر بن مخلد وسمع منه ورحل إلى المشرق ٢٦٠هـ / ٨٧٣م وتوقف بالقاهرة ودرس على أعلام المالكية بها ثم عاد إلى قرطبة وتولى فيها قضاء الجماعة مرتين وله كتاب فى أغانى زرياب كان مشهوراً فى أيامه ، ضاع ولم يصلنا تولى القيادة والإمارة للأمير محمد بن عبد الرحمن ، راجع : ابن حزم : نفس المصدر والصفحة .

٨٨١- ابن حزم : نفس المصدر : والصفحات .

٨٨٢- الضبى : بنية الملتبس : ص٢٠٢ ، ٢٠٣ ، ترجمة رقم (٤٦٢) .

فرأيت فى جملة جنوده فتى لم أقدر أن للحسن صورة قائمة حتى رأيتة فغلب على عقلى ولافارقتى حبه (٨٨٣).

ومن صور الانحلال الخلقى فى الأندلس أيضاً ما أورده ابن حزم فى طوقه عن الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط كان والده قد غادر قرطبة فى بعض غزواته، وترك ابنه الأمير محمد على السطح نائباً عنه، ولم يأذن له بالخروج أبداً ورتب معه فى كل ليلة وزيراً من الوزراء وفتى من أكابر الفتیان بيبتان معه فى السطح واستمر على ذلك فترة من الزمن وهو بعيد عن نسائه وأهله، وكان الأمير فى سن العشرين وقد وافق أن بات معه فى إحدى الليالى الوزير بن غانم ومعه فتى من أكابر الفتیان، وكان هذا الفتى صغير السن وعلى درجة كبيرة من الجمال، فيروى الوليد بن غانم أنه خشى على الأمير فى تلك الليلة من ارتكاب المعصية عندما رأى درجة جمال وحسن هذا الفتى، فظل ساهراً يراقب الأمير، فلما مضى هزيع من الليل، رأى الأمير وقد غادر فراشه فتعوذ من الشيطان وعاد إلى فراشه، وتكرر من الأمير ذلك ثلاث مرات وفى المرة الثالثة استدعى الفتى، وطلب منه أن يترك السطح ويهبط إلى الفيصل الذى تحته (٨٨٤).

أما محمد بن هشام بن عبد الجبار بن عبد الرحمن الناصر فكان مظهرراً للخلاعة بحيث اشترى صقلياً كان يتعشقه فقبل فيه (٨٨٥):

أمير الناس سخنه كل عين	يبيت الليل بين مخنشين
يجشم ذا ويلثم خد هذا	ويسكر كل يوم سكرتين
لقد ولوا خلافتهم سفيهاً	ضعيف العقل شيئاً غير رزين

هذا ويتردد عادة عشق الغلمان من طرف أمراء وأعلام الحقبة المرابطية وفقهائها فى كتب السيرة والتراجم فرغم ما عرف عن عبدالله بن عائشة من زهد وورع، فإنه ظل يعشق غلاماً ويهواه (٨٨٦).

٨٨٣- ابن حزم : نفس المصدر : ص ١٥٧ ، ص ١٥٨ .

٨٨٤- ابن حزم : نفس المصدر : ص ١٨٦ ، ص ١٨٧ .

٨٨٥- ابن عذارى : البيان المغرب : ج ٣ : ص ٨٠ .

٨٨٦- ابن خاقان : مطمع الأنفس .

وبشير د. مفتاح إلى آفة التغزل بالغلمان وكلف الأندلسيين بالغلمان وخاصة السود (٨٨٧).
وفى ذلك يقول ابن الخطيب (٨٨٨):

بنفسى حالك شبه السويـدا لذلك ما يحـن له الفـؤاد
أطـيل له التفانى والتماجـى لأن العين ينفعها السواد

أما الأمثال الشعبية فقد صورت تلك الآفة في المجتمع الأندلسي بقول المثل :

«جلوس القط لباب جهنم»

ويقولون أيضاً : « من مقابل لواط مقتول»

ويبدو أن هذا المثل قيل لكثرة حوادث القتل بسبب اللواط والقطم ، فكان مصير اللاتط أن يموت قتيلاً (٨٨٩) ويذكر صاحب الفصون الياصرة قتل بعض الأدباء المعروفين بسبب ذلك (٨٩٠).

وتبعاً لهذه الآفة الخلقية في المجتمع الأندلسي وجدت طائفة من الشواذ يعرفون بالمختئين الذين تروى حولهم بعض الطرف التي تجمع بين الفكاهة والبذاءة وكان في مقدمة هؤلاء رجل اسمه الهيدرورة رويت حوله بعض النوادر الخادشة للحياء ، وكانوا أكثر عدداً في قرطبة منها في أي مدينة أخرى ولقد تجمعوا في حى منها بعينه اسمه درب ابن زيدون ، فكان الناس إذا أرادوا التعريض برجولة إنسان قالوا أنه من درب ابن زيدون (٨٩٢).

٨٨٧- مقدمة ديوان ابن الخطيب : فمن المجلد الأول ص ٨٣ تحقيق محمد مفتاح ج١ دار الثقافة :

١٩٨٩م .

٨٨٨- ديوان ابن الخطيب : ص ٣٢٨ .

٨٨٩- محمد بن شريفة : نفس المرجع : ص ٢٢٦ (مثل رقم ، رقم ١٦٧٦) نفس المرجع والصفحة .

٨٩٠- ابن سعيد : الفصون الياصرة : تحقيق ابراهيم الإبيارى . ص ٤٣ دار المعارف مصر .

٨٩١- ابن جلجل : طبقات الأطباء . : ص ١٠٤ .

٨٩٢- ابن سعيد : المغرب : ج١ : ص ١٧١ ، ص ١٧٢ .

انتشار بيوت الحظوة :

عرفت الأندلس بانتشار بيوت الحظوة بها ، حيث اشتهرت بعض المدن الأندلسية بكثرة الملاهي وأماكن الدعارة مثل قرطبة التي كان يتردد عليها العامة من الناس فضلاً عن الريفيين الذين يهبطون على قرطبة للبيع والشراء (٨٩٣) كذلك عرفت برشانة (٨٩٤) بالمجون يقول عنها ابن الخطيب (٨٩٥) « في هذه المدينة للمجون بها سوق وللفسوق ألف سوق » كذلك عرفت أبدة (٨٩٦) بملاهيها وراقصاتها يقول الشقندي (٨٩٧) : « وما كان بأبدة من أصناف الملاهي والرواقص المشهورات بحسن الانطباع والصفة فإنهن أحذق خلق الله تعالى باللعب بالسيوف والدك وأخراج ، القروي والمرابط والمتوجه » أما أشبيلية (٨٩٨) فكانت مضرب الأمثال في الخلاعة ، وانتهاز فرصة الزمان الساعة بعد الساعة .

هذا وقد فرضت على العاهرات من النساء ضريبة نقدية . وكان يطلق عليهن الخراجيات أي دافعات الخراج ويطلق على بيوت الحظوة نفسها « دار الخراج » (٨٩٩).

ونتيجة لانتشار الزنا كثرت المشاكل الاجتماعية الناتجة عن هذه الجريمة والتي كانت تعرض على الفقهاء ، فقد أشارت كتب النوازل إلى حالة امرأة « حملت من زنى مرتين وأنها قتلت ما ولدت » (٩٠٠) خشية الفضيحة.

٨٩٣- ابن سعيد : المغرب : ج١ : ص ١٧١ ، ص ١٧٢ .

٨٩٤- برشانة حصن بالأندلس : راجع الحميري: الروض المعطار : ص ٤٢ ويذكر الإدريسي في كتابه نزهة المشتاق بأنها مدينة ضمن إقليم بجاية ، راجع الإدريسي: نزهة المشتاق : مجلد ٢ ص ٥٣٧ .

٨٩٥- ابن الخطيب : معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار ص ٥٩ .

٨٩٦- القرى : نفس المصدر : ج١ : ص ١٥٩ .

٨٩٧- القرى : نفع الطبيب : ج٣ : ص ٢١٧ .

٨٩٨- القرى : المصدر السابق : ج١ : ص ١٥٩ .

٨٩٩- راجع الطاهر مكى : دراسات عن ابن حزم وكتاب طوق الحمامة : ص ٤٩ . دار المعارف مصر .

Provencal : Histoire: vol : III . p. 446 .

٩٠٠- ابراهيم القادر بوتشيش : أثر الأزمة الأخلاقية في سقوط الإسلام بالأندلس: ص ١٩ .

وأصبح إسقاط الجنين من بطن الزانية مسألة تتردد في كتب الفتاوى^(٩٠١).

بل هناك من النوازل التي عرضت على ابن لبابة (ت في ق٤هـ) أن بلغ الأمر بالرجل أن يقول عن زوجته «هذا الحمل الظاهر بها ليس مني»^(٩٠٢) وهناك من رأى زوجته وتدعى سعدونة تزني»^(٩٠٣).

كما أن هناك من تلاعب بالسنة مثال ذلك من طلق زوجته وجامعها حراماً قيل أن يراجعها^(٩٠٤) وفي هذا ما يدل على أن جرائم الزنا كانت منتشرة ويذكر ابن حبان^(٩٠٥) أن الوزير ابن السقاء قد اتخذ على عادة الموسرين داراً أخرى غير داره للخلوة أطلق عليها دار اللذة كان يقضى فيها راحته بعد الانتهاء من أحكامه فإذا جاء الليل عاد إلى دار سكناه التي فيها أهله .

كذلك انتشرت الفنادق التي يمارس فيها الرجال مع النساء الخراجيرات وفيهن ورد هذان المثالان^(٩٠٦):

«انجبرت الخرجير بصاكل»

«فندق بن راغو : نصارى ويهود ومسلمين أن لطاف»

وكان لشيوع الدعارة والزنا أن جاءت بعض الأمثال لتسخر من الرجال الذين لا يشبعون من الخبز وليس لهم مال ولا منزل ومع ذلك يتتبعون النساء .
كذلك وردت أمثال تنهى عن الزنا يقول المثل^(٩٠٧):

٩٠١- نفس المرجع : ص ٢٠ .

٩٠٢- نورة التويجى : مخطوط الأعلام بنوازل الأحكام لابن سهل : ص ٤٢٩ ، ص ٤٣٠ «شورى في نفي فصل» .

٩٠٣- نورة التويجى: المرجع السابق : ص ٧٠ .

٩٠٤- الونشريشى : المعيار المغرب: ج٤ : ص ٥٧ .

٩٠٥- ابن بسام : الذخيرة : ١ - ٤ : ص ١٩٠ .

٩٠٦- محمد بن شريفة : نفس المرجع : ص ٢٢٨ (مثل ابن عاصم رقم ٢٤٤) و (مثل رقم ١٧٧) .

٩٠٧- المرجع السابق : ص ٢٢٧ مثل رقم ١٠٣٠ ، ١٣٧٥ .

« لاتسرق مع من سرق ولا تزن مع من زنا »

كذلك يقول (٩٠٨) المثل الأندلسى فى أولاد الزنا

« جواب أولاد الزنا السكوت »

ويقول أيضاً (٩٠٩) :

« لولا كلام الناس كان يمشى الذيب فى السوق » (٩١٠).

والخلاصة أن المجتمع الأندلسى لم يخرج عن ما أكده ابن خلدون أن مفاسد الأخلاق تؤدى حتماً إلى تداعى الدول وانهيار الأمم فكان لانهيار القيم الأخلاقية أثر فى زوال ملك المسلمين فى الأندلس .

٩٠٨- نفس المرجع : نفس الصفحة (مثل رقم ٢٠٢٣) .

٩٠٩- نفس المرجع : ص ١٣١ مثل رقم (٧٩١) .

٩١٠- نفس المرجع : ص ١٣٢ : (مثل رقم ٩٢١٤) .

المصادر والمراجع

أولاً : المخطوطات :

ابن سهل : أبو الأصمغ عيسى (ت ٤٦٨هـ)

- الأحكام الكبرى مخطوط .

ثانياً : المصادر المطبوعة:

ابن الأبار : (أبو عبد الله محمد بن عبد الله) (ت ٦٥٨هـ) .

- الحلة السيرة : تحقيق حسين مؤنس القاهرة ١٩٦٣ .

- التكملة لكتاب الصلة ج١ نشر مكتبة الخانجي بالقاهرة والمثنى ببغداد سنة ١٩٥٦ م .

- الجزء الخامس والعاشر من مجموعة المكتبة الأندلسية .

- المقتضب من تحفة القادم : تحقيق إبراهيم الإبياري المطبعة الأميرية: القاهرة سنة ١٩٥٧ .

ابن أبي أصيبعة : (موفق الدين أحمد بن القاسم) (ت . سنة ٦٦٩هـ) .

- عيون الأنباء في طبقات الأطباء : تحقيق نزار رضا بيروت سنة ١٩٥٦ .

ابن الأثير : (علي بن أحمد بن أبي الكرم) (ت ٦٣٠) .

- الكامل في التاريخ القاهرة ١٣٥٣هـ، بيروت سنة ١٩٦٧ .

ابن أبي دينار القهرواني :

- المؤنس في أفريقية وتونس طبعة تونس، ١٢٨٦هـ - ١٨٦٩م .

ابن أبي زرع : (أبو الحسن علي بن عبدالله) .

- الأنيس المطرب بروض القرطاس وتاريخ مدينة فاس طبعة دار المنصور الرباط سنة ١٩٧٢ .

الأعمى التطيلي :

- ديوان الأعمى التطيلي ، تحقيق إحسان عباس : بيروت ١٩٦٣ .

الأدقوى :

- الطالع السعيد : تحقيق سعد محمد حسن الدار المصرية، للتأليف والترجمة سنة ١٩٦٦م، تحقيق ابراهيم الإبيارى، دار المعارف فى مصر.
- الإدريسى : (محمد بن عبد الله بن إدريس الشريف) (ت٥٥٨هـ) .
- صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس المعروف بنزهة المشتاق فى اختراق الآفاق ، طبعة دار عالم الكتب : سنة ١٩٨٩ وطبعة دوزى R. Dozy ودى جوجه De Goje ليدن ١٨٦٦ .
- ابن بطوطة : (محمد بن عبدالله اللواتى الطنجى)
- الرحلة المسماة تحفة النظار فى غرائب الأمصار ترجمه وكتب حواشيه طلال حرب : دار الكتب العلمية سنة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .
- ابن بسام : (أبو الحسن على بن بسام) (ت٩٤٢هـ) .
- الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة.
- تحقيق احسان عباس ، بيروت سنة ١٩٧١ .
- الجزء الأول المجلد الأول، القاهرة ١٩٣٩ .
- الجزء الأول القسم الثانى القاهرة ١٩٤٢ .
- والجزء الرابع القسم الأول القاهرة ١٩٤٥ .
- ابن بسام : (محمد بن أحمد بن بسام المحتسب ت فى القرن التاسع الهجرى) .
- نهاية الرتبة فى طلب الحسبة دار المعارف بغداد سنة ١٩٦٨م .
- ابن بشكوال : (أبو القاسم خلف بن عبدالمملك) (ت٥٧٨هـ) .
- الصلة فى تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم: القاهرة سنة ١٩٦٦م .
- البكرى : (أبو عبدالله محمد بن عبد العزيز البكرى) (ت٤٨٧هـ)
- المغرب فى ذكر بلاد أفريقيا والمغرب نشر دى سلان ١٩٩١م، ومكتبة المثنى بغداد.

ابن بلقين (عبدالله) .

- التبيان عن الحادثة الكائنة بدولة بنى زبرى فى غرناطة نشره ليفى بروفنسال سنة ١٩٢٨ م باريس ، طبعة الرباط دار المنصور سنة ١٩٧١ .

التادلى: (أبو يعقوب يوسف بن يحيى بن عيسى بن عبد الرحمن) .

- التشوف إلى رجال التصوف نشره وصححه أدولف فور ١٩٥٨ الرباط .

ابن جلجل : (أبو داود سليمان بن حسان) (ت أواخر القرن الرابع الهجرى) .

- طبقات الأطباء والحكماء تحقيق عبد السلام هارون القاهرة سنة ١٩٧١ م ، ج١ ، ج٢ ، تحقيق ليفى بروفنسال : دار المعارف سنة ١٩٤٨ القاهرة .

- رسالة فى فضل الأندلس : ضمن ثلاث رسائل فى فضائل الأندلس ، تحقيق صلاح المنجد بيروت سنة ١٩٦٨ .

- رسائل ابن حزم : ج١ تحقيق إحسان عباس بيروت ١٤٠١ هـ .

- طوق الحمامة فى الإلفة والألاف : تحقيق الطاهر أحمد مكى الطبعة الخامسة ١٩٩٣ . دار المعارف .

الحميدى : (أبو عبد محمد بن أبى نصر) (ت ٤٨٨) .

- جذوة المقتبس فى ذكر ولاية الأندلس القاهرة سنة ١٩٦٦ م .

الحميرى : (أبو عبدالله محمد بن عبد الله) (ت ٨٦٦) .

- الروض المعطار فى خبر الأقطار حققه إحسان عباس ، بيروت سنة ١٩٧٥ .

صفة جزيرة الأندلس مأخوذة من الروض المعطار : تحقيق ليفى بروفنسال ، القاهرة سنة ١٩٣٧ .

ابن حوقل : (أبو القاسم محمد بن على) (ت ٣٦٧هـ) .

- صورة الأرض ، نشر مكتبة الحياة : بيروت سنة ١٩٧٩ .

ابن حيان : (أبو مروان بن حيان القرطبى) (ت ٤٦٩) .

- المقتبس من أنباء أهل الأندلس تحقيق ملشور أنطونية باريس سنة ١٩٣٧ م .

- المقتبس ج ٥ ، تحقيق شالميتا وآخرون مدريد سنة ١٩٧٩ .

- المقتبس فى أخبار بلد الأندلس . تحقيق عبد الرحمن الحجى بيروت سنة ١٩٦٥ .

ابن خاقان : (الفتح بن خاقان) (ت ٥٢٩) .

- قلائد العقيان فى محاسن الأعيان ، مصور عن طبعة باريس المكتبة العتيقة تونس .

- مطمح الأنفس ومسرح التأنس فى ملح أهل الأندلس : القسطنطينية ١٣٠٢هـ وتحقيق على شوابكة، دار عمار مؤسسة الرسالة : ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .

الحشنى : (أبو عبدالله محمد بن حارث بن أسد الحشنى) (ت ٣٦١) .

- قضاة قرطبة وعلماء أفريقية، نشره عزت العطار الحسنى القاهرة سنة ١٩٥٢ .

ابن خلدون (عبد الرحمن بن خلدون) .

- المقدمة طبعة بيروت .

- كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر بيروت سنة ١٩٦٥ ، طبعة بولاق. بيروت سنة ١٩٧١ .

ابن الخطيب : (لسان الدين ابن الخطيب المسلمانى) (ت ٧٧٦)

- الإحاطة فى أخبار غرناطة ٤ أجزاء تحقيق محمد عبدالله عنان القاهرة سنة ١٩٣٧ .

- أعمال الأعلام فىمن بربع قبل الاحتلال من ملوك الإسلام القسم الثانى تحقيق ليفى بروفنسال بيروت سنة ١٩٦٥ .

- أعمال الأعلام القسم الثالث ، تحقيق أحمد مختار العبادى ومحمد إبراهيم الكتانى: تحت عنوان تاريخ المغرب العربى فى العصر الوسيط : الدار البيضاء سنة ١٩٦٤ .

- نفاضة الجراب فى علالة الاغتراب تحقيق أحمد مختار العبادى دار الكاتب العربى .

- ديوان ابن الخطيب : تحقيق محمد مفتاح .

ابن خفاجة : (الديوان) تحقيق سيد غازى منشأة دار المعارف الإسكندرية الطبعة الثانية سنة ١٩٧٩ .

الذبيدى : أبو بكر الذبيدى الأندلسى (ت ٣٧٩) .

- طبقات النحويين واللغويين تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم : دار المعارف مصر سنة ١٩٧٣ .

الزجال : (عبدالله بن أحمد الزجالى) (ت ٦٩٤هـ) .

- أمثال العوام فى الأندلس : تحقيق محمد بن شريفة المعروفة باسم أمثال أبى يحيى الزجالى : رسالة ماجستير . غير منشورة كلية الآداب جامعة القاهرة ١٩٦٨م .

ابن زيدون :

- ديوان ابن زيدون : شرح وتحقيق على عبد العظيم القاهرة سنة ١٩٠٧ .

ابن سعيد : (المغربى الأندلسى) (ت ٦٧٣هـ) .

- المغرب فى حلى المغرب جزاء تحقيق شوقى ضيف القاهرة سنة ١٩٦٤ .

- المقصف فى أخبار الطرف القاهرة ١٩٨٣ تحقيق سيد حنفى .

- الفصون اليانعة : تحقيق إبراهيم الإبيارى دار المعارف مصر .

ابن سعيد الصفاقسى :

- نزهة الأنظار تونس ١٣٣١هـ .

ابن سهل : (أبو الأصبع عيسى بن سهل بن عبدالله الأموى) .

- مخطوط الأعلام بنوازل الأحكام السفر الأول والثانى: تحقيق نورة محمد عبد

العزیز التويجى رسالة ماجستير مقدمة كلية الآداب جامعة الملك سعود الرياض

١٤٠١هـ مخطوط رقم (٣١٦) .

- وثائق فى أحكام الجنائى فى الأندلس مستخرج من الأحكام الكبرى تحقيق

عبد الوهاب خلاف .

المسقطى : (أبو عبدالله محمد بن أبى محمد) (ت ٦٣١) .

- آداب الحسبة، نشره ليفى بروفنسال باريس سنة ١٣٣١م .

الشقنقى : (إسماعيل بن محمد) .

- رسالة فى فضل الأندلس وأهلها ضمن ثلاث رسائل فى فضائل الأندلس
تحقيق صلاح المنجد بيروت ١٩٦٨م .

صاعد : (ابن أحمد بن صاعد الأندلسى) (ت ٤٦٢هـ) .

- طبقات الأئم، نشره وذيله بالحواشى لريس شيخو اليسوعى بيروت سنة
١٩١٢م .

ابن صاحب الصلاة : (عبد الملك) .

- تاريخ المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين .
- السفر الثانى : تحقيق عبد الهادى التازى بيروت سنة ١٩٦٤ وأجمهورية
العراقية . سنة ١٩٧٩ .

الضبي : (أحمد بن يحيى بن عميرة) (ت ٥٥٩هـ) .

- بغية الملتمس فى تاريخ رجال الأندلس القاهرة سنة ١٩٦٧م .

الطرطوشى : (أبو بكر محمد بن الوليد) (ت ٥٢٠هـ) .

- الحوادث والبدع . تحقيق محمد الطالبى ، تونس سنة ١٩٥٩ .

ابن عبد ربه : (أبو عمر أحمد بن محمد) (ت ٣٢٨هـ) .

- العقد الفريد تحقيق محمد سعيد العربان : طبعة القاهرة بدون تاريخ .

ابن عبدون : (محمد بن أحمد التجيبى)

فى القضاء والحسبة (ضمن مجموعة ثلاث رسائل أندلسية فى الحسبة) تحقيق
ليفى بروفنسال القاهرة سنة ١٩٥٥م .

ابن علقارى : (محمد المراكشى) (ت أواخر القرن السابع الهجرى) .

- البيان المغرب فى أخبار الأندلس والمغرب ج٢ ج٣ تحقيق ليفى بروفنسال : .
دار الثقافة بيروت .

ابن عبد الرؤوف : (أحمد بن عبد الله) .

- آداب الحسبة والمحتسب (ضمن ثلاث رسائل فى الحسبة) تحقيق ليفى
بروفنسال : مطبعة المعهد العلمى للدراسات الشرقية القاهرة : سنة ١٩٥٥ .

العلوى : (أحمد بن عمر) (ت ٤٧٨هـ) .

- نصوص عن الأندلس ضمن كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان فى غرائب البلدان .

- والمسالك إلى جميع الممالك تحقيق عبد العزيز الأهوانى مدريد سنة ١٩٦٥م .

ابن عربى : (محيى الدين ابن عربى) (ت ٦٣٨) .

- محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار فى الأدبيات والنوادر والأخبار القاهرة سنة ١٩٠٦ .

ابن عمر : (يحيى بن عمر) (ت ٢٨٩) .

- كتاب أحكام السوق تحقيق محمود على مكى .

- صحيفة معهد الدراسات الإسلامية مدريد سنة ١٩٥٦م .

العمري : (شهاب الدين أحمد بن يحيى) (ت ٧٤٨) .

- مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار ج١ تحقيق أحمد زكى باشا القاهرة ١٩٢٤م .

- وصف إفريقية والمغرب والأندلس : تحقيق حسن حسنى عبد الوهاب تونس .

عبد الملك المراكشى : (أبو عبدالله محمد بن محمد بن عبد الملك) (ت ٧٠٣) .

- الذيل والتكملة لكتاب الموصول والصلة السفر الخامس تحقيق إحسان عباس دار الثقافة سنة ١٩٦٥ .

عريب ابن سعيد القرطبي :

- تقويم قرطبة : نشر مع ترجمة فرنسية دوزى : ليدن برايل : الطبعة الجديدة سنة ١٩٦١ .

ابن العطار القرطبي :

- الوثائق والسجلات : نشر بدروشالميتا وكورنيطى : مدريد ١٩٨٣م .

ابن عبد البر :

- بهجة المجالس : تحقيق محمد مرسى الخولى طبعة دار الكاتب العربى ج١ .

ابن غالب : (محمد بن أيوب) (ت فى القرن السادس الهجرى) .

- قطعة من كتاب فرحة الأتفس تحقيق لطفى عبد البديع مجلة معهد

المخطوطات العربية سنة ١٩٥٥ وطبعة المحقق سنة ١٩٥٦ .

ابن الفرضى : (أبو الوليد عبدالله بن محمد) (ت ٤٠٣) .

- تاريخ علماء الأندلس القاهرة سنة ١٩٦٦ م .

القلقشندى : (أبو العباس أحمد) (ت ٨٢١هـ) .

- صبح الأعشى فى صناعة الانشاء القاهرة سنة ١٩١٣ م ج٥ .

ابن القوطية : (محمد بن عمر بن عبد العزيز) (ت ٣٦٧ هـ) .

- تاريخ افتتاح الأندلس تحقيق عبد الله أنيس الطباع بيروت سنة ١٩٧٥ م .

إبراهيم الإبيارى الطبعة الأولى سنة ١٩٨٢ وطبعة رابير مدريد سنة ١٩٧١ م .

ابن القاضى : (أحمد بن محمد بن أحمد بن دره) .

- الحجال فى غرة أسماء الرجال جزمان نشر علوس الرباط سنة ١٩٣٤ م .

ابن القاضى : (محمد بن أحمد) .

- جذوة الاقتباس فىمن حل من الأعلام مدينة فاس .

ابن الكردبوس : (أبو مروان عبد الملك) (ت ٦٨١هـ) .

- تاريخ الأندلس ووصفه لابن الشباط .

- نسان جديدان تحقيق أحمد مختار العبادى مدريد سنة ١٩٧١ م .

المراكشى : (عبد الواحد بن على) (ت فى القرن السابع الهجرى) .

- المعجب فى تلخيص أخبار المغرب تحقيق محمد سعيد العريان ومحمد العرب

العلمى ١٩٤٩ ، ١٩٦٥ .

المسعودى : (أبو الحسن على بن الحسين) (ت ٣٤٦) .

- مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق محى الدين عبد الحميد القاهرة سنة ١٩٦٥ .

المقرئ : (شهاب الدين أحمد بن محمد) (ت ٤١٠ هـ) .

- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب، تحقيق محيى الدين عبد الحميد القاهرة سنة ١٩٤٩م، تحقيق إحسان عباس بيروت سنة ١٩٦٨، تحقيق يوسف البقاعى سنة ١٩٨٢م .

مجهول :

- أخبار مجموعة فى فتح الأندلس وذكر أمرائها والحروب الواقعة بينهما تحقيق ونشر لافونتى القنطرة مدريد سنة ١٨٦٦م .

مجهول :

- كتاب الطيبخ فى المغرب والأندلس نشره أورشى ميراندا مجلة معهد الدراسات الإسلامية مدريد مجلد ٩ ، ١٠ ، ١٩٦١ ، ١٩٦٢ .

مجهول :

- مدونة من عصر عبد الرحمن الثالث الناصر، نشر ليفى بروفنسال وغرية غومس مدريد سنة ١٩٥٠ .

مجهول : (من أهل القرن الثامن الهجرى) .

- الحلل الموشية فى ذكر الأخبار المراكشية تحقيق سهيل زكار وعبد القادر زمامة دار الرشاد الدار البيضاء : المغرب الطبعة الأولى سنة ١٣٩٩-١٩٩٠ .

مجهول : من أهل القرن الثامن الهجرى - الرابع عشر الميلادى .

- ذكر بلاد الأندلس : تحقيق لويس مولينا : مدريد سنة ١٩٨٣م المجلس الأعلى للأبحاث العلمية معهد ميجل الأعلى للأبحاث العلمية معهد ميجل آسيد .

مجهول :

- نخبة تاريخية لأخبار البربر فى القرون الوسطى المعروفة باسم مفاخر البربر جمعها ونشرها ليفى بروفنسال سنة ١٩٣٢م .

مجهول :

- الاستبصار فى عجائب الأمصار نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد مطبعة
جامعة الإسكندرية سنة ١٩٥٨ .

مجهول :

- ذكر بعض مشاهير فاس فى القديم تحقيق عبد القادر زمامة مجلة البحث
العلمى الرباط.

أبو المحاسن : (جمال الدين ابن تغرى بردى) .

- النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة طبعة دار الكتب المصرية سنة ١٩٥٦ .

ابن ماجة المحتسب :

- نهاية الرتبة فى طلب الحسبة .

النهاى : (أبو الحسن عبدالله بن الحسين) (ت . ١١٤ هـ)

- تاريخ قضاة الأندلس المسمى المرقبة العليا فيمن يستحق القضا والفتيا .

النويرى : (أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم البكرى)

- نهاية الأرب فى فنون الأدب ج٢٢ نشر جسبار رامير غرناطة سنة ١٩١٦م-

. ١٩١٧

الونشريشى : (أبو العباس أحمد)

- المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقيا والأندلس مطبعة

الشافعية بدون تاريخ فاس .

ياقوت الحموى : (شهاب الدين أبو عبدالله) (ت٦٢٦) .

- معجم البلدان : طبع دار صادر بيروت ١٩٧٥ .

يعقوب زكى :

- ديوان الكاتب العربى . القاهرة بدون تاريخ .

المراجع العربية :

- إبراهيم القادري بوتشيش :

- أثر الأزمة الأخلاقية فى سقوط الإسلام بالأندلس .

أحمد إبراهيم الشعراوى :

- الأمويون أمراء الأندلس الأول ، القاهرة سنة ١٩٦٦ م .

أنيس النصولى :

- الدولة الأموية فى قرطبة بغداد سنة ١٩٢٦ .

إحسان عباس :

- تاريخ الأدب الأندلسى - (عصر سيادة قرطبة) بيروت ١٩٦٩ .

- دراسات فى الأدب الأندلسى بالاشتراك مع وداد القاضى وألبير مطلق، الدار العربية للكتاب ليبيا وتونس ١٩٧٨ .

- أخبار الغناء والمغنيين فى الأندلس : مجلة الأبحاث ج١ بيروت سنة ١٩٦٨ .

أحمد أمين :

- ظهر الإسلام ج٣ بيروت سنة ١٩٦٩ .

أحمد بدر :

تاريخ الأندلس فى القرن الرابع الهجرى دمشق سنة ١٩٧٤ .

- دراسات فى تاريخ الأندلس وحضارتها من الفتح حتى سقوط الخلافة ، دمشق سنة ١٩٧٢ .

أحمد مختار العبادى :

دراسات فى تاريخ المغرب ، الإسكندرية ١٩٦٨ م .

الصقالبه فى أرض أسبانيا وعلاقتهم بحركة الشعبوية : مدريد سنة ١٩٥٣ .

- الأعياد فى مملكة غرناطة مجلة معهد الدراسات الإسلامية فى مدريد المجلد الخامس عشر سنة ١٩٧٠ .

فى تاريخ المغرب والأندلس طبعة ١٩٧٨ .

- الإسلام فى أرض الأندلس مجلة عالم الفكر الكويت سنة ١٩٧٩ م .

أحمد هيكل :

الأدب الأندلسى من الفتح حتى سقوط الخلافة ، القاهرة سنة ١٩٧٩ .

أمهرسيو هويشى ميراندا :

المطبخ الأيبانى خلال العصر الموحدى مجلة معهد الدراسات الإسلامية .

مدريد المجلد الخامس عشر سنة ١٩٥٧ .

بروفنسال لىنى :

- محاضرات فى أدب الأندلس وتاريخها ترجمة عبد الهادى شعيرة مطبوعات

جامعة الإسكندرية سنة ١٩٥١ .

جودة الركابى :

- فى الأدب الأندلسى القاهرة سنة ١٩٧٥ .

حسن على حسن :

- الحضارة الإسلامية فى المغرب والأندلس فى عصر المرابطين والموحدين مكتبة

الخانجى مصر ١٩٨٠ م .

حسين مؤنس :

- فجر الأندلس القاهرة ١٩٥٠ م .

- معالم تاريخ المغرب والأندلس ١٩٨٠ م .

- ثورات البحر فى إفريقية حولية كلية الآداب عدد ١٠ سنة ١٩٤٨ .

- حكمة على الأوسى : فصول فى الأدب الأندلسى فى القرنين الثانى والثالث

للهمجة مكتبة الخانجى القاهرة .

حمدى عهد المنعم :

- مجتمع قرطبة فى عصر الدولة الأموية رسالة دكتوراة غير منشورة آداب

الإسكندرية ١٩٨٤ .

حمدى عبد المنعم حسين :

- أعضاء : حول ثورات طليطلة . مؤسسة شباب الجامعة مجتمع قرطبة فى عصر الدولة الأموية رسالة دكتوراه غير منشورة آداب الاسكندرية ١٩٨٤ .

رجب عبد الحلیم :

- دولة بنو حمود فى مالقة بالأندلس رسالة ماجستير غير منشورة معهد الدراسات الأفريقية جامعة القاهرة سنة ١٩٧٦ .

سامى مكى العانى :

- دراسات فى الأدب الأندلسى ساعدت الجامعة المستنصرية على نشره سنة ١٩٧٨ .

سحر سالم :

- أزياء الرجال فى الأندلس

سعد البشرى :

- الحياة العلمية فى عصر ملوك الطوائف بالأندلس . نشر مؤسسة الملك فيصل بالرياض ١٤١٤ هـ .

سعد عثمان :

- المجتمع الإسلامى فى الأندلس فى القرن الرابع الهجرى .

سعيد عبد الفتاح عاشور :

- الحياة الاجتماعية فى المدينة الإسلامية مجلة عالم الفكر ، الكويت سنة ١٩٨٠ .

السيد عبد العزيز سالم : (رسالة دكتوراه غير منشورة الرياض) .

- قرطبة حاضرة الخلافة فى الأندلس . بيروت سنة ١٩٧٢ .

- تاريخ مدينة المرية الإسلامية. بيروت سنة ١٩٦٩ .

- مجلة المعهد المصرى للدراسات الإسلامية مدريد ١٩٧٦ - ١٩٧٨ المجلد

التاسع عشر .

- المساجد والقصور فى الأندلس دار المعارف سنة ١٩٥٨ .

- صور من المجتمع الأندلسى فى عصر الخلافة الأموية وعصر الطوائف من خلال النقوش المحفورة فى علب العاج .

- تاريخ المسلمين وآثارهم فى الأندلس من الفتح حتى سقوط الخلافة مؤسسة شباب الجامعة .

شكيب أرسلان :

- تاريخ غزوات العرب .

شوقى ضيف :

- بلاغة العرب فى الأندلس .

عبد الرحمن الحجى :

- الكتب والمكتبات فى الأندلس بحث نشر فى مجلة الدراسات الإسلامية بغداد .

صلاح خالص :

- أشبيلية فى القرن الخامس الهجرى طبعة بيروت .

عبد العزيز الأهوانى :

- على هامش ديوان ابن قزمان . مجلة المعهد المصرى للدراسات الإسلامية مدريد سنة ١٩٧٦ - سنة ١٩٧٨ .

- ألفاظ مغربية من كتاب ابن هشام اللخمي فى لحن العامة ج٢ مجلة معهد المخطوطات سنة ١٩٥٧ .

عبد المجيد عابدين :

- الشعر الأندلسى دراسة تحليلية نقدية . دار الفكر بيروت الدار السودانية مكتبة الخرطوم يناير ١٩٧٢ .

عبد الحلیم عویس :

- ابن حزم الأندلسی و جهوده فی البحث التاريخی والحضاری ، دار الاعتصام ، القاهرة بدون تاریخ .

عبد الواحد طه زنون :

- استقرار القبائل العربية فی الأندلس مجلة أوراق يصدرها المعهد الأسبانی .

عبد الکریم التواتی :

- القرب للثقافة مدريد العدد الرابع ١٩٨١ .
- مأساة انهيار الوجود العربي فی الأندلس : الدار البيضاء : ١٩٦٧ .

عز الدين موسى :

- النشاط الاقتصادي فی المغرب الإسلامي فی القرن السادس الهجري :
- على حسنى الخربوطلى الشروق ١٩٨٣ .
- العرب فی أوروبا : القاهرة سنة ١٩٦٥ .

على راضی :

- الأندلس والناصر .

فيليب حتى :

- تاريخ العرب مطول ج٣ بيروت سنة ١٩٥٩ .

كمال السيد أبو مصطفى :

- مالقة الإسلامية فی عصر دويلات الطوائف . دراسة فی مظاهر العمران والحياة الاجتماعية مؤسسة شباب الجامعة ١٩٩٣ .

لطفى عبد البديع :

- الإسلام فی أسبانيا القاهرة ١٩٦٩ .

محمد بحر عبد المجيد :

- اليهود فی الأندلس القاهرة ١٩٧٠ .

محمد عبد الحميد عيسى :

- تاريخ التعليم فى الأندلس الطبعة الأولى ١٩٨٢ نشر دار الفكر .

محمد عبد الله عثمان :

- دولة الإسلام فى الأندلس ، العصر الأول القسم الأول ، العصر الأول القسم الثانى (عصر الخلافة) .

- عصر ملوك الطوائف . نشر مكتبة الخانجي .

- تراجم أندلسية وشرقية القاهرة ١٩٧٠ .

- الآثار الأندلسية الباقية القاهرة ١٩٦١ .

محمد عبد العزيز مرزوق :

- الفنون الزخرفية الإسلامية فى المغرب والأندلس بيروت بدون تاريخ .

محمد عبد المنعم خفاجة :

قصة الأدب فى الأندلس ج١ بيروت ١٩٦٢ .

محمد مهروك نافع :

- تاريخ العرب ج١ القاهرة ١٩٤٩ .

محمد بحر عبد المجيد :

اليهود فى الأندلس القاهرة ١٩٧٠ .

نعمة العزاوى :

أبو بكر الذبيدى النحوى وآثاره فى النحو واللغة النجف ١٩٧٥ .

القاسى : (محمد)

تحقيق الأعلام الجغرافية الأندلسية مجلة البينة : السنة الأولى : العدد الثالث :

الرباط ١٩٦٢ م - ١٣٨٢هـ .

ثالثاً : المراجع المعربة :

آدم متز :

- الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى ترجمة عبد الهادى أبو ريذة :

بيروت ١٩٦٧ .

أنخل جانثالث بالنشيا :

- تاريخ الفكر الأندلسي: ترجمة حسين مؤنس القاهرة ١٩٥٥ .

أ . س . ترتون :

- أهل الذمة فى الإسلام : ترجمة حسن حبشى القاهرة ١٩٤٩ .

خوليان رابيرا :

- التربية الإسلامية فى الأندلس ترجمة الطاهر أحمد مكى القاهرة بدون تاريخ .

- المكتبات وهواة الكتب فى أسبانيا الإسلامية ترجمة جمال محرز .

- مجلة معهد المخطوطات العربية ج١ : ١٩٥٩ .

دوزى :

- تاريخ مسلمى أسبانيا : ج١ القاهرة ترجمة حسن مبشر ١٩٦٣ .

فيليب حتى :

- تاريخ العرب : ترجمة مبروك نافع : الطبعة الثالثة ١٩٥٢ .

هنرى بروس :

- الشعر الأندلسى فى عصر ملوك الطوائف ترجمة الطاهر أحمد مكى دار

المعارف ١٩٨٨ .

غوستاف لوبون :

- حضارة العرب : ترجمة عادل زعيتير بيروت ١٩٧٩ .

كارل بروكلمان: تاريخ الآداب العربية - دار المعارف .

ليفى بروفنسال :

- الحضارة العربية فى أسبانيا ترجمة الطاهر مكى القاهرة ١٩٧٩ .

- سلسلة محاضرات عامة فى أدب الأندلس وتاريخها . ترجمة عبد الهادى

شعيرة مطبوعات جامعة الإسكندرية ١٩٥١ .

Abd el - Aziz Salem :

- Centras de la Ceramica Revista : Auraq, Madrid 1984 .

Abaddy :

- Ahamed Mujtar Al Abaddy .
- El Reino de Granada en la Epoca de Muhammad . Madrid 1973.

Codera (Francisco) :

- Decadencia y Desaparicion de los Almoravides en Espana, (Zaragoza 1899) .

Dozy :

- Histoire de los Musulmanes de Espana.
- Diconniare detaille des noms des vetements, chez les Arabes Spanish Islam .

Goitein :

- Studies in Islamic History and Institutions, Leiden, Brill :1968.

Henrei Peres , la Poesie : Andalous Paris : 1953 .

Jose Ramon Melide Catalogo Manumental de Espana Provincia de Badojoz : L . I Madrid : 1925 .

Levi Proencal :

- Histoire de L'Espagan Musulmamngne .
- L'Espagne Musulmane au xe sicle, Paris: 1932 .

Simonet :

- Histoire de los Mozarabes de Espana . Madrid 1903 .

S . P . Scott :

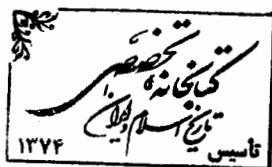
- History of the Moorish Empire.
- Una Cronica Anonima de Abd Al Rahaman III al- Nassir . Madrid Granada , 1950 .

الفهرس

صفحة

٥	المجتمع الأندلسى نموه وتطوره
٥	العرب الوافدون
١٢	البربر
٢٢	الصقالبة
٣٣	الأندلسيون
٣٣	المسالمة والمولدون
٤٢	الزى الأندلسى
٥٦	الاحتفالات الدينية
٦٤	الأعياد المسيحية
٦٧	وسائل اللهو والطرب
٦٨	الصيد
٧٢	الموسيقى والغناء
٧٧	الحياة الخاصة للأسر الأندلسية
٧٧	الزواج
٨٧	الوفاة
٩٢	أهل الذمة
٩٢	أولا : النصرى
٩٨	ثانيا : اليهود
١٠٤	ثالثا : العبيد

- ١١١ المرأة
- ١٢٠ أهم الفئات والطوائف الاجتماعية في المجتمع الأندلسي
- ١٣١ * الكتب
- ١٣٤ * القضاة والفقهاء
- ١٤٠ * صاحبة المرتبة والشرطة
- ١٤٢ * المحتسب
- ١٤٣ * التجار
- ١٤٦ الآفات الاجتماعية
- ١٤٦ * شرب الخمر
- ١٥٥ * التغزل بالغلان «المذكر» التشبيب
- ١٦١ * انتشار بيوت الحظوة
- ١٦٥ المصادر والمراجع



رقم الإيداع ٩٨/١١١٥

الترقيم الدولي 3 - 94 - 5487 - 977 I.S.B.N.

دار روتابرينت للطباعة ت: ٣٥٥٣٦٢ - ٦٩٤ - ٣٥٥

٥٣ شارع نوبار - باب اللوق